

دار

في فنز اللند

أبحاث

الدكتور عبدالله عبد السلام	الإنسان وأزمة الجزائر
أحمد سويد	أغنية لها
أبراهيم عبد القادر المازني	القومية العربية
ترجمة	الثقوف والبناء الفكري
فاروق شوشة	مع الأدباء : أحمد حسن الزيات
عاطف أحمد	الشرق العالم
مطاع صفدي	« صهيل الخواد الأبيض »
اسماعيل عدرة	الحرف العربي والحرف اللاتيني
غالي شكري	حصار العمر
أبو القاسم سعد الله	حوجو ونضال الكلمة

قصائد

رفيق الخوري	باريس والكلمات المضيئة
خليل حاوي	عند البصرة
ملك عبد العزيز	الفرح
خليل الخوري	لا در في الصدف
حسن النجمي	الصلاة الأخيرة
محمد عفيفي مطر	الطفل والحزن
كمال فوزي السراي	المعطف البرتقالي

قصص

جان الكسان	سيزيف بلا قمة
جورج سالم	في صباح ماطر
اسكندر لوقا	غدا تكون الشمس مخرفة
نمر محمد سرحان	بونيل وكيس العشب
ترجمة جورج طرابيشي	الضيف (الليبر كامو)

دروب الحرية

بقلم جان بول سارتر

نقدًا عن الفضة
الدكتور سميل ديش

« دروب الحرية » هي أضخم رواية كتبها المفكر العالمي جان بول سارتر . وفي هذا الجزء الأول « سن الرشد » يروي سارتر قصة الازمات النفسية التي يمر بها « ماتيو » - البطل الرئيسي - في تمزقه بين أداء واجبه تجاه « مارسيل » الفتاة التي يحبها والتي تحمل منه ، وبين رغبته المطلقة في الحرية ، وموقفه في مختلف القضايا التي يعيشها مجتمعهم . ولعل أروع ما في هذه الرواية ذلك الحب اليائس الذي يكنّه ماتيو لـ « ايفيش » تلك الفتاة الغريبة التي تكسب القصة نكهة لذيذة خاصة .

والمهم في هذا كله ان فلسفة سارتر الوجودية مبثوثة في الرواية بطريقة فنية فذة لا يملكها كثير من الروائيين في العالم . وقد استطاع سارتر ان يجعل هذه الفلسفة الوجودية في متناول جميع القراء حين صبّها في هذا القلب الروائي الرائع . وتعتبر روايته هذه في طليعة الانتاج الفرنسي الحديث ، وهي تنقل هنا الى العربية للمرة الاولى نقلاً أميناً صادقاً .



ثمن النسخة : ٥ ليرات لبنانية

العدد الثاني عشر
كانون الاول (ديسمبر)

السنة الثامنة

No. 12 Dec.

8ème année



مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص.ب ٤١٢٣ - تلفون ٣٢٨٣٢

AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE

BEYROUTH. LIBAN B.P. 4123

Tél. 32832

رئيس التحرير

والمدير المسؤول

الدكتور سويلح إدريس

Rédacteur en chef et
directeur

SOUHEIL IDRIS

الإنسان وأزمة الجزائر

بقلم الدكتور عبد الله عبد الدائم

أراضيهم ، وصح قول سارتر أيضا : « ان تاريخ الجزائر هو تجميع الاملاك العقارية الاوروبية جميعا تدريجيا على حساب الاملاك الجزائرية » (٢) ، ولم يترك هذا الاستعمار البقيض للجزائريين الا بابا واحدا مفتوحا هو ان يموتوا جوعا . بينما أخذت الشركات الاستعمارية الفرنسية في النمو والازدهار يوما بعد يوم في بلاد الجزائر ، تستولي على أراضيها وتحل زراعة الكرمية وصناعة الخمور محل زراعة القمح ، وتجتر بالحمضيات وتسلب المواشي وترتع في المناطق الخصبة ، طاردة السكان الاصليين يوما بعد يوم شطر الجنوب الصحراوي .

يضاف الى هذا كله ما قام به المستعمرون من محاولات دائبة متصلة لطمس معالم الحياة القومية العربية في الجزائر ، يوم اعتبروا اللغة العربية لغة أجنبية منذ عام ١٨٣٠ ، أي منذ بدء الاحتلال ، ويوم صادروا دين المواطنين لكي يبقوهم في التجزئة والتفتت ، وحين اختاروا رجال الدين الاسلامي من بين عملائهم ، ويوم اضطهدوا الجزائري وضربوا عليه الذلة والمسكنة ، وسلقوه بالسباب ، ونظموا استغلاله ووسائل اطلاقه أيما تنظيم : فحشروه في ارض غير منتجة ، وقسروه على العمل برواتب هزيلة مضحكة . لقد حاولوا ، بكلمة واحدة ، ان يهدموا الجزائر من اجل فرنسا ، وقاموا بهذا الهدم على أشجع طريقة ولم يوفروا فيه أي وسيلة مهما تكن مجانية لابطس مبادئ الانسانية .

وحملت الكرامة العربية السلاح ، وثار أبناء الجزائر ثورتهم المشرفة ، ثاروا حين لم يجدوا خيرا من الاسنة مركبا ، وآلوا ان يعيشوا كراما أو يموتوا كراما . ثاروا ثورة فريدة في التاريخ : انهم شعب أعزل فقير مضطهد ، يريد ان يقف في وجه قوة استعمارية جبارة ، تدعّمها أسلحة حلف الاطلسي . ولكنهم لم يأنهوا لهذا كله : لقد

نودع عاما ونستقبل عاما ، والثورة الجزائرية ماضية في سبيلها . تزداد لهيبا يوما بعد يوم وتجأر أمام العالم كله ، مؤمنة بحقها ، مؤمنة بالنصر .

والحق ان التاريخ الحديث لم يعرف مأساة استعمارية كمأساة الجزائر ، كما ان الانسان الحديث لم يواجه أزمة انسانية تهزه في الاعماق وتتهمه وتتحداه ، كأزمة الجزائر العربية .

اجل في قلب الجزائر ، منذ بدء احتلالها عام ١٨٣٠ ، ومنذ ايام القائد « بوجو » وحملاته الوحشية وطريقته الرومانية في الاستعمار ، أخذ الاستعمار أبشع معانيه واتضح معالمه يوما بعد يوم وارتسمت سياسته وفلسفته في أقبح صورها وأشكالها .

لقد حق لكاتب فرنسي كسارتر ان يعتبر الجزائر اوضح مثال وأبلغه عن النظام الاستعماري ، بل حق له ان يقرر ان أول من عرف الاستعمار وفضح مقاصده ، لم يكن لينين ، بل كان الفرنسي « جول فيري Jules Ferry » الذي نطق باسم الاستعمار الفرنسي الجديد في الجزائر في بدء احتلالها فقال :

« ان لفرنسا التي استفرغت كثيرا من رؤوس الاموال وأصدرتها الى الخارج بكميات كبيرة ، مصلحة في ان تنظر الى المسألة الاستعمارية من هذه الزاوية : انها قضية الاسواق بالنسبة لبلاد كبلادنا ، مدعوة بسبب طبيعتها نفسها وصناعتها ، الى ان تصدر صادرات عظيمة .. بحيث السيادة السياسية تكون سيادة المنتجات السياسية الاقتصادية » (١)

وتمت السياسة التي رسمها أمثال « جول فيري » ، وتم افقار الاهالي الجزائريين من أجل فرنسا ، فسلبوا

(١) و (٢) من كتاب « عارنا في الجزائر » ترجمة سهيل وعائدة إدريس ، نشر دار الاداب

روى شكوكهم في قيمة الحضارة التي يمثلونها ، عندما شهدوا ما شهدوا من روائع التعذيب والاضطهاد (١) يكفي ان نستمع لفرنسوا موريك حين اعلن انـه سينقطع عن كتابة الرواية لان فظاعة عالم الواقع تطرده من ميدان التأليف الخيالي . وحين اضاف انه لا ينتظر بعد هذا غير الموت ، لان فرنسا التي يرقبها منذ سنوات ، ولا سيما في الجزائر ، قد ماتت ، وانها الان تموت ميتات متصلة مستمرة في كل لون من ألوان التعذيب التي تخضع لها الجزائريين المسلمين ، لانها تفقد في كل لحظة شرفها .

ان كتابا ككتاب جانسون عن الجزائر ، او ككتاب الاستجواب لاليج ، او ككتاب « عارنا في الجزائر » لسارتر ، او ككتاب « دفاعا عن جميلة » لأرنو وفيرجيس ، او ككتاب « مجندون يشهدون » الذي جمع وثائقه عدد من الكتاب الفرنسيين ، او كقصة « ملازم في الجزائر » لشرابير ، او ككتاب « ضد التعذيب » لبير هنري سيمون ، او لكثير غيرها من الكتب ، نماذج بينة على ما أثاره موقف الجزائر من عواصف في العقول والنفوس ، وما أحدثه من نقمة وأزمة في ضمائر الاحرار في العالم . وليس من صغير الامر أن يترك استاذ فرنسي كجانسون Jeanson كرسية ، ليقود حركة تمرد على وحشية فرنسا ، وينظم ايصال المتطوعين الفرنسيين الى الجزائر وتهريب الجنود الفرنسيين المرغمين على تأدية فريضة القتل والتمثيل والتعذيب في الجزائر .

لقد بدأ يشعر هؤلاء المفكرون الاحرار ان الفظائع التي يرتكبها المستعمرون الفرنسيون في الجزائر ، لا تهدد الجزائر وحدها ، ولا تهدد الانسانية كلها ، بل تهدد فرنسا نفسها ، فرنسا التي ترشحها اعمالها الاخلاقية في الجزائر الى أن تتردى في بلادها وتعاني أزمة خلقية كبرى بعد أن عودت أبناءها خلال سنوات كل معانسي الفظاظة والخسة والهزء بالخلق والتنكر لكرامة الانسان . لقد حق للكتاب الذين نشروا الوثائق التي ضمها كتاب « مجندون يشهدون » ان يقولوا : « ان بعض الاساليب الاجرامية التي تتبع في الجزائر تؤلف عاملا خطيرا يؤدي الى فساد الجيش والبلاد قاطبة . ونحن نترك للقراء أن يتصوروا الى أي حد تكون المساعدة على هذه الجرائم الخلقية ، او المساهمة الفعالة فيها ، سببا قويا لافساد نفوس جنودنا وضباطنا . بل ان التوازن الخلقي والنفسي لديهم لا بد ان يتعرض بسبب هذا لخطر جسيمة . وهذا الفساد لا تقتصر أضراره على الجيش فحسب ، بل يتسرب بالتدريج ليصيب البلاد كلها . فجرائم من هذا النوع تلطخ الضمير القومي وتعرض الجهود التي تبذل لتكوين شبيبة بلادنا مدنيا وخطيا ، لأسوأ مصير » .

نعم ، ان ما يرتكب في الجزائر من أهوال ، تهديد لكل انسان ، وتهديد لمصير الانسانية ولا يجوز لاي فرد (١) ارجع الى كتاب « مجندون يشهدون » .

كانت الكلمة التي يعبر عنها موقفهم البطولي الجبار ، انهم ان لم يملكوا شيئا . فهم يملكون ان يقدموا ارواحهم فداء لكرامة الانسان المتهنة ، ويملكون ان يقفوا وحدهم في العالم لينادوا في وجه الضمير الانساني اننا نتهكم ولكننا لا ننتظر ، واننا سنفهمك ، باقدامنا على الفناء ، معنى الانسانية القتيل التي يسفحها الفرنسيون دون ان تثور لك فيها ثائرة .

ويقبل الذي فقد كل شيء ، أرضه وكرامته ووجوده ، على المعركة ، يحمل معه كل شيء : يحمل الايمان بحقه ، ويحمل الايمان بكرامة الانسان ، ويحمل ثقة لا تنزعزع في أن يخط من جديد ثورة الانسان على اضطهاد الانسان للانسان ، وتوكيده للقيم الانسانية المتردية ، وتحقيق النصر لهذه القيم .

وتمضي الايام بل السنوات ، وصاحب الحق صامد ، وحامل الرسالة ثابت كالطود ، لا تنزعزعه صعوبات الطريق ، ولا تفقده أملة . ويربح المؤمن معركته شيئا بعد شيء ، ويحفر النصر بالدماء والدموع ، فاذا به يقلب ايمانه الى ثورة منظمة قوية ، واذا به يهرب نصف مليون جندي فرنسي بأسلحتهم الحديثة وبوسائلهم الوحشية . على ان اهم ما في هذا النصر الذي اخذ يشق طريقه ، ما تم له من ايقاظ الضمير العالمي يوما بعد يوم ، وما يسر له من تحريك النفوس الحرة في العالم ، لتشاركه ثورته وتثور لاضطهاده . انه نجح في المهمة الاساسية الكبرى : وهي أن يضع كل فرد في العالم امام مسؤولياته كإنسان ، وان يتهم الانسانية الساكنة على الظلم ، ليحفزها على تجديد قيمها والانقلاب على ذاتها .

وكفي لنذكر عمق الهزة الوجدانية التي اخذت ثورة الجزائر تحدثها في الضمير العالمي أن نذكر بالمواقف الاخيرة لعدد من مفكري فرنسا وكتابها ، وان نقرأ العديد من الكتب والكلمات التي اخذت تنطلق ثروة غزيرة من أقلام الفرنسيين الاحرار ، يتهمون فيها انفسهم ، ويتهمون فيها أمتهم ، بل يحقرون فيها انتسابهم الى تلك الامة ، بعد ان لطخت جبينها بالعار . حسبنا ان نعود بالذكرى الى تلك الصيحات التي انطلقت من أفواه بعض الكتاب الاحرار في فرنسا حين قالوا بملء فيه : انهم قدروا ، وانهم يشعرون بالخزي والعار لانسابهم الى امة تموت فيها القيم والمبادئ عن طريق ما ترتكبه في الجزائر من آثام . يكفي أن نسمع صيحة كصيحة سارتر : « اننا مريضون ، مريضون جدا . ان فرنسا المحكومة الراكمة ، الماخوذة بأحلام مجدها القديمة وباستشعار خجلها ، تتخط وسط كابوس مبهم لا تستطيع التخلص منه ولا تستطيع سبر غوره . فاما أن نرى بوضوح ، واما أن نفجر » .

يكفي أن ننقل ما رواه أحد القسس المجندين العائدين من الجزائر حين نقل تلك الكلمات التي تتردد على شفاه كثيرين من أفراد الجيش الفرنسي هناك : « انه من المخجل ان يكون الانسان فرنسيا » ، بل حين

« الآداب » تقدم :

عددها السنوي الممتاز
في مطلع العام الجديد ١٩٦١

النقد الأدبي

وهو عدد خاص بـ

دراسات معمقة عن النقد الأدبي وعلم الجمال وحالة النقد في الوطن العربي
وفي بلاد الغرب ، مع نماذج نقدية مختلفة .

عدد ممتاز تتابع به « الآداب » مشاركتها في تطوير المفاهيم الأدبية
ورفع مستواها في النتاج العربي المعاصر . .

يسهم فيه كبار النقاد والدارسين في مختلف الاقطار العربية .
احجز نسختك منذ الان .

ووصفها في كتابه « الاستجواب » (١) ؟ أم هل أروي
قصصا عن السجون الجهنمية التي تتكدس فيها الاكوام
البشرية ، أو عن المعتقلات التي يأوي اليها من يدعونهم
بالمشبهين ، ويلقون من العذاب فنونا ؟ وهل أحدثكم
عن الاعدام بالجملة واحراق القرى وقتل الابرياء ،
والانتقام من أي انسان عند قتل جندي فرنسي ؟

لا بد ان أوفر على القارئ تلك الرؤى المفزعة .
وأجتزئ من هذا كله بأن أنقل عن الكاتب الجزائري
« حفيد كرماني » في كتابه « التهذؤة » ، خلاصة عن
وسائل التعذيب التي تصطنع في استجواب المقبوض
عليهم من العرب . وكم أشعر بالامتعاض عندما يبلغ
الهلول بهذه الوسائل حدا يجعلني ألجأ الى تصنيفها في
في طرائق ، والى البحث فيها كما يبحث العالم في
الطرائق المتبعة في دراسة علمية :

ترتد هذه الاساليب الوحشية الى أساليب خمسة
كبـرى :

١ - اولها الكهرباء . ومن مزاياها ان آثارها تزول
بعد فترة قصيرة وتساعد بهذا على طمس معالم التعذيب
أمام الرأي العام . وتجري غالبا في الليل ، لئلا يسمع
الناس في الخارج صراخ المعذبين وعويلهم .

وفيها يعرى المعذب ويلقى على منضدة تعرف باسم
« منضدة العمليات » . وتوثق يداه ورجلاه ، ويلقى الماء

(١) ترجمة سهيل وعائدة ادريس ، نشر دار الآداب .

يحمل لقب الانسان ، ويحرص على حضارته وقيمه ،
ان يسكت على هذا الانتهاك الصريح لوجوده ، عن طريق
انتهاك وجود أبناء الجزائر ، بل لا يجوز له الا أن يسهم
في الانتصار للجزائريين ، بكل ما يملك من وسائل مباشرة
أو غير مباشرة .

ان الطفل الذي يصرخ وسط جنود فرنسيين
يعذبونه بالكهرباء والماء ، ليس طفلا جزائريا في أقصى
الأرض ، وانما هو الطفل الانساني ، طفلي وطفلك وطفلي
كل انسان .

وان الشيخ الذي جاوز الثمانين والذي يلقي انواع
العذاب ويقتل ابنه امام عينيه ، هو الشيخوخة الانسانية
البائسة التعيسة ، هو اتهام لوحشية الانسان وسكوت
الانسان على الوحشية .

وان المرأة التي تعرى لتتجول الكهرباء في ما ظهر
وخفي من جسدها ، رمز لاضطهاد مقدسات الانسان
ولانتهاك ميثاق الأمم المتحدة واتفاق جنيف الذي ينص
في البند السابع والعشرين منه خاصة على حماية النساء
من كل اعتداء على شرفهن وحياتهن .

وبعد ، هل أسوق حديثا تقشعر له الابدان ، وتآباه
النفوس الحساسة ؟ هل أقدم صورا من مشاهد التعذيب
التي نقل معظمها فرنسيون شهدوها بأعينهم ؟ هل أذكر
طرفا من العذاب الذي لقيته جميلة بو حيرد ، او نماذج
من فنون الاهوال التي تعرض لها الفرنسي « أليغ » Alleg

على جسده ليسهل انتشار التيار فيه كله . ثم يؤخذ بوضع التيار الكهربائي على النقاط الحساسة من الشخص المذب . رجلا كان أم امرأة : كالاذنين واللسان والأعضاء التناسلية والتدينين . وهنالك ألوان وأشكال لهذا الأسلوب من التعذيب ، نضرب صفحا عن ذكرها لهولها وشناعتها .

٢ - والأسلوب الثاني أسلوب الماء : وهو يتم غالبا على أشكال ثلاثة من أكثرها شيوعا : حقن الماء عن طريق الفم ، بحيث تمتلئ المعدة بالماء وتتضخم . وبعد أن ينتفخ البطن يلقي أحد المتطوعين بجسده عليه ، فينطلق الماء من الفم وغيره ، وتعاد العملية مرارا بغية الحصول على اعتراف المذب .

٣ - والأسلوب الثالث أسلوب النار : وفيه يعرى المذب ويجلس على كرسي ويوثق به ، ويبدأ المستجوب بأن يلقي دخان السجائر على عينيه ، ثم يأخذ باطفاء السجائر على صدره أو ثدييه . وفي أكثر الأحيان يبل جسده بالبنزين ويضع عليه النار . وكثيرا ما يؤدي هذا النوع من التعذيب إلى حروق من الدرجة الثانية بل ما فوقها . مما يضطر الجلادين إلى معالجة ضحايا هذا النوع من التعذيب إلى حروق من الدرجة الثانية بل ما أخرى تربط اليدين خلف الظهر وتوضع عيدان الكبريت المشتعلة على نهاية الأصابع إلى أن تحترق الأظافر . وقد توضع تحت القدمين شمعة تحترق ، إلى أن تنطفئ .

٤ - والأسلوب الرابع أسلوب الحديد : وفيه يعرى المذب ويوضع على كرسي . ويبدأ الجلاد بأن يعض ظهره وثدييه وشفتيه بكماشة في جسده . وفي بعض الأحيان يقتطع بالكماشة قطعا من جسده . وقد توضع يدا الضحية على الأرض ويبدأ الجلاد بالطرق عليها بالخناجر أو الفؤوس .

٥ - والأسلوب الخامس هو أسلوب الحبل . وله صور وأشكال . منها أن توثق يدا الضحية مع رجله على شكل خروف تربط أرجله الأربع . ثم يرفع إلى السقف بوساطة بكرة ، ورأسه وظهره تتجهان إلى الأرض ، ثم يرمى به فجأة على الأرض . وتعاد التجربة مرارا وتكرارا . ومنها أن يربط الضحية ربطا وثيقا بكرسي ، وأن يعقد حبل على عنقه ، يشده جلادان من طرفين شيئا بعد شيء ، حتى الاختناق أو الموت .

وبعد ، معذرة ان وقفت عند هذه التفاصيل البشعة . غير ان ما نحياه نحن باللفظ أو الخيال يحياه اخواننا الجزائريون بأجسادهم وأرواحهم . وما أحسبنا الا ونشعر بعمق المأساة الإنسانية عندما نذكر طرفا من الوسائل التي يتعرض لها العديد من اخواننا العرب هناك . ما نحسبنا الا متهمين لانفسنا وللإنسانية عندما نسمع بهذه الأحوال ، ونسمع أن حصاد ما يدعوه الفرنسيون بالتهدة يتلخص في الأمور التالية : « ثمانمائة ألف جزائري قتل ، ومائتا ألف جزائري في السجون ومعسكرات الاعتقال ، ومليون جزائري في المراكز التي تسمى بمراكز التجميع ، وحوالي ثلاثمائة ألف لاجيء جزائري في تونس ومراكش ، والبقية الباقية من الشعب بلا حماية ولا أمن تحت رحمة الجند الفرنسيين » . ان قضية الجزائر ليست بالنسبة إلينا قضية قومية فحسب ، وانما هي ايضا قضية إنسانية عميقة . ان انتصارنا لها لا يقف عند حدود الانتصار لجزء من الأمة العربية ضرب مثلا رائعا عن البطولة العربية وخلد العروبة إلى الأبد ، بل يتجاوز هذا إلى الانتصار لقضية الإنسان وكرامته .

وهنا يحق لنا أن نقف قليلا لنسأل : ماذا قدم كل واحد منا لقضية الجزائر ، وكيف يستطيع أن يرد عن نفسه التهمة الضخمة ؟ ما هو الموقف الذي دفعته إليه قوميته وإنسانيته ، ليسهم بقدر ما يستطيع في تخفيف أهوال تلك المجزرة الإنسانية الكبرى ، ويكون جنديا مخلصا لقضية القومية وإنسانا مخلصا لشعوره الإنساني ؟ وهل قدم الكثير منا مثل ما قدمه عدد من الفرنسيين الأحرار أنفسهم ، أو ما قدمه الكثير من الأحرار في العالم ؟

ان جوابنا على هذا التساؤل هو الذي يحدد نهائيا مبلغ إيماننا بأمتنا وقضيتنا العربية وخطنا من الشعور الإنساني ومن التحسس بالقيم الإنسانية .

دمشق عبد الله عبد الدائم

شعر

من منشورات دار الآداب

قرارة الموجة	نازك الملائكة
وجدتها	فدوى طوقان
وحدي مع الأيام	فدوى طوقان
العودة من النبع الحالم	سلمى الجيوسي
عيناك مهرجان	شفيق معلوف
قصائد عربية	سليمان العيسى
الناس في بلادي	صلاح عبد الصبور
مدينة بلا قلب	احمد عبد المعطي حجازي

دار الآداب

بيروت - ص.ب ٤١٢٢

كأنها عاهرة تبكي على الرصيف
 تمضغ في حذائها الرغيف
 تشنق ظل حبها .. تحيا بلا ألوان
 سوى غيوم العار والهوان ...
 ذابلة باريس ... كالخريف
 مقرورة الشفاه
 تفتح للاموات درب بيتها
 ترميهم في المخذع الوثير
 لكنهم يقون في جنونهم
 موتى بلا قبور ...
 وحينما تخنقها رائحة الاموات
 وتهرب القلوب من بشاعة الحياة
 لحانة .. صاخبة ... صغيره
 تدوخ في اغنية مثيره
 تمضغ ذل ياسها الموات ...
 تاركة جحافل الفاشست .. والطفاة
 تمر فوق رأسها المشعث السكير ...
 أحس ان قلبكم يا اخوتي
 يخفق في مدينتي
 كأنه بقلبنا معلق ..
 بريحنا .. بحربة العذاب
 بزهره من دمننا تختنق
 أحس ايديكم هنا ...
 تقذف من حروفها السلاح
 تمسح شوق جبهة تملأها الجراح
 وتأكل الخبز مهني ... والتين والزيتون
 ترفض ان تأكل لحمي .. ان ترى العيون
 تؤكل بالشوكة والسكين ...
 اني اري عيونكم ...
 تلك التي تخجل ان ترنو الى المرأة
 تلمع فوق قمة الاهراس
 كأنجم بعيدة .. قريبه
 حبيبة .. حبيبة ...
 تحملني ... تحطني
 في قلب باريس التي تعرفني
 باريسكم تلك التي تسهر كالاله
 مفتوحة العيون ...
 تضيئها الجباه
 حروفكم تمنحها الكساء
 ترش في صحرائها الربيع
 تقول : ان برعما تفتحت رؤاه
 وراء ثلج الليل .. والجريمه ..

باريس والعلمت المضيئة

الى سارتر ورفاقه

رفيق الخوري

بيروت

أغنية... لها!

بقلم أحمد سويد

بمناسبة « عيد » كفاحها السابع

يزرع الصدور والنحور مخالبا ، ولؤم خناجر
يخنق النور والاطفال

ويقتال - شلت يميناه -
يقتال الخصب
يقتال الحب ،
يقتال الحق ،
شلت يميناه :
يقتال الله .

يا اخوتي :

انتم في الاهراس تقيمون الاعراس للحرية .
بنادقكم غرثى ، وطعاهم الرصاص
ما أطيب الرصاص
يزغرد في الاهراس .
يدونى في الاهراس .
.. ونحن هنا ، ما اتفهننا

يا اخوتي :

أي أرض لم تحلم بكم ، بأمجاد ثراكم وآيات الرجولة :
أي شعب لم يقبل ، على النأي ، ذراكم وجراحات البطولة .
أي شعب لم تكونوا له المصباح في ليله الداجي ،
أي شعب لم تكونوا له القدوة الشماء ، وروعة الامثولة
أي حر في الكون لا ترنو اليكم مقلتاه .
أي حر لم تتعب ، لكم ، في السر والجهر شفتاه :
أي حر لم تنبل بكم أهدافه وتسمو رؤاه .
أي حر لم تمرروا في ذهنه المكدود نجوى ، وأطياف صلاه .
أي شمس لم تنحن لتعصب الجرح المدمى ،
وتلف شقر جدائلها سمر الجباه ...

يا اخوتي :

عار على الدنيا ان تشرق شمسها .
عار عليها .
... وفي أرضكم يختال جائر .
كافر غادر .
يجلد العفة ، يسرق اللقمة
وطهر الحرائر .

نحشو بنادقكم وعودا وكلمات ...
ما أطفه الكلمات .
نصنع منها قبابا وسماوات
أبراج عز ، وأشباه بطولات .
وبنادقكم هناك في الاهراس
غرثى ، غرثى ، وطعامها الرصاص ،
ولا رصاص .

يا اخوتي :
خنادقكم بارده ، خنادكم جليد .
تشتهي المدفع يشعلها
والحديد يدفئها ،
ولا حديد .

... وتذبون بالايمن وحده ذئاب الاطلسي
وتجار العبيد .
وتصدون بالبذل موجة الطفغان المبيد .
وترنون اليئا، الى الشرق الشقيق، الى الشرق البعيد .
... ونحن هنا ، نلهي بجدل الكلمات ،
ما أطفهنا ، والتحايا العاطرات ،
نزجها اليكم ... والاغنيات .
واللغات ، نصبها طوفانا
على أمّ المستهترات ،
أمّ بلاياكم
على باريس :
أمّ النكبات ...
... وخنادقكم في الاهراس باردة ،
وخنادقكم في ذراها جليد .
تشتهي المدفع يشعلها ،
والحديد يدفئها
ولا حديد .

يا اخوتي :
عار على الدنيا وعلينا
سبة في وجهها وعينينا
أعوامكم الستة .
كيف تطلع الشمس على الدنيا بهيه ؟
كيف يهدأ فينا أوار الحميه ؟

كيف يخمد فينا لهاث القضية ؟
كيف ؟
وفي جزائرننا تجوع البندقية .
يبرد الخندق ، وتسبى الصبيه .
ويصول الموت ، وتطفى المنية ،
وتنطوي الارض الصبور السخيه
على رفات طرية .
لليون ضحيه ؟

عار علينا يا أختنا القصيه
يا أختنا الوفيه .
أن لم تكن رصاص البندقية
حين تجوع البندقية .
ان لم تنسج عذارانا
رداء لجميله
وقميصا ارجوانيا
لاخيها .
ومهادا لاييها
ولواء للقضية !

ولا كانت دمانا يعربيه
ان لم تسند الايدي القويه
تحرس الخنادق
وتنشر البيارق .
وتحمي ارضها الصبور السخيه
وحرمة الرفات الطرية
لليون ضحيه :

أما آن يا زمان ؟
للفات الطرية .

ان تبعث النماء والحباه
في آلهة حلوة جنيته .
معبودة القسمات
اسمها « الحريه » ؟
أما آن ؟

أحمد سويد

بيروت

القومية العربية

بقلم إبراهيم عبد القادر المازني

عشرنا - بطريق المصادفة - على هذا المقال القيم الذي كتبه المرحوم ابراهيم عبد القادر المازني ونشرته مجلة « الرسالة » المصرية في عددها ١١٢ الصادر في ٢٦ اغسطس (آب) ١٩٣٥ . ونحن نعيد نشره هنا على القراء العرب لما يحتويه من ارهاصات ودلالات عميقة .

انحطاط الثقافة ، ولم يمنعها ان تظل أن ثورات شبت ، وحروباً استعرت ، فان هذه أشبه بالفتن الداخلية . وقد كان العلماء والادباء والفقهاء يرحلون من بلد الى بلد ، ولا يحسون انهم تركوا أوطانهم وتغربوا ، ولا يشعرون انهم اجتازوا حدوداً ، ولا تخطوا تخوماً ، تفصل بين أقطار ، وتعزل أمة عن أمة . ولا يزال الحال كذلك ، ولو جبتهم هذا الشرق لما شعرت انكم في غير مصر - الا من حيث التقدم المادي - وكانت اللغة هي اللسان الذي لا يحتاجون الى اتخاذ غيره في حيثما يكونون من هذا الشرق العظيم الذي تقسمونه اليوم امماً وشعوباً وتقولون هذا مصري وذاك فلسطيني او شامي او حجازي . وعلى ان القومية هي اللغة لا سواها . ولتكن طبيعة البلاد ما يشاء الله ان تكون ، ولتكن الاصول البعيدة المتغلغلة في القدم ما شئت ، فما دام ان أقواماً لهم لغة واحدة فهم شعب واحد . ذلك ان الانسان لا يستطيع ان يفكر - الى الآن على الأقل - الا بالالفاظ . وهي وحدها أداة التفكير ، فلا سبيل اليه بدونها ، ومن المستحيل ، الآن ، ان نتمثل معنى مجرداً من الفاظ تعينه . ولكل لفظة أساليبها وطرائقها ، فأساليب التفكير وطريقة التصور خاضعة للأساليب التي يتألف على مقتضاها الكلام فسي اللغات المختلفة ، ومن هنا يتفق ويتشابه ابناء كل لغة ، ويختلفون عن ابناء كل لغة أخرى ، وهذا فرق ما بين الانكليزي والفرنسي ، وما بين الانكليزي والهندي ، وهذا فيما أظن حقيقة علمية . ومتى كان الامر كذلك فكيف نكون الا عرباً كالعراقيين ، والسوريين ، والفلسطينيين ، والحجازيين ، واليمنيين ، مع اختلاف يسير تحدثه طبائع هذه البلاد ؟ » .

فعاد الشاب يسألني : « وأصلنا المصري ؟ وتاريخ الفراغة ومدنيتهم ؟ »

فقلت له : « أكرم بهذا من أصل ، وانها لمدينة باهرة تلك التي كانت للفراغة ، وان العالم كله لمدين بأكثر مما يعرف لهذه الحضارة القديمة - ولكنها بادت

كثيراً ما يسألني الشبان الذين لم يشهدوا الثورة المصرية - لانهم كانوا أطفالاً - « هل كانت حقيقة رائعة ؟ » فأقول : « لقد بلغت غاية الروعة - في حدودها .

ولم يكن في الوسع ان تكون فوق ما كانت ، ولكنها فشلت - مع الاسف - لانا أحطنا قوميتنا بمثل سور الصين » .

ذلك اني أومن بما أسميه « القومية العربية » وأعتقد ان من خطئ السياسة وضلال الرأي ان تنفرد كل واحدة من الامم العربية بسعيها غير عابئة بشقيقتها ، او ناظرة اليها ، ويحنقني ويستفزني ان ارى احداً ينظر الى مصر كأنها من أوروبا وليست من الشرق .

وعندي ان الجنسية الشرقية هي أساس حياتنا وتاريخنا ، وان هذه النظرة تفسد مزايانا الشرقية - اذا لم تفقدنا اياها - ولا تكسبنا مزية من مزايا الغرب . والعلم ينقل ، وقد نقل من الشرق الى الغرب ، ومن اليسير ان ينقل من الغرب الى الشرق من غير ان يحاول الشرق ان يغير جلده او يخسر خصائصه .

وقد اعترض علي شاب - ذات مرة - ونحن في حديث كهذا ، فقال : « وما الرأي في القومية ؟ اليسست حقيقة تاريخية تفرق بين هذه الشعوب والامم التي تريد ان تجمعها وتربطها برباط واحد ؟ » .

فقلت له : « ان هذه القوميات العنيفة الضيقة الحدود ، حديثة من الوجهة التاريخية ، وهي - بحدتها الحاضرة - بنت العصر الحديث ، او اذا شئت ، فقل انها وليدة الحرب العظمى ، وان كان صحيحاً انها سبقت الحرب بنصف قرن تقريباً ، بل ان فكرة الامبراطورية البريطانية نفسها ليست الا بنت القرن العشرين . ولعل أكبر مسؤول عن بث هذه الفكرة هو الشاعر كبلنج .

ما علينا من هذا ، ولنرجع الى حديث الشرق : لقد كانت هناك وحدة وثقافة اسلاميتان دان لهما الشرق ، او ما يعنينا منه ، وظلت هذه الوحدة قائمة على الرغم من

واندثرت ، ولم يبق منها الا الاثر المدفون في التراب ، والذي لا يمكن ان يؤثر في حياتنا الحاضرة الا من طريق واحد - هو اشعارنا العزة وحشنا على استحقاق هذا الميراث الجليل ، كما يكون الاب كريما فيخجل الابن ان يكون كزا لثيما وان يفعل ما ينافي كرم آبائه وطيب ارومتهم . ولكن المدنية العربية - او قل الاسلامية اذا شئت - لم تفن ، ولم تبد ، ولم تندثر ، ولم تفقد الا القوة ومظاهر السلطان وهذه تكتسب وتستفاد ، ولكنها فيما عدا ذلك ، بقيت حية ، وابقى ما بقي منها لغتها بكنوزها المختلفة ، فهي - أي المدنية العربية - عامل مؤثر بوجوده لا بذكراه كالعامل الفرعوني ، ومن الممكن هدم هذه الحواجز المفتعلة التي يقيمها الغرب ويرفع منها سدودا بيننا وبين اخواننا » .

وكثير ممن أحدثهم هذا الحديث يقتنعون ، ولكنهم يرون انفسهم شبانا ، ويستهلون ان يوكل الى أسنانهم الغضة توثيق ما أوهنه تفريط الشيوخ أو ضيق ادراكهم ، ولكن أنا أومن بقدرة الشباب على المعجزات لان خياله أنشط ، وجرائه أعظم ، وعزيمته جديدة لم تنل منها الخطوب والخيبات ، وآماله فسيحة . واذا كان الشباب لا يقدم ، فمن ذا عساه يفعل ؟

ولو ان هذه القومية العربية لم تكن الا وهما لا سند له من حقائق الحياة والتاريخ ، لوجب ان نخلقها خلقا ، فما للامم الصغيرة أمل في حياة مأمونة ، وما خير مليون من الناس مثلاً ؟ ماذا يسعهم في دنيا تموج دولها بالخلق ، وكيف يدخل في طوقهم ان يحموا حقيقتهم ويدودوا عن حوضهم ؟ ان أية دولة تتاح لها الفرصة تستطيع ان تثب عليهم وتأكلهم اكلا بلحمهم وعظمهم . ولكن مليون فلسطين اذا أضيف اليها مليون الشام وملايين مصر والعراق مثلاً يصبحون شيئاً له بأس يتقى . وهذه البلاد ما انفكت زراعية على الاكثر ، وجل اعتمادها على حاصلات الارض والصناعة فيها ساذجة محدودة ، وضيقة النطاق ، والزراعة لا تغني الامم كما تغنيها الصناعة ، والمال عصب الحياة وسر القوة ، وأخلق بهذه الاقطار العربية ان تظل صناعاتها ضئيلة ما بقيت هي مقسمة موزعة ، لانه لا يوافق الدول الغربية التي لها فيها سلطان او نفوذ ان تدع صناعاتها تنشط وتنهض ، ولا سبيل الى نشاطها الا اذا فتحت اسواق مصر ، لجاراتها الشرقية ، واسواق الجارات لمصر ، ومعقول ان تشتري منا دول أوروبا حاصلاتنا الزراعية او ما يزيد عن حاجتنا منها ، ولكن صناعتنا لا يعقل ان تجد لها أسواقاً في أوروبا ، فما بها حاجة الى ما نصنع بالغاً ما بلغ التجويد فيه ، وانما يتسع الميدان لصناعتنا اذا وجدت سبيلها الى الشرق ، ومثل هذا يقال عن البلاد العربية الشرقية .

قد يقال ولكن هذا ليس الا حلماً . فنقول نعم انه الان حلم ، لا أكثر ، ولعله لا يتراءى الا لاحاد يعدون على الاصابع في كل بلد ، وعسى ان تكون العقبات المعترضة والصعاب القائمة قد صرفت كثيرين عنه بعد ان دار زمنا في نفوسهم ، ولكنه على كونه حلماً ، ليس أعز ولا أبعد منلاً مما تحلم به أمم اخرى في هذا العصر . وبالامم حاجة الى الاحلام ، والى الاحاح على نفسها بها حتى تخلد اليها وتتعلق بها ولا تعود ترى للحياة قيمة او معنى اذا لم تتسع لتحقيقها ، والا فلأية غاية تسعى ؟ ماذا تطلب من الدنيا ؟ وماذا عسى ان يكون مرامها في الحياة اذا لم تحلم بأمل ؟ ايكسون كل ما تبغي ان تأكل هنيئاً ، وتشرب مريئاً ، وتنام ملء جفونها ؟ وهيهات ان يتيسر لها ذلك اذا هي كفت عن الاحلام والتأمل وما يغريان به من السعي ، وغيرنا يحلم بنا اذا كنا نحن لا نحلم بشيء ، وحقيق بنا اذا سلمنا الى حين ان نعود فريسة لامة من الامم الطامعة الحالة .

والاحلام ضرورة من ضروريات الحياة ، للانفراد والجماعات ، وبغيرها يمتنع السعي وتنقطع الحوافز ، وتركد الدنيا ، ويأسن العيش ، ومن لا حلم له ، لا أمل له ، ولا مستقبل ، فلماذا يعيش اذن ؟

أبراهيم عبد القادر المازني

بمناسبة اسبوع الكتاب العربي

تقدم

دار صادر - دار بيروت

الكتب التالية :

سبعون « الحلقة الثالثة »	لميخائيل نعيمة
الشاعر القروي	لعبد اللطيف شراره
الرصاصي	لعبد اللطيف شراره
ابو القاسم الشابي	لعبد اللطيف شراره
المحاسن والمساوىء	للبيهقي
علم الاقتصاد الحديث	ترجمة دجاني وعاشور

- 3 -

وعاد ذاك الساهر اللعين
تريد ان تعرف ماذا في غد تكون ؟
ظل هنا ، ان شئت ،
واملاً صمتك الاجوف
من حمى الاغاني
في مقاهي الشط والخليج
ومن بخار أبيض يطفو على المستنقع
البهيج

من مرجح الشمس
الذي يغزل لونا واحدا
في برك الوحل وصحو النبع والرمال،
العفن المظموور في الظلال
ظلال ورد أبيض وزهر برتقال .

أراك شرّشت هنا
في ضفة المستنقع البهيج
أراك تمتص عصير العفن المعجون
بالوحول

تمتصك الوحول
أراك تستحيل
لشجرة مسمومة ، ثم لتمساح عتيق
يتقي بجلده الذباب
والعلق الاصفر والذئاب

رائحة الانثى التي تئن عيناها لمن تراه
يختلج الوعد على الشفاه
و ذات ليل سقتها للنهر
اننت ، ركعت ، همت بها يدك
ثم ارتخت يدك

◆ ◆ ◆ ◆ ◆

وبينما انت تعاني صمتك الاجوف
 تبلو العفن المعجون بالوحول
 اراك تستحيل
 لساحر يموه الاشياء في العيون
 مهرج حزين
 في مسرح الفجر
 يروض الافعى ويمشي حافيا
 يمشي على الجمر على الابر
 يعجن في اسنانه الزجاج والحجر

يضم في كفيه وهج الشمس للظلال
 ينسج منها هالة وشال ،
 حورية تهبط من أكامه الطوال .

.

مهرج حزين
وساحر يموه الاشياء في العيون

$$\text{Purified } \left\{ \begin{array}{l} \text{Purified} \\ \text{Purified} \end{array} \right.$$

- الا تراني غير تمساح
 تراني شجرة مسمومة
 صمت جحيم يغزل الجنون ،
 مهرجا حزين ؟
 - اراك في الصحراء كهفا صامتا
 انعس مما كنت من سنين

الا الا تسمع صوتا وصدى
 يغري كهوف الصمت بالهزيع
 كأنما جذرانها تحولت صنوج ؟
 الا ترى ملء وريدي خمرة الشمس
 عروقي شجرة البهار
 دمي يحيل العفن الجاري
 ثريات من العافية الخضراء والثمار ؟
 الا ترى في فوهة البركان وجهي عاريا
 والنار تجتر نعالِي
 ثم ترميها الى السفوح
 ودخنة من رثتي
 دخنة نار ودم
 تروى عروق الرب حتى ينتشي ،
 يبوح ؟

۔ لست اری

– اني ارى الطريق
من اخرس الاصداء والبروق
من احرق العتمة والظنون
كأنها من قبل ما كانت ولن تكون
اضحك من بصارة الحي
وما لفق جن ساخر لعين .

بيروت خليل حاوي



المصنفون والبناء الفكري

بقلم كارل مانهايم ترجمة هاني مشراوي

مقدمة *

كارل مانهايم من فلاسفة الاجتماع السياسي الألمان الذين تناولوا قضايا الفكر والسياسة بالتحليل والتدقيق ، وهو من الذين لم يستطيعوا ان يقولوا الكلمة الشريفة داخل بلادهم في العهد النازي فخرج ليقولها خارج بلاده في لندن والولايات المتحدة .

وكان من أهم ما كتب فيه كارل مانهايم ، علم الاجتماع المعرفي او تفسير المعرفة الإنسانية من خلال الواقع الاجتماعي ، وقد كان هذا الموضوع - بعد ان عولج من زاوية معينة عند ماركس - يعالج بطريقة مثالية عند من جاءوا بعده مثل ماكس شيلر وسوروكين وغيرهم ولكن كارل مانهايم واصل طريق المفكرين الجدليين في هذا العدد الذين يؤمنون بان الفكر صادر عن الحياة والعمليات الاجتماعية ، وان الفكر ليس مجرد انعكاس لهذه الحياة .

وهو وان كان يصدر مع كارل ماركس عن نبع واحدة او جذور فلسفية واحدة ، الا انه يبدو مؤثلا معه احيانا في نفس الموضوع و احيانا اخرى في تعدد الموضوعات التي يعالجها . فالاجتماع المعرفي يتطلب معالجة العوامل الاجتماعية او العمليات المؤثرة في الفكر ثم تحديد اي الجوانب الفكرية اكثر تأثرا بها ، ثم معالجة طبيعة العلاقة بين الفكر وهذه العوامل . و كارل مانهايم كان دائما يفتك بالعامل السياسي ويرى انه من الصعب ان يفصل المرء بين التركيب السياسي والاقتصادي ، وان كان يشير دائما الى أهمية العامل الاقتصادي في تكوين الطوائف والطبقات التي تشكل البناء السياسي المؤثر في المجتمع . ومن اجل ذلك اهتم بعلم السياسة ، وقال ان الطائفة الاجتماعية التي سترتفع عن حدود المصالح الطبقة المادية في تفكيرها هي التي ستحدد على يدها الموضوعية في علم السياسة ، وهي التي ستصوغ الايديولوجية الكلية الجديدة في المجتمع قائمة على الادراك الموضوعي للايديولوجيات الطبقة الفرعية فيه . وقال ان التعليم هو الذي سيرفع من ادراك الطبقة المثقفة للعوامل الطبقة ومن هنا تخف حدة العامل الاقتصادي وتبرز أهمية العامل السياسي .

اما بالنسبة للجوانب الفكرية التي تتأثر بالعوامل الاجتماعية المذكورة فلم يكن كارل مانهايم حاسما او حتميا فيها كما فعل ماركس وانما اعترف مانهايم بالامر الواقع وقال ان العلوم الاجتماعية او الفكر الاجتماعي هو اكثر فروع المعرفة تأثرا بالظروف الاجتماعية للفكر . اما العلوم الطبيعية فلا تخضع بنفس الدرجة ، الا ان التقدم فيها محدود ولا شك بما تتيحه الظروف الاجتماعية لها سواء بالايديولوجية التي تحدد درجة قبول التفكير العلمي او الفرصة التي يتركها التعليم لمواصلة البحث .

وقد اثارت مشكلة خضوع التقدم العلمي للظروف الاجتماعية والبناء الايديولوجي مشكلة فلسفية عالجها كارل مانهايم بحكمة ، فقد هاجم

Ideology and Utopia

عن كتاب

لكارل مانهايم ، والمترجم عن الألمانية في شيكاغو عام ١٩٢٦

المعتزرون الاجتماع المعرفي على اساس انه لا يتيح « للحقيقة » العلمية ان تكون حقيقة في ذاتها والعلم كما يقولون لا يتقدم الا بمدى ما يثبت من حقائق ، اما الاجتماع المعرفي فيجعل الحقيقة « نسبية » ومن هنا يستحيل وجود العلم . ولكن مانهايم سارع بتأكيد الفرق بين النسبية Relativism وبين العلاقة Relationism

فالاولى نسبية فردية تختلف باختلاف ذهن الفرد ويستحيل اذائها التحقق التجريبي المشترك وهو ما شاع عند بعض الفلاسفة واولهم السوفسطائيون . اما العلاقة فهي التي تصور الافكار وهي تصدر عن علاقة بين الفكر والظروف الاجتماعية وبقدر ما يكشف عن هذه العلاقة بقدر ما تتأكد « حقيقة الفكرة » او تعرف طبيعة هذه الحقيقة .

من اجل ذلك لم يقف مانهايم عند التفسير الطبقي للافكار او الايديولوجيا لان ذلك يجمد الحقائق الاجتماعية عند وجهة نظر معينة ، وانما تعدى ذلك الى القول بانه ما دامت الطبقة المثقفة ستحاول ادراك طبيعة « العلاقة » بين الافكار والطبقة الصادرة عنها فانها ستحاول ان تكون « ايديولوجية كلية » على اساس موضوعي تفذي بها الايديولوجيات الصاعدة وتثريها وتقف بها بجانب اصحاب الحق في المجتمع وهي تفصل ذلك مختارة في ظروف من الحرية تستمر انشاء تكوين الايديولوجية الكلية وبعدها .

لقد جاء مانهايم الى التثقيف الألمان بحلول لازمتهم ازاء القهر النازي ووضع خطوط علم السياسة الجديدة وحل مشكلاته مثل البناء الفكري والطوائف الاجتماعية .. الخ .

وقد ساهم كارل مانهايم بجهوده العلمية في اكثر من ميدان ، ففي كتابه « الانسان والمجتمع » Man and Society وضع خطوط التخطيط والتركيب والترشيد الاجتماعي وحدد العناصر الضابطة في المجتمع من تراث الى ثقافة ... الخ . وفي كتابه « تشخيص عصرنا » Diagnosis of our Time

وضع اسس البناء الاجتماعي الجديد . وله عدة مقالات وبحوث اخرى مما تحتاج الى ان يفرده مقال لعرض فلسفته كاملة والتعريف به . والذي ارجو ان يتمتع المثقفون في المجتمع العربي اراء مانهايم وان توضع موضع المناقشة والبحث في معرفة البناء الايديولوجي الجديد على ان يثق المثقفون في انفسهم وان يجعلوا من « طبيعتهم » و « الثقافة » و « الحرية » و « الظروف التاريخية » كما يقول مانهايم معالم طريقهم .

المترجم



كيف يمكننا ان نتصور هؤلاء الذين يحملون البناء الفكري الاجتماعي (١)

(١) المقصود بالبناء الفكري هنا ترجمة كلمة Perspective

وقد اتفق الكاتب في فصل سابق من الكتاب على استخدام هذه الكلمة بدلا لكلمة $\lambda\theta\omicron\lambda\omicron\epsilon\pi\iota$ التي يخشى ان تتضمن تقييما للفكر او شيئا من هذا القبيل فوجد ان هذه الكلمة اصلح للتعبير عن منظور الفكر كله ورأينا ان نتفق على ترجمتها كذلك لتؤدي هذا المعنى .

والسياسي ؟ وما هي المصالح السياسية التي تقوم على مشكلة البناء الفكري في المجتمع ؟ ومن الذين سيجتهدون لتحقيق هذا البناء .
اننا لو اخذنا بمبدأ المطلق الابدي ولم نتوخ فيه اقامة بناء فكري نسبي دينامي فسندرك الى حالة من الجمود الفكري ، كما اننا سنتعرض لخطر انتقاد التأكيد على طبيعة ارتباط الفكر السياسي بالمصالح ، او ننتهي الى افتراض ان البناء الفكري يصدر عن مصدر خارج النطاق السياسي .
فاذا ما اكندا ان الفكر السياسي مرتبط دائما بوضع معين في النظام الاجتماعي ، فلا بد من افتراض ان الاتجاه نحو بناء فكري كلي لابد ان يتمثل في ارادة فئة اجتماعيه معينة .

والحق ان نظرة واحدة الى تاريخ الفكر السياسي ستبين ان الذين تحدثوا عن البناء الفكري كانوا دائما يمثلون فئة اجتماعيه معينة ، هي اساسا من الطبقات التي تشعر بالتهديد من اعلى ومن اسفل والتسي تسمى - خارج نطاق الضرورة الاجتماعية - الى طريق وسط . ولكن هذا البحث عن التوفيق ياخذ منذ البداية صورة ستاتيكية او ديناميكية .
والوضع الاجتماعي للطبقة التي ينتسب اليها حملة البناء الفكري يحدد الى حد كبير اي هذه الصور هو الذي يتحقق في المجتمع .

ولما كان من اول الصور الاستاتيكية للتوسط بين الطرفين الموقف الذي حاولت ان تتخذه البرجوازية المنتصرة ، خاصة في عصر الملكية البرجوازية بفرنسا حيث عبرت عن ذلك بمبدأ « الوسط المعدل » Juste milieu وتعد هذه العبارة الخادمة كاريكاتيرا للبناء الفكري الحقيقي في ذلك الحين اكثر منها حلا ، اذ ان الحل لا يكون الا في صورة ديناميكية ، ولهذا السبب يجب ان نبين الاخطاء التي يجب ان يتحاشاها اي حل للمشكلات الاجتماعية .

ان البناء الفكري الحقيقي ليس متوسطا حسابيا لمختلف الاموال التي تحلم بها طبقات المجتمع ولو كان كذلك لاتجه الى مجرد تثبيت الوضع الراهن (البرجوازي) الذي يتمتع بالحكم والذي يرغب في حماية مكاسبه من هجوم « اليمين » و « اليسار » على السواء . ولكن الامر على العكس من ذلك فالبناء الفكري الصحيح لابد ان يقوم على وضع سياسي يشكل دفعا تقدما ، ان يحتفظ ويتنفع بالمكاسب الثقافية المتراكمة والطاقات الاجتماعية للعصور السابقة .

وفي نفس الوقت لابد ان يشمل النظام الجديد اوسع القطاعات في الحياة الاجتماعية ، وان تكون له جذور طبيعية في المجتمع ، حتى يتيح للتغير ان يتم . ويدعو هذا الوضع الى الانتباه الخاص للظروف التاريخية الحاضرة . اننا لابد ان نأخذ في الاعتبار كلمتي « هنا » و « الان » بالمعنى التاريخي والاجتماعي وان نذكرهما دائما لتحديد ماهو ضروري وما ليس ممكنا ازاء اي قضية .

مثل هذه النظرة التجريبية الحساسة دائما بالنسبة لطبيعة المجتمع الديناميه وكيته ، لايجتهد ان تتطور على يد الطبقة الوسطى ، بل تنميتها فئة ليس لها وضع طبقي « نسبيا » ولا تتمتع بوضع ثابت في النظام الاجتماعي . وستؤدي دراسة التاريخ من هذه الزاوية الى افكار مشمسة .

وهذه الطائفة اللابديه نسبيا وغير المستقرة هي على حد تعبير « الفريد فير » « الطبقة المثقفة الغير المرتبطة اجتماعيا » (٢) ومن المستحيل ان نعطي في هذا الصدد الخطوط العامة للمشكلة الاجتماعية الصعبة التي تنشأ من وجود المثقف ، لان المشكلة التي نناقشها لا يمكن ان تصاغ او تحل جيدا دون التعرض لبعض جوانب الوضع الذي يتخذه المثقفون . وعلم الاجتماع الذي توجهه نظرية الطبقات الاجتماعية - الاقتصادية فقط ، لن يفهم جيدا هذه الظاهرة ، اذ ان المثقفين طبقا لهذه النظرية لايشكلون طبقة مستقلة او على الاقل ملحقا لطبقة ، ومع

(٢) التعبير هنا ترجمة Socially Unattached Intelligentsia ويعني بها الفئة التي لا تنسب لطبقة معينة .

ذلك فقد تستطيع هذه النظرية ان تصف وصفا صحيحا بعض محددات ومكونات هذه الفئة الاجتماعية اللامتنية ولكنها لاتشمل صفاتها الاجتماعية الاساسية كلها ، فمن الصحيح طبعا ان جزءا كبيرا من المثقفين عندنا من ابناء الطبقة المؤجرة الذين يعتمد دخلهم بطريق مباشر او غير مباشر على الايجارات وارباح الاستثمارات ، ويدخل في ذلك ان تصبح بعض طوائف الموظفين والمهن الحرة من افراد الطبقة المثقفة ، وسيبين الفحص الدقيق للاسس الاجتماعية لهذه الطوائف انهم اقل اندماجا مع طبقة معينة من هؤلاء الذين يشاركون بصورة مباشرة في الانتاج الاقتصادي .

وسيكشف اتمام هذه النظرية الاجتماعية بنظرة تاريخية عن كثير من الاختلاف وعدم التجانس بين المثقفين ، اذ ان التغير في العلاقات الطبقيه في مختلف العصور يؤثر على بعض هذه الطوائف تأثيرا طيبا وبعضها الاخر تأثيرا سيئا وبالتالي لايمكن ان نصفهم بالتجانس .
ومع انهم على درجة من الاختلاف بحيث لايمكن اعتبارهم فئة واحدة، الا ان هناك رابطا اجتماعيا واحدا بين جميع طوائف المثقفين هو التعليم الذي يربط بينهم بطريقة ملفتة للنظر . فالاشتراك في تراث تعليمي واحد يميل كلما تقدم ، الى محو الاختلافات الناشئة عن المولد والمركز والمهن والثروة ، كما انه يوحد بين المثقفين على اساس التعليم الذي تلقوه .

وفي رأيي انه ليس هناك اكثر خطأ من اساءة تفسير هذه الفكرة والقول بان رباط الطبقة والوضع الاجتماعي يختفي تماما بفضل هذا التعليم . ان هذا الاتجاه الجديد في الربط بين المثقفين يتميز خاصة بان يحتفظ بعناصر تكوينها المتعددة في شتى صورها ، وذلك بايجاد وسط متجانس تستطيع الاتجاهات المتصارعة ان تخبر فيه قوتها . والتعليم الحديث من اوله صراع حي وصورة طبق الاصل - على نطاق

من منشورات دار الاداب

دواوين نزار قباني

زينة لكل مكتبة

الثلثم

قائد نزار قباني	٣٠٠ ق.ل
قالت لي السماء	٣٠٠ ق.ل
طفولة نهد	٣٠٠ ق.ل
سامبا	١٠٠ ق.ل
انت لي	٢٥٠ ق.ل

دار الاداب

بيروت - ص.ب ٤١٢٢

المالكة « و « الطبقة المتعلمة » التي تكون على اتفاق من الناحية
الايديولوجية مع ذوي الاملاك .

وفي وسط المجتمع الحديث الذي يقسمه الشقاق الطبقي نفسه
عميقا تنشأ فئة لا يستطيع علم الاجتماع الذي توجهه المصطلحات الطبعية
وحدها ان يفهمها فهما دقيقا . ومع ذلك فان الوضع الاجتماعي الخاص
بهذه الفئة يمكن ان يميزها تماما . فرغم انها تقع بين الطبقات الا انها
لا تشكل طبقة وسطى ولا يعني ذلك طبعا انها معلقة في فراغ لا تدخل فيه
المصالح الاجتماعية ، بل على العكس فهي تضم كل هذه المصالح التي
تحتويها الحياة الاجتماعية . وبازدياد واختلاف عدد الطبقات التي تصدر
عنها فئات المثقفين ينشأ الاختلاف والتنقلص في الاتجاهات التي تعمل
على المستوى الثقافي الذي يربطهم ببعضهم ، ويساهم الفرد بقدر قل او
كث في الاتجاهات المتعددة المتصارعة .

وبينما نجد ان هؤلاء الذين يشاركون في عمليات الانتاج بشكل مباشر
(مثل العمال والمقاولين المرتبطين بطبقة معينة واسلوب معين في الحياة)
ذوو وجهات نظر ووجه نشاط محددة بوضعهم الاجتماعي المعين تعيينا
حاسما ، نجد ان المثقفين - بجانب وجود اثار طبقتهم الذي لا شك فيه
محدودون في نظرتهم بالبيئة الثقافية التي تضم كل وجهات النظر
المتعارضة . ويدفع هذا الوضع الاجتماعي دائما بالطاقة الكامنة فني
كبار المثقفين الى تطوير السياسة الاجتماعية التي تعتبر ضرورية والى
ان ينسقوا خططهم ازاء القوى المتصارعة ديناميا ، وهذا خلاف ما كان
يحدث في بحث صحة وجهات النظر في خلال الوضع السائد لا بالصراع
الدينامي .

وقد تحقق كذلك - وخاصة عن طريق الارتباط الثقافي بين هذه
الفئة ونوع من الفهم المباشر للموقف الكلي حتى ان الاتجاه نحو انبثاء
الفكري الدينامي كثيرا ما يعاود الظهور رغم التحلل المؤقت الذي مازال
علينا ان نعالجه .

وقد تأكد الان تأكيدا قاطعا الاثر السلبي الذي ينتج من عدم ارتباط
المثقفين وعدم استقرارهم وسيادة صفة الثاني في عقليتهم ، اذ انها كانت
في فترة ما على وجه الخصوص الفئة المتطرفة سياسيا والتي اعتبرت
تشئت التعاطف نوعا من التميع . ويبقى ان نتساءل عما اذا لم يكن اي
قرار في جانب التوسط الدينامي - حتى على الصعيد السياسي - اكثر
من قرار في جانب التمسك اللا حقيقي لنظريات الامس او التأكيد على
جانب واحد من نظريات القد .

هناك طريقان للسلوك سلكتهما بالفعل الطبقة المثقفة غير المنتمة كطرق
مختلفة عن موقف التوسط هذا :

اولهما : الانحياز الارادي لطبقة او اخرى من مختلف الطبقات
المتصارعة .

ثانيهما : البحث عن اهداف اجتماعية خاصة بهم ، وطلب تنفيذ
رسالتهم كمدافعين حتميين عن المصالح الثقافية للجميع .

اما بالنسبة للطريقة الاولى ، فانه لا بد من وجود المثقفين غير المنتمين
في جميع المعسكرات على مر التاريخ . ولذا فغالبا ما كان يخرج من بينهم
اصحاب النظريات المواليون للمحافظين الذين لا يستطيعون الا بصعوبة
بسبب استقرارهم الاجتماعي ان يكونوا على وعي نظري بانفسهم .
وبالمثل يخرج اصحاب النظريات من المثقفين ليقفوا بجانب البروليتاريا
التي تحتاج بسبب ظروفها الاجتماعية الى اكتساب المعرفة الضرورية
للصراع السياسي الحديث . هذا وقد ناقشنا من قبل انتسابهم السى
البرجوازية المتحررة .

وقد كان للمثقفين هذه القدرة على ربط انفسهم بطبقات لا ينتمون
اليها اصلا لانهم يستطيعون تكييف انفسهم مع اي وجهة نظر ولأنهم
وحدهم الذين كانوا في وضع يسمح لهم باختيار المعسكر الذي ينتمون
له ، بينما كان من النادر لهؤلاء الذين يرتبطون بالروابط الطبعية المباشرة
ان يستطيعوا التعالي عن حدود نظرة طبقتهم . واختيار المثقفين الارتباط
بالصراع السياسي بطبقة معينة يدمجهم مع هذه الطبقة أثناء الصراع
ولكن لا يعفيهم من عدم ثقة الافراد الاصليين لهذه الطبقة . وعدم الثقة

ضيق - لاهداف والاتجاهات المتصارعة ، التي تثيق في المجتمع على
نطاق واسع . وعلى ذلك فالمثقف - بقدر ما يهتم بافقه الثقافي - محدود
بظروف مختلفة . فهذا التراث التربوي المكتسب يخضعه لتأثير
الاتجاهات المعارضة في الواقع الاجتماعي ، بينما نجد الشخص الذي
يشارك مباشرة في العملية الاجتماعية للانتاج ولا يوجه تعليمه نحو
الكل الاجتماعي يميل الى تشرب المعارف العامة لطبقته ، ويتصرف بدقة
تحت تأثير الظروف التي وضعها هذا الموقف الاجتماعي المباشر .

ومن اكثر الحقائق المثيرة عن الحياة الحديثة ان النشاط العقلي
فيها - بعكس الحضارات السابقة - لا يقتصر على طبقة محددة تحديدا
اجتماعيا دقيقا مثل رجال الدين وانما تقوم به فئة لا تنتمي لاي طبقة
اجتماعية الى حد كبير ، كما انها تأتي من نطاق اجتماعي واسع ومتزايد .
وتحدد هذه الحقيقة الاجتماعية بشكل جوهري وحدة العقل الحديث
الذي لا يعتمد على نفوذ رجال الدين بالذات كما انه ليس مغلقا او محدودا
- ولكنه عقل دينامي من في حالة دائمة من الصيرورة تواجهه دائما
المشاكل الجديدة . بل ان النزعة الانسانية ذاتها تعبر عن هذه الفئة
المتحررة اجتماعيا .

وبينما كانت طبقة النبلاء وهي التي تتمتع الثقافة ، فان الطبقة
الجديدة قد حطمت جمود الارتباط العقلي بالطبقة في كثير من الوجوه ،
الا ان مستوى الحياة الثقافية حتى عصر السيطرة البرجوازية لم يكن
قد انفصل انفصالا حاسما عن الارتباط بطبقة معينة .

لقد كان للبرجوازية الحديثة منذ البداية جذور اجتماعية ذات شقين ،
فبينما كان البعض من اصحاب رؤوس الاموال نجد البعض الاخر افرادا
كل راسمالهم هو التعليم . وكان من الشائع استخدام كلمتي « الطبقة

دار الثقافة تقدم بمناسبة اسبوع الكتاب

مؤلفات شيخ الارباب مارون بكس عبود

اردب العرب	٨٠٠
على الطائر	٥٠٠
نقدات عابر	٥٠٠
سبل وضاهج	٤٠٠
جهد وقدر	٤٠٠
امارات القرية	٢٥٠
من الجراب	٢٠٠
قبل انهار البركان	٢٥٠
مبلى ورق	١٠٠
على المحك	٤٠٠
اشباح ورموز	١٥٠
رود النضرة	٣٠٠
في المختبر	٣٧٥
دمقس واجوان	٣٥٠
وجوه ومكايات	٣٠٠

تحت الطبع

فارس آغا

مذكراتي . العجول المسمنة

المجددون والمجددون « طبعة ثانية »

تطلب هذه المطبوعات ومساها من الناشر
دار الثقافة ص ٤٣٣ ومجموعات المكتبات

واتجاهاتها من العمل الجماهيري نجد ان السلوك السياسي الذي يبحث عن وسائل تأييد أخرى - خارج نطاق الجماهير - لن يكون ممكنا . ولا يعني هذا على اي حال ان يمنع وضع المثقفين الخاص في المجتمع من تحقيق اشياء ذات اهمية بالغة للحياة الاجتماعية ككل . ومن اهم هذه الاشياء التعرف على الوضع الذي يمكن منه تحقيق البناء الفكري الكلي Total Perspective وبالتالي فانه يمكنهم ان يلعبوا دور المراقبين فيما قد يكون ظلما حالكا .

لأننا نشك فيما اذا كان من المرغوب ان يلقوا الى البحر بجميع الامكانيات التي تنشأ عن وضعهم الخاص ان كل جماعة ذات وضع طبقي محدد تماما - قل هذا التحديد او زاد - لابد وان لها وجهة نظر سياسية مقرر . وحيث لا يكون الامر كذلك مثلما هو الحال مع المثقفين يصبح هناك مجال واسع للاختيار وحاجة ملحة الى الاتجاه الكلي والبناء الفكري العام . وغالبا ما يوجد هذا الاتجاه الاخير الناشئ عن وضع المثقفين حتى لو لم تؤد العلاقة بين مختلف الجماعات الى تكوين حزب موحد . وشبيه بذلك ان يظل المثقفون قادرين على الوصول الى اتجاه كلي حتى حين يرتبطون بحزب معين فهل تعبر القدرة على اكتساب وجهة نظر اوسع مجرد احتمال ؟ اليس من رسالة المثقفين في الوقت الحاضر ان يكونوا وجهة النظر هذه ؟ ان ذلك الذي له بالفعل حق الاختيار هو الذي يستطيع فهم البناء الاجتماعي والتاريخي ككل . وتعد هذه الفترة بالذات وهذه المرحلة من البحث او التأمل ، النقطة الاجتماعية التي يمكن ان ينطلق منها السعي الى تحقيق بناء ايدلوجي كلي . ولكن اتخاذ قرار ما لا يكون ممكنا حقا الا تحت ظروف من الحرية تقوم على امكانية الاختيار التي لابد ان تظل قائمة حتى بعد اتخاذ القرار . ونحن نعتز اماكن التداخل والتفاهم المتبادل بين التيارات الفكرية الى وجود مثل هذه الطائفة الوسطى اللامتنية ، والمفتوحة دائما لافراد الطبقات الاجتماعية الشديدة الاختلاف بجميع وجهات نظرها . وفي ظل هذه الظروف وحدها يمكن ان ينشأ البناء الفكري التجدد المتسع الذي اشرنا اليه .

هذه هو العلامة الوحيدة على مايقوله علم الاجتماع من ان اندماج المثقفين في طبقة خارجة عن طبقتهم محدد بالخصائص النفسية والاجتماعية لهم انفسهم ، وخاصة الانتماء الى الطبقة المثقفة تفسر - من الناحية الاجتماعية - احتمال ان يغير البروليتاري الذي يصبح مثقفا شخصيته الاجتماعية . وليس هنا مجال دراسة احدى الحالات عن الطريقة التي واجه بها احد المثقفين عدم الثقة هذه ، وانما نريد ان نشير الى ضرورة فهم تعصب المثقفين المتطرفين على ضوء هذه الحقيقة فهي تدل على التوفيق النفسي عن الحاجة الى الاندماج الاساسي مع طبقة معينة ، وضرورة التقلب على عدم الثقة في انفسهم وعدم ثقة الآخرين بهم .

وطبعي ان يستنكر الرء الطريق الذي يسلكه بعض المثقفين الذي لانهاية له ولكننا هنا لانهمم الا بتفسير هذا السلوك عن طريق وضع المثقفين في البناء الاجتماعي ككل . وقد ينظر الى هذا التقصير او التطرف الاجتماعي على انه مجرد سوء استخدام لوضعهم الاجتماعي .

فالغرض ، بدلا من ان يركز طاقاته على الامكانيات الايجابية للموقف يقع ضحية الاغراءات الكامنة فيه ، ولا شيء اكثر خطا من ان يحكم المرء على وظيفة طائفة اجتماعية معينة بناء على سلوك ارتدادي لبعض افرادها وان يفشل في فهم ان « الحاجة الى الاقتناع » عند المثقفين هي مجرد الجانب الاخر للحقيقة القائلة بانهم وحدهم في وضع لابد ان يتوفر فيه الاقتناع العقلي . وعلى مر الايام يمكن النظر الى التاريخ على انه سلسلة من المحاولات والاشياء ، حتى ليمكن ان يكون للاخطاء قيمة تجريبية ، وبمرور التاريخ اصبح المثقفون الذين لا ينتسبون الى طبقة معينة فسي المجتمع هم اكثر الناس تعرضا للفشل . ولا بد ان تؤدي محاولات المثقفين المتكررة لربط انفسهم بالطبقات الاخرى والرفض الذي ووجهوا به الى مفهوم اوضح لمعنى وقيمة الوضع الاجتماعي الخاص بالمثقفين . والطريقة الاولى للسلوك - حتى خارج نطاق المثقفين - وهي الارتباط المباشر بالطبقات والاحزاب تبين الاتجاه - ولو عن غير وعي - نحو البناء الفكر الدينامي . ومن المعتاد ان الطبقة المحتاجة الى التطور العقلي هي التي تحظى بتأييدهم . ولقد كان صراع المثقفين منذ اول الامر هو الذي نقل صراع المصالح الى صراع الافكار . وهذه المحاولة لرفع صراع المصالح الى المستوى الروحي فيها جانبان :

فقد كان معناها من ناحية التمجيد الاجوف للمصالح المكشوفة عن طريق نسج الاكاذيب من جانب المدافعين عنها ، ومن ناحية اخرى كان معناها بطريقة اكثر ايجابية تحول بعض المطالب الثقافية الى السياسة العملية . وفي مقابل تعاونهم مع الاحزاب والطبقات اصبح المثقفون قادرين على القيام بهذا التحويل ولو لم يكن لهم فضل غير ذلك ، فان هذا يعتبر من اهم مآحقوقه . وان وظيفتهم هي النفاذ الى داخل الاطراف المتصارعة لجبارهم على قبول مطالبهم .

وقد يبين هذا النشاط الى حد كبير - من الناحية التاريخية - اين تقع الخاصية الاجتماعية ورسالة هذه الفئة - اللامتنية .

والطريقة الثانية التي سلكتها ازمة المثقفين ، تقع على وجه التحديد في كونها واعية بوصفها الاجتماعي ورسالتها التي يتضمنها هذا الوعي . وحين يتحقق ذلك فان التأييد او المعارضة السياسية ستتقرر على اساس من الاتجاه الواعي في المجتمع طبقا لمطالب الحياة الثقافية .

ومن الاتجاهات الرئيسية في العالم الحديث ، الانتباه التدريجي الى الشعور الطبقي عند كل الطبقات ، واذا كان الامر كذلك فسيستبعد وصول المثقفين الى درجة من الوعي بوضعهم الاجتماعي العام ومشكلاتهم والامكانيات التي تكمن فيها وان لم يكن ذلك الوعي وعيا طبقي . لقد كان لوضع المثقفين كظاهرة اجتماعية واتخاذهم موقفا سياسيا على هذا الاساس ، تقاليده الخاصة في التاريخ كما كان الامر كذلك حين اندمجوا مع الطبقات الاخرى .

ولسنا هنا بصدد بحث امكانيات السياسة التي من المناسب ان يتبعها المثقفون ولكن المحتمل ان يبين بحثها عدم قدرة المثقفين في الوقت الحاضر على ان يصيروا ذوي فاعلية سياسية مستقلة . ففي مثل عصرنا هذا ، حيث اصبحت المصالح والاضوااع الطبقيية محدودة بشدة وتستمد قوتها

صدر حديثا :

الْعَطِنَا حُبًّا

ديوان جديد للشاعرة المبدعة

فدوى طوقان

دار الاداب - بيروت

وقد تضمنت الحركة الرومانسية - نتيجة وضعها الاجتماعي - توسعا ديناميا واسع النطاق بين وجهات نظر المتصارعة ، ولكن كان من طبيعة هذه القضية ان أدت الى وجهة نظر محافظة . وقد استبدل الجيل الذي جاء بعدها هذه النظرة بنظرة اخرى ثورية تتفق مع حاجات العصر . والمسألة الجوهرية اذن ، هي ان محاولة جعل هذا التوسط سياسية حية وربط الاواقف السياسية باتجاه عام سابق لايمكن ان توجد الا في هذا الخط التطوري .

ومن المتوقع اليوم - أكثر من أي وقت آخر - ان توجد هذه الفئة الوسطى الدينامية التي ستجاهد لخلق شكل سياسي خارج نطاق المدارس الحزبية يمكن معه تأمين البناء الفكري العام والاهتمام به . ونحن مدينون بهذه الاتجاهات الحزبية على وجه التحديد بالتحقق من تحيز وخصوصيته المصالح والمعرفة السياسية . ولم يكن من الممكن ان تفهم كيف تعتبر السياسة علما الا اليوم ، بعد ان ان اصبحنا على وعي بجميع التيارات واستطعنا فهم العملية الكلية التي تنفوس بها الاهتمامات السياسية والمعارف العامة تحت ضوء الحياة الاجتماعية المحسوسة . وما دام من المحتسب - طبقا لروح هذا العصر - ان تنشأ كثير من المدارس الحزبية - فإن من المطلوب ان نقيم بناء عاما في الثقافة سواء اكان في الجامعات او معاهد التعليم العليا التي تخدم تقدم هذه الصورة لعلم الساسة وليس افضل من ان يتمثل المثقفون الذين لديهم اساس في المصالح الطبقية وجهة النظر هذه - وخاصة في شبابهم حتى يتمثلوا مفهوم الكل الاجتماعي .

وفي استطاعة علم الاجتماع السياسي الذي لا يهدف الى اتخاذ قرارات لكنه يهدف الطريق للوصول الى قرارات ، ان يفهم العلاقات في المجال السياسي والتي كان نادرا ما يمكن ملاحظتها من قبل ، وسيكون مثل هذا العلم ذا قيمة على وجه الخصوص في لقاء الضوء على طبيعة روابط المصلحة من الناحية الاجتماعية كما سيكشف عن العوامل المتعددة التي تكمن وراء الاحكام الطبقية ، والطريقة التي ترتبط بها القوى الاجتماعية بالمصالح الطبقية التي يجب ان يضعها في الاعتبار كل من يعالج موضوع السياسة اذ ان بعض المصالح تقوم على تقاليد معينة تعتمد بدورها على محدودات كامنة في بناء الموقف الاجتماعي . والذي يستطيع وضع المشكلة على هذا النحو هو الذي يكون في مركز يسمح له ان ينقل الى الآخرين صورة لتكوين الجو السياسي وان يساعد في ادراك مفهوم كامل نسبي للكل الاجتماعي . وسيلقى هذا الانجساح في البحث الضوء على طبيعة الفكر السياسي والتاريخي موضحا اكثر العلاقات التي توجد دائما بين مفاهيم التاريخ ووجهات النظر السياسية .

ولتلخيص هذا نقول : مهما كانت مصالحك فانها مصالحك كشخص سياسي ، اما ان لك هذه المصالح او تلك فان ذلك يحتم عليك ان تفعل شيئا ما لتحقيقها ، وانه يجب ان تعرف وضعك بالضبط في العملية الاجتماعية الكلية .

وبينما نعتقد نحن ان المصالح والاهداف لا يمكن تعلمها فانه من الممكن البحث في العلاقات البنائية بين الحكم ووجهة النظر ، بين العملية الاجتماعية وتطور المصالح . والذين يطالبون بجعل السياسة علما ، يعلم المعايير والاهداف لا بد ان يعرفوا ان هذا الطلب يتضمن انكار الحقيقة السياسية ، والشئ الوحيد الذي يمكن ان نطلبه من علم السياسة هو ان يرى الحقيقة بعين الكائنات البشرية الفاعلة وان يعلم الناس عمليا فهم منافسهم على ضوء هذه الاهداف العملية وعلى ضوء مركزهم في الموقف التاريخي الاجتماعي .

ولا بد ان يكون علم الاجتماع السياسي بهذا المعنى موائما لوظيفته كاحسن مركب ممكن لاتجاهات هذا العصر وان يعلم ما يمكن تعليمه فقط اي العلاقات البنائية لان الاحكام نفسها لا يمكن تعلمها ولكننا يمكن ان نصير على وعي بها حتى يمكن تفسيرها .

ترجمة : حلمي شعراوي

تقتر

دار العالم للملايين

بان تقسيم الى فتراتها مناسبة أسبوع
الكتاب ، أقوى مجموعة من الكتب القيمة :

للعلامة الشيخ محمد جواد مغنية

○ معالم الفلسفة الإسلامية

وهل كانت ثورة العراق حقيقة تأليف
الدكتور عبد الرحمن البراز

○ صفحات من الأرض القرب

أول ترجمة كاملة لرافعة بيرل باك الفائزة
بجائزة نوبل ، تعريب الأستاذ منير الجعيلي

○ الأرض الطيبة

طبعة جديدة لرافعة فيكتور هيغو المشهورة

○ أحبب نوتردام

لمكسيم غوركي ، تعريب الأستاذ منير الجعيلي

○ زلزال من ليالي الخريف

للكور محمد المحذوب وهو الكتاب الثالث
من سلسلة "دراسات قومية"

○ أهمية المرأة أمام مصالح الأمة

قصة تاريخية لرافعة للأستاذ أكرم
الرافعي . وهي الكتاب الثالث
من سلسلة أفئاق عربية

○ قيم الرقوة

لأستاذ أنيس المصطفى

○ تطور الإسلام التاريخي في العراق العربي

للكور عارف فخر

○ الساب : سائر الحياة

سيرة حياة مشيرة لستيفان زفانغ

○ تاريخ اضطرابات

رواية تعليمية لرافعة لكون ولون
مؤلف كتاب "اللامنتي"

○ طقس في الظلام

تعريب الأستاذ منير الجعيلي

○ موت المرأة وامرأة وموت

اضخم مجموعة صور فوتوغرافية تمثل السكة
الفلسطينية مع تعليقات وشرح للأستاذ عارف الفاروق

○ النكبة في صور

الفرح

والفرحة الطفلة مبهورة
تزقزق اللحن وتغشي العطور !

★

يا فرحتي توابني كالحياب
لا تعمقي لا تعمقي في الصدور
ان تعمقي يحز فيها الاسى
والشوق والتوق ولهف الشعور

★

تراقصي تراقصي كالشعاع
على جناح الموج عند الاصيل
ورفرفي مثل الفراش الطليق
يمتص شهد الزهر ، عطر الحقول

★

هيا اجدلي في الدوح أرجوحة
واعلي بها وسط صفاء السماء !
موري وطيري واخفقي في الفضاء
وعانقي الزرقة عبي الضياء

★

موري وطيري واخلقي عالماً
مورد الخدين غض الخيال
وبعشري الالوان بين الدني
ونضري العيش بسر الجمال
اولاك ما طال به خطونا
ولا شربنا من يديه المحال

ملك عبد العزيز

القاهرة

كمثل ماء النبع اذ يفور
منبثقا وسط الحصى والصخور
مختلجا مكررا ضاحكا
مندفعا مجلجلا في هدير
يبعث الخضرة اتى سرى
ويرشق الدوح بنور الزهور
رذاذه الابيض كانت له
في منكب التل ظلال ونور
ظل من الخضرة معشوشب
ومن سنا الزهر رفيف يمور

★

كمثل ماء النبع اذ يفور
ينبثق السرور
من كوة في النفس مخبوءة
فجترها شيء خفي صغير .

★

لعله ربة كف حنون
لعله همسة قلب صديق
لعله نبرة صوت حبيب
يرجفها شوق خفي عميق
لعله دعاء طفل غريز
ماما ! .. ويلوي الثوب كف صغير !
او بسمة بيضاء مخضلة
بالحب ، بالبلل ، بدفق الشعور !
لعله عطر خفي رهيف
من زهرة قطرها الربيع
ليمونة عذراء مخبوءة
من كنّها الاخضر حلم يذوق
لعله ذكرى ليوم اثير
لعله لحظة نصر بهير



مع الأدباء :

٥ - أحمد حسن الزيات

تقديم فاروق مؤنس

« هذه هي الحلقة الخامسة من برنامج « مع الأدباء » الذي يقدمه البرنامج الثاني بإذاعة القاهرة ، بقصد الكشف عن عالم أدبائنا الكبار ، عن طريق توجيه الأسئلة التي تتضمن مختلف ما يثيره انتاجهم من قضايا ، والتي تتطلب تحديد آرائهم في القضايا الادبية الراهنة »

السؤال الاول :

في حياة كل كاتب ادب عالمي تأثر به في انتاجه الادبي ، وأدباء معينون تأثر بهم في ادبه وحياته معا . . فما الادب الذي تأثرت به ؟ ومن هم الادباء الذين اعجبت بهم وآمنت بطريقتهم في الادب والحياة ؟

الاجابة :

الادب العالمي الذي تأثرت به بعد الادب العربي هو الادب الفرنسي وذلك لاسباب أهمها ان اللغة الفرنسية هي لغتي الثانية ، فمن الطبيعي ان اقرأ بها وان ابدأ بأدبها . والادب الفرنسي كالادب العربي يعتمد على بلاغة الاسلوب في الصورة والفكرة وعلى براعة الذهن في الخلق والتصوير . وهو اقرب الادب الاوربي الى اذواقنا الموهبة وعواطفنا المشبوبة ، ولعل للطباع المشتركة بين أمم البحر الابيض دخلا في ذلك . اما الادباء الذين اعجبت بهم فآثرهم من ادباء القرن التاسع عشر كهوجو ولامرتين وشاتوبريان وفلوبير ودودييه ، وهم يمثلون الادب الفرنسي في أوج ازدهاره ، وقد تأثرت بهم في تخليص اسلوبي من الفضول والحشو والسطحية والمبوعة ووصف الاشياء بالتقريب لا بالتحديد ، والتعمق في درس الموضوع والاحاطة بجملته وتفصيله وبيئته وجوه .

السؤال الثاني :

قمتم خلال حياتكم الادبية المديدة بعدد من الاعمال الجيدة في شتى حقول الادب ، لعل ابرزها هذه الترجمات التي كانت بمثابة نافذة واسعة نطل منها على ثقافة الغرب . ولكن الملاحظ ان اختياركم في الترجمة كانت ذات طابع رومانتيكي بحث - تمثل في آلام فرتر ورفائيل - فما سر التفاتكم الى هذا اللون بالذات ؟ وهل لو عدتم الى الترجمة مرة اخرى ، هل تعتقدون ان هذا اللون سيكون اقرب اليكم دون غيره من الاتجاهات الجديدة المعاصرة ؟

الاجابة :

كان الاسلوب الابتداعي او الرومانسي هو الاسلوب الغالب على المشاعر والاذواق في الشرق العربي اوائل هذا القرن ، لانه الاسلوب الذي يجمع بين الفكر والعاطفة والخيال في صورة جميلة من الفن ، ولان حياتنا الاجتماعية كانت لا تزال بسيطة لم تتعد بعد فلا تحتاج من الكاتب التحليل والتعليل والكشف ، ثم كنا وكان الناس يومئذ انفعاليين تتأثر بسبجات الخيال اكثر مما تتأثر بصدمات السواقع ، ونطرب للصور البينائية التي تهز القلب الوجدان اكثر مما نطرب للصور

الواقعية التي تحرك العقل والذهن .

ذلك الى انني كنت حين ترجمت آلام فرتر ورفائيل اعاني التجربة التي عاناها جيته ولامارتين . وهذا النوع من القصص الذي يتحدث فيه كاتب عبقرى عن نفسه وعن حبه وعن ماضيه احب انواع القصص الى نفسي . ولو عادت الى الدوافع التي دفعتني الى ترجمة آلام فرتر ورفائيل لترجمت بقية السلسلة التي اعجبتني من هذا النوع وهي هيلوز الجديدة ، ورينيه وآتالا وأدولف ودومينييك ، وماريون دليورم ومانون ليسكو ، وغرازيلا وجسان دي غريف . وما زلت اعتقد ان القصص الابتداعي هو ابلغ القصص في تربية الذوق وتهذيب الفريضة وتقوية الروح وتنمية العاطفة ، وهي القومات الجوهرية لشخصية الانسان المتمكن .

السؤال الثالث :

هناك اجماع من النقاد والقراء معا على انك رائد لمدرسة فن الاسلوب . ولقد ترك هذا الاسلوب اثارا بعيدا الغور في نفوس كل من عاصروه ، فهل نسمع منك الان تفسيرا لاهتمامكم بالاسلوب الى هذا الحد ؟ وهل تعتقدون ان الاسلوب يمثل مشكلة فنية خاصة بالنسبة لادبنا ؟

الاسلوب كما عرفته في كتابي « دفاع عن البلاغة » هو طريقة الكاتب او الشاعر الخاصة في اختيار الالفاظ وتاليف الكلام . وهو مظهر تلك الهندسة الروحية للملكة البلاغة النفسية ، يبرزها للحس ، ويصل بينها وبين الذهن وينقل اثرها المصمر الى الاغراض المختلفة والغايات البعيدة .

والبلاغة التي اعنيها هي البلاغة التي لا تفصل بين العقل والنطق ، ولا بين الفكرة والكلمة ، ولا بين المضمون والشكل . لان الكلام كائن حي . روحه المعنى وجسمه اللفظ ، فاذا فصلت بينهما اصبح الروح نفسا لا يتمثل والجسم جمادا لا يحس . وانا حين قلت ان الاسلوب هو الطريقة الخاصة في اختيار الالفاظ وتاليف الكلام ، كنت اريد اختيار الالفاظ على النحو الذي يرتضيه الذوق وتاليف الكلام على الوضع الذي يقتضيه العقل . فالاسلوب خلق مستمر : خلق الالفاظ بواسطة المعاني ، وخلق المعاني بواسطة الالفاظ ، فليس هو المعنى وحده ، ولا اللفظ وحده ، وانما هو مركب من عناصر مختلفة يستمدنها الفنان من ذهنه ومن نفسه ومن ذوقه . وتلك العناصر هي الافكار والصور والعواطف ثم الالفاظ المركبة والمحسنات المختلفة . هذا هو تعريف الاسلوب كما اراه واتبعه وادعو اليه . اما خصائص هذا الاسلوب فقد شرحنها بالتفصيل في كتاب « دفاع عن البلاغة »

ومجملها أن يجتمع للأسلوب صفات ثلاث : الأصالة : وهي ألا يكتب الكاتب كما يكتب غيره ، وإنما يكون أصيلاً في نظريته وفكرته وصورته وكلمته ولهجته ، فلا يستعمل لفظاً عاماً ، ولا تعبيراً محفوظاً ولا استعارة متساعة . والأصالة تقوم على ركنين أساسيين : الكلمة الخاصة والمعبارة الجديدة . فخصوصية اللفظ دلالة التامة على المعنى المراد ، ووقوفه الموفق في الموقع المناسب ، وبذلك يضمن الكاتب الدقة في التعبير والوضوح في المعنى والصدق في الدلالة . وجدة العبارة أساسها الابتكار في حكاية الخبر وتصوير الفكرة وتكوين الموضوع . والصفة الثانية الإيجاز : وهو الاعتماد على التركيز والاقتصاد على الجوهر والتعبير بالكلمة الجامعة والاكتفاء باللمحة الدالة . وليس من الإيجاز أن يقص الكاتب أجنحة الخيال ويطفئ السوان الحس ويترك أسلوبه كاسلوب التلغراف شديد الاقتضاب والجفاف . اما الصفة الثالثة التي يجب أن تتوفر في الأسلوب البليغ فهي التلاؤم أو الموسيقية أو الهرمونية . وتكون في الكلمة بالتلاؤم الحروف ونوافق الأصوات وحلاوة الجرس ، وفي الكلام تناسق النظم وتناسب الفقر وحسن الإيقاع . وسبيل ذلك المزاجية بين الكلمات والجمال كقول الله تعالى : وإتيناها من الكتاب المستبين ، وهديناهما الصراط المستقيم . فاتيناها مثل وهديناهما ، والكتاب مثل الصراط ، والمستبين مثل المستقيم . ولا بأس أن ينتشر في خلال السياق قليل من السجع المطبوع في المواقف الشعرية العاطفية ، وهذا الأسلوب لا يجري على مذهب معين من المذاهب المعروفة في الأدبين : العربي والأوربي ، فهو يأخذ من التباعية أو الكلاسيكية التقيد بالقواعد المقررة والتشدد في استعمال اللغة الصحيحة ، ومن الابتدائية أو الرومانسية الانطلاق مع الطبع والتحرر من التقليد ، والواقعية توخي الصدق في التعبير والاعتماد في الوصف على الواقع .

السؤال الرابع :

اللاحظ أن الشباب الذين لهم محاولات أدبية يتأثرون بالأدب الأجنبية وعلى الأخص - الأدبين الفرنسي والأميركي الحديثين - في مجالات القصة والرواية والمسرحية أكثر من تأثرهم بالتراث العربي . فما رأيكم في هذه الظاهرة ؟ وهل تعتقدون أنها تخدم الحركة الأدبية الجديدة ؟

الإجابة :

لادبائنا الشباب والشيوخ العذر الواضح في تأثرهم بالأدب الأجنبية في مجالات القصص والقصة المسرحية ، لأن أدبنا العربي الفصيح لم يعن بهذه الأنواع حتى يضع لها القواعد ويورد لها النماذج ، وإنما عنى بالأخبار والأمثال والقامات والمقالات والرسائل دون أن يدخلها في أبواب البلاغة ، وترك لسلادباء الشعبين القصص طوالة وقصاره . والقصص الشعبي الموروث كالف ليلة وليلة ، وعنترة ، وسيف بن ذي يزن ، يختلف كل الاختلاف عن القصص بمعناه الحديث في بنائه وأسلوبه ومزاجه . فاتجاه الأدباء إلى الأدب الأوربي والأميركي لاقتباس قواعده واحتذاء أساليبه اتجاه طبيعي سليم ، عاد على الأدب العربي الحديث بفوائد عظيمة أكملت من نقصه وزادت في ثروته .

السؤال الخامس :

باعتبارك مؤلف كتاب « دفاع عن البلاغة » ما رأيكم في الاتجاهات النقدية الحديثة في دراسة وتكوين الأدب العربي ؟

الإجابة :

الواقع أن في أدبنا المعاصر نهضة ملحوظة في النقد تتناول

الكتاب والقصيدة والقصة والمسرحية ، وتتجلى في الأدبية والإذاعة والصحافة ، وهذا النقد في الغالب يصدر عن أطلس واسع وذوق سليم وتقدير عادل ولكنه في جملته لم يثبت من طبيعة الأدب العربي ولا من بيئته ، وإنما يثبت من طبيعة الأدب الأوربي وقواعده ومذاهبه ، لأن أكثر النقاد درسوا هذا الأدب وعمقوه وتأثروا به ، ولم تنهيا لهم الفرص ولا الوسائل لدراسة أدبهم دراسة منتجة ، لسوء تعليمهم وقبح عرضه ، فاضطروا إلى أن يقيسوا الأدب العربي بمقاييس الأدب الغربي ، وأن يخضعوه لمذاهب غريبة عنه كالرمزية والوجودية والواقعية المتطرفة . ولو اقتصر الأمر على الأنواع المقنسة كالقصص والتمثيل لما كان في ذلك بأس ، وإنما البأس كله في أن يطبقوها على سائر الأساليب ولا سيما المقالة والقصيدة . وهم لا يشارفهم العامة على الفصحى ، لا يدخلون في حسابهم مخالفة المنقود لقواعد اللغة وفوائن البلاغة . ولو اتجه هؤلاء النقاد بعقليتهم المتحررة وثقافتهم المتجددة إلى دراسة أدبنا تحت الضوء الصادر عنهما لأوجدوا فيه فنا مستقلاً من النقد المبني على العلم والخبرة والأصالة ، يتم ما بدأ به عبد القاهر وأبو هلال وابن الأثير ، وغيرهم من مؤسسي فن النقد عند العرب .

السؤال السادس :

المتابع لحركتنا الأدبية المعاصرة ، يعلم أي خسارة أصابت هذه

دارالمعارف لبنان

بنابة الميلي ساحر رياض الصلح م.ب. ٢٦٧٦

نقدم هذه المجموعة الطريفة وأصيلة أخرى من أدبنا العربي الفصيح تترجم عن أعمالنا

جريدة من المجلات البشرية التي تفيض عاطفة وتتفاعل فكر وكلمة بتعبئة الفنون والأدب



وقصص أخرى



تأليف
الساحر رياض الصلح
سورسيت سورس

المنت
١٥٠٠
أرميا مارا

تطلب من جميع المكتبات الشهيرة

الحركة باحتجاب « الرواية » أولا ، و « الرسالة » ثانيا . . . ويعلم ايضا ان الفراغ الذي خلفه احتجاب الشقيقتين لم يملأ بعد . هل تسبحون بالقاء الضوء على طبيعة الظروف التي صاحبت اختفاء الشقيقتين . . . وهل تعتقدون ان هذه الظروف ما تزال تشكل عقبة أمام أية محاولة في سبيل ايجاد مجلة ادبية يساح لها التفوق والانتشار اللذان كانا « للرسالة » ؟

الاجابة :

كانت « الرسالة » بحكم ثقافة القائمين بها والمحررين فيها مجلة عربية اسلامية شرقية ، تعتمد على الادب العربي قديمه وحديثه في كل زمن وفي كل بلد . وتؤثر الاسلوب الرفيع واللغة الفصحى والاغراض النبيلة . وكان ظهورها على فترة من المجلات الادبية الجديرة بهذا الوصف . فوجد فيها الكتاب العرب مجالا للتعارف والبحث والظهور ، وميدانا للجهد في سبيل وحدة مشتتة ووطن مسلوب وحرية مفقودة .

والامة العربية مفضضة على حب تقاليدتها في اللغة والادب والعقيدة والخلق ، فلم تكد تجد مجلة ترعى هذه التقاليد وتجري عليها حتى شعرت بانها وجدت شيئا كانت تفتقده وتنتظره . وكان الذوق العربي لا يزال سليما بفضل ما كان يقضيه من جهود خريجي الازهر ودار العلوم ومدرسة القضاء والجامعة المصرية في عهدها الاول،

دارالمعارف لبنان

بنية المبلي ساحة رياض الصلح م.ب. ٢٦٧٦

نقدم قصة من القصص الخالدة للكاتب الانكليزي الشهير والتر سكوت، وصلة القصة تدور حول ابطال الحروب الذي كان يقع بين ملوك فرنسا وكبار النبلاء وكيف كان يحاول كل منهم الاستقلال بأرضهم واملاكهم

حوارات ومغامرات

الجندي البابل

تأليف الكاتبة الانكليزية الشهيرة السير والتر سكوت



المن

١٥٠ ص.ل.

أو ما يعادلها

تطلب من جميع المكتبات الشهيرة

والصحافة التي كانت تقوم على المقالة ، والسياسة التي كانت تعتمد على الخطابة . فلما ساء تعليم اللغة وطفى سلطان العامة فزاحمت الفصحى في كتابة القصص والمسرحيات والافلام والاذاعة والاغاني ، وتساهل النقاد في قبول الاسلوب العامي او الركيك اكتفاء بوضوح الدلالة وتبلد الحس البلاغي في الناس حتى اصبحوا يستسيفون التافه ، ويستحسنون القبيح ، وينفرون من الكتاب الدسم والمجلة المفيدة ، فراجت الكتب الخفيفة وانتشرت المجلات المسلية ، وماتت مجلات « المتكف والمكاتب المصري والكتاب والثقافة والرسالة والرواية والرسالة الجديدة » . وما دامت هذه الظروف التي ذكرت بعضها قائمة ، فلن يرجي لامثال هذه المجلات عودة ولا بقاء ، اللهم الا بمعونة من القائمين على شؤون الثقافة تضمن لها اداء رسالتها مستقلة عن ميل الجمهور او نفوره .

السؤال السابع :

لا بد انكم تتابعون الحركة الشعرية الجديدة في عالمنا العربي ، والتي يؤمن اصحابها بمفهوم ومصطلح جديد للشعر . ما رأيكم في هذه الحركة ؟

الاجابة :

الشعر في كل امة مصدره الفناء ، وكما ان الفناء لحن وايقاع ، فان الشعر وزن وقافية . على هذا قام عمود الشعر ، وعلى هذا تربت الاذواق وتعودت الاذان . فاذا جردنا شعرنا من موسيقاه التقليدية ، تركناه نوعا عجيبا من الكلام لا هو نظم ولا هو شعر . وهذا النوع الذي ارتضاه بعض الشعراء ليس من مبتكرات اليوم وانما هو تقليد لنوع من الشعر ظهر في اوربا اواسط القرن السادس عشر ، متحررا من قيود القافية وهو الشعر الابيض ، أو متخففا من أنقال العروض والتفاعيل وهو الشعر الحر .

ومحاولة اقحام هذين النوعين على العروض العربي تزييف على الطبع وتحامل على الذوق . وما كان مخالفا للطبع او مجافيا للذوق لا يمكن ان ينجح . وان نجح بحكم الولوع بالجديد فلا يمكن ان يدوم . ولا أدري علة لهذا الانحراف ، فان كانت العلة هي جماله فلا جمال لكلام لا موسيقية فيه ، وان كانت العلة هي التيسير على الشاعر فاني افهم ان تيسر الكتابة ويسهل النحو ، ولكني لا افهم لماذا ييسر الشعر ويسهل الفناء ، أليكون الناس كلهم شعراء ومغنين ؟ لا يا سيدي . المسألة في الفن استعداد واجتهاد وقريحة .

اذ لم تستطع شيئا فدعه ، وجاوزه الى ما تستطيع .

السؤال الثامن :

ثمة ازدواج لعوي حاد في لغتنا الادبية ، وطرائق شتى في التعبير ، فهناك من ينادي بان تبقى الفصحى لغة الادب سردا وحوارا ، وهناك من يرى ان تكون العامية لغته سردا وحوارا ، وهناك من يقصر العامية على الحوار فقط ، وهناك من يحاول تطويع العامية ورفعها الى مستوى الفصحى في الحوار الادبي . هل نستطيع الى رأيك في هذا الموضوع ؟

الاجابة :

الازدواج اللغوي امر طبيعي تقتضيه سنة التطور في كل لغة ، وقد ينسجم الفرق بين لغة الحديث ولغة الكتابة حتى تصبحا لغتين مستقلتين لا يفهما أصحابهما الا بصعوبة كما هو الحال بين الفرنسية والاسبانية والبسرتقالية بالنسبة للانيثية ، او العربية والعبرية والفيتيقية والاشورية بالنسبة للسامية ، وقد كان هذا ممكن الحصول في اللغة العربية لولا انها جزء من حقيقة الاسلام ، فهي

السؤال العاشر :

هناك كثير من الادباء يتخذون من الجنس موضوعا لادبهم .. وقد يكون هذا الاختيار هو الطابع العام لانتاجهم أو صورة مميزة لبعض هذا الانتاج ..

وهذه القضية تثير موضوع « الادب والاخلاق » .. فما رأيكم في نتائج هذه المحاولات بالنسبة للادب العالمي عامة .. وبالنسبة لادبنا العربي خاصة ؟

الإجابة :

يا سيدي .. ان معركة الحياة من مبدئها الى منتهاها انما تدور على شيئين : المرأة والرجف .. المرأة لبقاء النوع ، والرجف لحفظ الذات . واذا كان الكلام في الرجف وما يتصل به من وسائل ومشاكل من شأن العلم ، فان الكلام في الجنس وما يتصل به من عواطف وغرائز من شأن الادب .

فدوران القصة والرواية والشعر على الامور الجنسية امر طبيعي لا حيلة فيه ولا مفر منه . درج الناس على هذا في القديم والحديث وفي الشرق والغرب ، ولكن الادب الحق هو الذي يهذب الفرائز ولا يثيرها ، ويرتفع بالمواطف ولا ينزل بها . وذلك هو عمل الاديب الذي اصطفاه الله لرسالة الحق والخير والجمال . والجمال الملفوف اقوى وأبلغ وأصعب من الادب المكشوف ، وكلاهما أدب من الوجهة الفنية له في ميزان النقد وزنه وقيمه .

السؤال الحادي عشر :

منذ احتجبت « الرسالة » لم يعد القراء يجدون لكم كتباً جديدة في المكتبات .. فهل يعني ذلك انكم آثرتم البعد عن عالم الادب في الاونة الاخيرة ؟

الإجابة :

الواقع اني بعد ان قضيت عشرين سنة في تحرير « الرسالة » اعمل بلا انقطاع ولا راحة ، أدركني بعد احتجاجها ما يدرك المسافر من التعب بعد سفر شاق طويل . ثم اتخذ هذا التعب شكل المرض في الاعصاب والنفس ، فأخذت قليلا الى الراحة ، ثم عدت الى الكتابة في بعض الصحف زيادة على عملي في المجمع اللغوي ، واخذت اهمى الاسباب لظهور كتابين أرجو ان يساعدني الله على اخراجهما وهما « ذكرى عهود » و « عبقريه الاسلام » وهما كتابان سيكونسان خير ختام لحياتي الادبية .

فاروق شوشه

القاهرة

دراسات ادبية

من منشورات دار الاداب

لحيى الدين صبحي

نزار قباني شاعرا وانسانا

للدكتور محمد مندور

فضايا جديدة في ادبنا الحديث

لرجاء النقاش

في أزمة الثقافة المصرية

لسان الوحي ولغة القرآن ورباط القومية العربية . ولولا المحافظة عليها لما كان للعرب اليوم كيان يتعارف أو يتحد أو يتوحد . ومن المحافظة عليها تطویرها من الزمن وتطويعها لقبول الالفاظ المستحدثة والتعبير عن المعاني الجديدة ، وتقريبها من العامة لتضييق ما بينهما من الفروق بتوخي الاساليب السهلة واستعمال الالفاظ الشائنة والمولدة مع المحافظة على الاعراب . وهذا ما يضطلع به الان مجمع اللغة العربية ، اما لغة القصة والتمثيل ، فيجب ان تكون الفصحى ، لان الكاتب الذي يطعم في الخلود لا يقهر كتابته على قطر واحد وزمن معين . ولا بأس ان يكون بعض الحوار باللغة العامية اذا اقتضت ذلك طبيعة المتكلم وبيئته .

السؤال التاسع :

يحرص كل كاتب ، يشعر انه أدى قسطا كبيرا من رسالته ، على تسجيل حكاية حياته الحافلة في قصة او مذكرات او ترجمة ذاتية . وحتى الان لم نقرأ لك ترجمتك الذاتية في كتاب . ولعلك قد كتبت هذه الترجمة كما يقول بعض الادباء . فهل يمكن ان تذكر لنا الخطوط العريضة لحياتك .. خاصة الجانب الادبي منها ؟

الإجابة :

من أحب الاعمال الى الكاتب اذا تقدمت به السن واقترب من ساحل الحياة ان يجتر ما مضى من حوادث عمره وتجارب قلبه بكتابة مذكراته او ترجمة حياته ، فان الشيخ كما ستعلم بعد يعيش بالذكرى كما يعيش الشاب بالامل ، وقد حاولت فعلا ان اكتب شيئا من ذلك في كتاب سميت « ذكرى عهود » ، اما حياتي الادبية فقد قضيت فيها زهاء خمسين سنة في التعليم والتأليف والكتابة والترجمة والصحافة والاذاعة ، ولكني اذكر منها ثلاث مراحل تميزت بأثر مستقل مباشر . المرحلة الاولى كانت في ثورة ١٩١٩ وكنت يومئذ مدرسا للصفوف العليا من المدرسة الاعدادية الثانوية بميدان الظاهر ، وكانت تضم اكثر من الف طالب من الشبان الناصحين المتحمسين ، فالفوا منهم ومن طلاب مدرسة الحقوق الخديوية لجنة تنفيذية تثير الشعب على الانكليز بتدبير المظاهرات وتوزيع المنشورات والقاء الخطب . وكان عملي فيها كتابة هذه المنشورات والخطب بأسلوب ثوري ملتهب لتوزع سرا في المدن والاقاليم ، فكانت تتداول وتحفظ ، وتحدث من الاثر في ثورة ١٩١٩ ما أحدثته الاغاني والانشيد في حرب بور سعيد .

والمرحلة الثانية كانت في سنة ١٩٢٩ ، حين انتدبتني حكومة العراق استاذاً للادب العربي في دار المعلمين العليا ببغداد ، فاستطعت بتوفيق من الله ان اخرج طبقة من المعلمين والادباء كانوا السنة صدق لمصر ورواد خير للوحدة . ثم كان لما ألقى من المحاضرات وكتبت من المقالات اثر في توثيق العلاقات الفنية بين ادبنا وأدب العراق . ولا يزال الساسة والقادة والادباء يذكرون هذه المرحلة بالخير .

اما المرحلة الثالثة فكانت في سنة ١٩٣٣ حين اصدرت « الرسالة » . فقد استطاعت هذه المجلة في مدى عشرين سنة ان تنشئ جيلا من الكتاب والشعراء لهم اثرهم القوي ، وأن تنشئ مدرسة في الادب لها طابعها الخاص ، وان تعرف ادباء العرب بعضهم لبعض على انقطاع الاسباب وتباعد الديار ، وان تجمع القلوب والشعوب على فكرة واحدة وغاية معلومة ، وان تكون سفيرا روحيا لمصر في جميع البلاد العربية والاسلامية ، حتى قال الاستاذ مصطفى أمين في « اخبار اليوم » بعد جولة طويلة في بلاد الشرق ، لو أغلقت الحكومة المصرية عشر سفارات وأبقت مجلة الرسالة لكان خيرا لها وللعرب . وقال الزعيم عبد السلام عارف للاستاذ موسى صبري : « اننا لم نتلق دروس الوحدة والقومية والادب الا عن مجلة الرسالة » وهذا فضل يذكر لكل من عاون أو شارك في تحرير هذه المجلة .

لو در في الصدف ..

... وبعد كل رحلة قرف
لان نهديك هما هما
وفارغ هو الصدف
يا من صلبت آدمما
يا امرأة من الخرف
يا زورقا ...
يحملنا لغير ما هدف .

★

لو كان ان آدمما رأى
في عتمة الرحيل مرفأ
لو شام في البعيد ملجأ
لو بارق هناك أومأ
فقد نحبوه السرى
وحط عنده الرحال وارتمى
يطامن اللهات والظمما
وحرقة العيون والدمما
لو وامى عرى وأنبأ
ان وراء حلقة الطريق مخبأ
لو كان ان تفيأ
بيادر الغلال ، او عرائش الظلال
ترى .. ترى

اكان عاش تائها محيرا
يعانق العذاب والهجير
ولوبية العيون في السرى ؟

★

ياليت للرحيل غاية .. هدف
لكنما الرحيل دونما مال
وآدم الغريب يمضغ الكلال
يعالج الصدف
يحلم باللال
بمرفأ منعّم الظلال
والقاع شوك ، ولظى ، وآل
والمبحر الحزين يستجير
بغوص في لزوجة الرمال
تشده دوامة المحال
تدور لا تمهله
تلطمه ، تحمله

مغيبا على الدوار عانيا محطما
مستسلما ، مجذقا على ظما
يمسج عمره دما

على سوايقك بلا هدف
يا امرأة انيقة من الخرف
يا هوة فاغرة فما
يا وهدة معتمة فارغة الصدف .

★

جميلة هي الغيوب يا امرأة
نهداك حين يعصف الشبق
منارتان من شميم والى
ساقاك حين ترعد الشهى

موائد غنيمة مهيأه
لتائه يسرود مخبأه
تفرك يا جزيرة الكنوز
تصبح كل خلجة : ما اوضأه !
دفئك في السرير يا امرأه
مجامر ، ملاحن ، رموز
خزائن من الشذا معبأه ..
وعندهما تطوي المجاذيف المدى
وعندما ينتفض الزورق في الرحيل
على زنود موجة ، ويحفر الصدى
مناجم الميول

تصور الغيوب للحزين ان مرفأه
هنا ، وان للرحيل غاية .. هدف
حتى اذا أفراق وانتبسه
وبدد الفراغ لذة الرؤى
وهال آدم الحزين مارأى
وعقم ما قطف

مزقه القرف
لان نهديك هما هما

وفارغ هو الصدف

يامن جرفت آدمما
يا امرأة انيقة من الخرف
يا زورقا يحملنا لغير ما هدف .

خليل الخوري دمشق

الى صاحب قصة
(اجهدي بالدعاء الاخر)
المنشور في عدد سابق
من « الاداب » .

سيزيف .. براحة فقهية

بقلم هان الكسان

قديما ربط بينها وبين زوجها .. اما سلام العالم ، فلا يزال حتى
هذا اليوم مهددا بحماقة يرتكبها احد هؤلاء الذين أسموا أنفسهم
أقطاب الدنيا .

لم اكن لاصديق ان كيس الدقيق سيمتلئ .. وان ثيابنا المهترئة
التي كنت اشبهها وهي تتحدى خيوط البنطال فتبرز منه بحشية
مخدة جارتنا فهيمة المشهورة في الحي باهمالها ، ستقلب جديدة ،
كما لم اتصور ان تنتهي ازمة الفلاء او يمتلئ قطرميز السمن ، او
كيس الفحم ..

ومع كل هذا فان شيئا ما في اعماقي كان يشعري بان صديقتها
الكبير ينظر اليها بعين رحيمة ، وفي نظره تلك كنت ارى معنى
لوجودي ، معنى ما .

وعاشت معي عيان .. أهم ما في تاريخي التافه الذي
يتداعى في ذهني الان .. كان ليل بهيج يستيقظ فيها .. يا لعينها
السوداوين .. من اجلهما ودعت امي ، وحملتهما زوداتي في رحلتي
الجديدة مخلقا ورائي بلدي الصفيرة تحلم هادئة قرب النهر
بلا سعادة ..

وفي المدينة ، جئت ازحم القامات والمناكب .. لم اعد راغبا
في فلسفة الامور .. اقنعت نفسي بانني لا استطيع ان افعل شيئا
من اجل تبديل مجرى الحياة ، فالراهبة تبتهل في صلاتها بايمان ،
والخاطئة تمنع في غيها بضلال ، وملح الحياة يرش هنا ..
ويرش هناك ..

لم اكن عندما غادرت البلدة بحاجة الى زاد غير العيين ، فقد
كان فيهما معنى حياتي ، وكثيرا ما ساءلت نفسي وأنا أحتسي اقذاح
الشاي الثقيل في مقهى البلدة : لماذا تنفرد هي دون كل النساء
بهاتين العيين اللتين اسرتاني حتى نهاية ابدى ؟
ويقص الجواب في اعماقي .. وتظل العيان الاسرتان تدفعان
في حياتي ثورة ملهوفة ، وايمانا بانني سافتقدتهما في كل نساء
العالم ..

كلهم جدد .. الاصدقاء الذين قال لي زميل : يجب ان تقراهم
لتفهم ما هي الحياة .. ورحت اقرؤهم : سارتر ، وكافكا ، وابن حيان ،
ودي بوفوار ، وكامو ، ونيتش ، وابن خلدون ... وامتلا رأسي
بآرائهم فرحت أعاني ضياعا من نوع جديد .

تشعبت الامور في ذهني .. وبدأت اتساءل عن معنى هذا
العبث الوجودي الذي احياه ، فاتعب ، حتى درجة الإعياء .. ويتعب
معني السؤال ، وافتقد الارتياح الذي كانت تبعثه نداءات امي وهي
جالسة على الحصر تدق صدرها بيدها وتكشف اسرار بيتنا المحم
صديقتها الكبير .

وادفع رأسي تحت صنوبر الماء ، ثم أدفنه في وسادة ، واحلم
باشياء كثيرة : مرة ارى المرأة الجميلة التي صعدت امامي الى
الباص ، وقد اسلمت قيادها ليدي تعريها من ثيابها وتعبث بجسدها
بخيخ ومهارة .. ومرة ارى نفسي في غرفة التشريح بالمستشفى
افرج من معدة جثة ميت بقايا طعام كان قد اتهمه قبل ان يموت ..

هويتي صفراء ، مهترئة ، تحالف العرق والسنوات العشر
الماضيات على حذف بعض كلماتها ، والناظر اليها لا يعرف سنة
ميلادي ، ولا اسم والدي ، ولا الرقم الاخير من الارقام الثلاثة التي
ترمز الى قيد المسكن ..

وانا - كهوتي - أضعت بعض ذاتي ، والضياح الذي اعانيه
نزق ، ذليل ، نائر ، عات ، مستكين ، وفي واقع هذا الضياح تشعبت
في يدي خطوط معنى السعي الحياتي لي وللناس الذين يدبسون
حولي : الذي يأكل منهم بطريقة تثير القرف ، والتي تخطر على
الدرب بعجزتها المدملجة تعطر ضحكاتها الرصيف .

قالت لي اليوم الجارة التي اسكن احدى غرف دارها :
صباح الخير ..

لم ارد عليها التحية .. لا ادري لماذا .. كل ما اعرفه انني لم
اكن عندما استيقظت في حالة نفسية اكون معها على استعداد لان ارد
تحية او اجامل احدا ..

تأملت الجارة .. أسفت للتحية القتها بلا مقابل .. ودخلت انا
غرفتي العن الشيطان .

وهتف في واقعي هاتف حاولت عبثا ان اخنق صوته : صباح
الخير يا ولدي .. صباح الخير .. صباح الخير .. ليس اجمل من
الخير يرجوه الانسان للآخر ، وليس أزوع من استقبال الصباح
بالدعاء الطيب .. حتى الذي تاه عن الدرب السوي ، يشعر براحة
نفسية كبيرة عندما تغلت اهوؤه قليلا عن غيها السادر في متاهات
الضياح ، ويجد نفسه في هالة النوازح الانسانية النقية .

دائما صوتها .. مسكينة .. امي .. يعذبني هذا الهاتف يحمل
تهجد نبراتها .. من بعيد ..

منذ الطفولة وأنا اعيش مع ذلك الصوت ، كنت استقبل الصباح
منصتا اليها تجلس على حصر الغرفة البالي تدق صدرها بقبضتها ،
وتحدث صديقتها المسيح حديثا ، هادئا ، عفويا .. كانت تطلب لسي
النجاح في المدرسة ، ولاخي الاصفر تنوير عقله لانه كان - كما تقول -
خييئا ، ولابي رزقا اكثر ، ولاختي المتزوجة هناة في حياتها
الزوجية ، وللعالم السلام .

ثم تروي له اسرار البيت : الطحين يكاد ينفد ، وكيس الفحم
الصغير لا يملأ ما فيه المنقل ليلتين ، وثياب الاطفال - ثيابنا - اهترأ
اكثرها .. والفلاء يخنق الناس ، ولا تنسى تذكيره بقطرميز السمن
الذي يكاد يظهر فقره .

وتروح تتلو مزامير داود : « ارحمني يا الله كعظيم رحمتك ..
وكمثل كثرة رافتك امح معاصي » .. ولا ادري متى تنتهي اذ اكون
قد غادرت البيت الى المدرسة واصدء صوتها تملأ اذني .

كنت لا اصدق ان صديقتها المسيح سيلبي طلباتها فورا ، فصحيح
انني كنت انجح كل عام في المدرسة ، ولكن اخي لم ينور عقله ، اذ
ما مرت سنوات حتى خطف ابنة الجيران وتزوجها ، وابي لم يسزد
رزقه ، ولم تنته قصة بؤسه ، فهو يحفر اقنية الماء في مزرعة الرز
بقرية (سبع سكور) يرفع الفأس بيده الواهنة ، يد ابن الثمانين ،
ويهوي بها على الارض يشق اديمها ليستنبت جيب صاحبها ثلاث
ليرات كل مساء .. اما هناة اختي المتزوجة في بيتها فلان انسجاما

منشورات مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني

بيروت - ص.ب ٣١٢٦ - تلفون : ٢٧٩٨٣

سلسلة الجديد في القراءة العربية

جزءان لروضة الاطفال

خمس أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

سلسلة الجديد في الادب العربي :

اربعة أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي العالي (الشهادة التكميلية)

جزءان لمرحلة التعليم الثانوي (البكالوريا)

سلسلة القواعد العربية الجديدة :

اربعة أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

اربعة أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي العالي (الشهادة التكميلية)

سلسلة دروس الاشياء والعلوم الجديدة :

خمس أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

الجديد في الجغرافيا :

اربعة أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

اربعة أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي العالي (الشهادة التكميلية)

جزءان لمرحلة التعليم الثانوي (البكالوريا)

سلسلة التاريخ الجديد :

ثمانية أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي والتكميلي

(الشهادة الابتدائية والتكميلية)

سلسلة الحساب الجديد :

سبعة أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

لمرحلة التعليم التكميلية (شهادة الريفه) :

Physique, Chimie, Algèbre, Géometrie.

Sciences Naturelles

اربعة أجزاء للصفوف التكميلية

الجديد في البحث الادبي :

(لمنهج البكالوريا)

ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره (لمنهج البكالوريا)

Mon Nouveau livre de Grammaire

ثمانية أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي والعالي

(الشهادة الابتدائية والتكميلية)

Mon Nouveau livre de Lecture et de Français

جزءان لمرحلة الروضة - خمس أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي

(الشهادة الابتدائية)

اربعة أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي العالي (الشهادة التكميلية)

The New Direct English Course

أحدث سلسلة لتعليم القراءة الانكليزية :

جزءان لمرحلة الروضة

اربعة أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي

The New Direct English Grammar

أحدث سلسلة لتعليم قواعد اللغة الانكليزية

في ثلاثة أجزاء

الدليل العام لشهادة الدروس الابتدائية

Dictée Choisie

حساب ، انشاء ، اشياء ، تاريخ ، جغرافية ، املاء فرنسي ،

املاء انكليزي .

ومرة اجد معي اصدقائي الجدد ، سارتر ورفاقه .. اجلس معهم على حصير قديم ، ونروح نتحدث مع المسيح حديثا عفويا ، ونساق صدورنا بأيدينا ، ثم نروح نسلو هزامير داود بتنظيم وابتهاال : « ارحمني يا الله كمظيم رحمتك ، وكمثل كثرة رافتك امح معاصي »

وانشلتني خواطرها التي قرأتها في صحيفة .. طويت جراحي وقرأت خواطرها .. لا ادري لماذا احسست بالارتياح الذي افتقدته دائما ، عندما بدأت أعيش سطورها كلمة كلمة وحرفا حرفا .. ورحلت أتمثل صاحبة الخواطر وكأنني عابد وثني يتمثل لها ليعبده : القامة رشيقة ، القد ملفوف ، الصدر يعلن عن نفسه بتحد خجول .. الوجه مليح بديع .. الانسان لؤلؤة .. الانسامة عذبة .. الشعر كشعر طالبة تجهيز مهذبة .. العينان جميلتان كميون كثيرات من النساء .. وأحسست برغبة عفيفة لان ارى هذه الانسانة ، وفي يوم اللقاء كانت المفاجأة : القامة رشيقة ، القد ملفوف ، الصدر يعلن عن نفسه بتحد خجول ، الوجه مليح بديع .. الشعر كشعر طالبة تجهيز مهذبة .. العينان ...

يا الله .. هل يمكن هذا ؟.. هل من رحمة جديدة وزوادة جديدة ؟..

انا لا اريد نهاية للعبث الوجودي .. اليس رائعا ان تشرق في حياتي بالمدينة عينان سوداوان بروعة العينين اللتين ودعتهما في بلدي الحاملة قرب النهر ؟

اليس رائعا ان تبدأ الحياة من حيث كان يجب ان تنتهي ، وتنتهي من حيث كان يجب ان تبدأ ؟

وتضحك العينان .. يضحك فيهما صباح ابدى .. وتعمود احلامي طفلة ، لا يدي تمسك بجسد الصاعدة الى الباص ، ولا هي تفرغ بقايا الطعام من معدة الجثة .. اما جلسات سارتر ورفاقه فقد استبدلتها بجلوسات طويلة معها .. مع خواطرها التي طويت جراحي ورحلت اعاش صروفها الملونة ، وفواصلها الانيقة ، ومعانيها التسي تعيش في كل حنوة وتخلق في كل سماء ..

وارتسم في الجو سؤال : هاتان العينان ، هل ستكونان لي ، أم سافقدتهما في خريف ما كما افقدت اللتين قبلهما ؟..

ويغص الجواب من جديد في أعماقي .

وانتفت الى العينين فاذا الجواب فيها حائر غامض .. وتظلل الرؤى عن اللحظات التي اعيشها معها مائلة كلوحات ضبابية في ايامي بعناد واستمرار .. وعندما ينام الناس وبأخذ الكرى بمعاقد الاجفان ، تتضح امامي معالم هذه اللوحات الضبابية ، ويشع منها القى يخنق اعصاب عيني بقسوة كبيرة ، فانداح في الدوامه ، ويقفز السؤال من جديد : ترى .. هل ستكونان لي ؟

انا لا اريد ان اجيب .. فليس في يدي ان اضفر اكليلا من الورد لجنازتي ، أو اوزع بطاقات فرحي بنفسي .. فانا سيزيف من نوع جديد ، حكم علي مجتمع الناس بما حكم به الالهة على سيزيف بطل الاسطورة اليونانية . ولكنني عبثا أفتش عن القمة التي أحمل اليها صخرتي .. انني لا اجد سوى سهل منبسط ، تتوالى فيه حفر ، لي في كل منها كبوة انهض بعدها لاتابع رحلتي .. هويتي صفراء مهترئة ... وامي صديقة للمسيح .. كم انا الان بحاجة الى دعائها ، الى جلسة منها على الحصير تدق صدرها بيديها ، وتطلب لي من المسيح شيئا اخر غير النجاح في المدرسة .. يا للعينين السوداوين !..

جان ألكسان

دمشق

الصدقة الاخيرة

- ١ -

- : « اليوم ضيق »
اليوم ترقد في الحريم « عزيزه »
في ساقها شعر تفكر في عشيق
وتقول : ليت ...
سأصلب النحاس ، أقطع كفه
القيه في جب عميق ..
اليوم - يااليوم - لحم غبية سوداء
موعد قشة طافت بأحلام الغريق »

وغد الغريق
أنشطة أخرى تطوق عنقه ومدى حريق
تمتد عبر الثلج في الصباح العتيق
فأسا تقصف ريشه
فيسير منخلع العروق
من حانة ظمأى لدارة عاهر
منشورة النهدين في عرض الطريق
لحانة أخرى
لدارة عاهر منشورة النهدين في عرض الطريق ! ..

- ٢ -

كم نكره الدنيا رفيقي
كم نود لو الجبال تناثرت ،
لو غار نهر ،
لو تحطمت الشمس الى القرار ،
لو السفوح
مدت جناحا للسماء ، تعمقت :
« اذهب سئمتك ايها الوجه القبيح »
كم نبغض الاشياء ،
نحلم بالرحيل ،
نحب جزر الموت يعلو ،
ياقف القمات : اوطار العواهر
والزنوج ،
سفين نوح ...
كم نكره الدنيا رفيقي
كم نحب غد الجناح
يقول : لا .. يحيا ،
يتيه ، وينتهي أفقا فسيح .

- ٣ -

تأتي مداك خرائب ،
السوط في كف
وفي الاخرى الغضب ،
بين الدمى ، فوق الرماد تطل
يعرفك الجميع ،
يفر غربان جباههم لنعلك
للسواعق واللهب ..
تأتي ، احب خطاك تركل في المعابر ظهر عجل من ذهب .

الليل - نصف الليل -
في عيني عاصفة ،
سينفتح العجيب وتزهر الاحلام
تنعتق الرؤى ،
تنهج الكلمات ، تخلق
لن يقولوا « قد كذب » ..
صدق النبوءة ظاهر :
الخمر تلهب اعظمي ، النار ،
وهج النار في شفتي انتشى ،
كلمت رب ...

- ٤ -

ها انت تصنع في الصباح مهرجين ،
تهب كالاعصار
يتبعك الزمان ، حطمت ياجبار عزته وتيهه .
ها انت تطلع كالضياء مشرع الريات
- لا اشواك لا صلبان -
في عينيك فيض من الوهه
زندانك مشعالان
- ما اغنى الحريق -
ستنتهي قصص العبيد ،
ستورق الصحراء
لا بأس ، لا ظلمات ، لا جثث كريهه ..
الآن بولد حاضر
تنشأ الاشياء :
بركان هنا ، وزلازل
يافرحة الاكوان هاقد جئت ،
في الكفين طوفان وفي عينيك فيض من الوهه .
حسن النجمي

الشرق والعلم

بقلم عاطف أحمد

١ - مدخل تاريخي :

أشد المسائل بدهة ووضوحا ..
فراح يزعم (١) ، ان العقل الشرقي بطبيعته الاصلية ، عاقل روحاني .. لا يقف ابدا عند حدود المادة ، وانما يتعداها دائما الى الجوهر الباطن .. الى الروح .. بينما العقل الغربي بطبيعته الاصلية ، عقل علمي .. ينظر الى الوجود نظرة منطقية تحليلية ، تستطرد في خطوات استدلالية تنتزع النتائج الصحيحة .. من مقدماتها الصحيحة .. الا ان الدكتور لم يقف عند حد الزعم ، وانما ارادها نظرية علمية متكاملة . فلنستمع اذن الى حيثياتها كاملة .

٢ - الشرق الفنان :

هناك نظرتان مختلفتان الى الوجود ، نظرة الفن ، ونظرة العلم .. نظرة الفن ، هي نظرة حدسية ذاتية مباشرة ، تتم على خطوة واحدة ، تشهد الكائنات في ذاتها ، وبالتالي لا تقبل التعليل المنطقي . ونظرة العلم ، هي نظرة موضوعية تحليلية ، تتم على خطوتين ، الاولى هي تلقي العالم كما تنطبع به الحواس انطباعا مباشرا ، والثانية هي استخلاص النظريات والقوانين التي تصور مجرى الظواهر والاحداث ، وهي دائما بحاجة الى تعليل منطقي .

ونظرة الشرق الاقصى الى الوجود كانت نظرة الفنان ، على حين كانت نظرة الغرب الى الوجود نظرة العالم ، ولقد جمعت ثقافة الشرق الاوسط النظرتين جنبا الى جنب . ومرجع ذلك كله الى الطبيعة الاصلية لكل من الشرق والغرب ، تلك الطبيعة النابعة من ارادة الله .. ■ ففي مجال الفلسفة ، نجد ان الفلسفة الغربية نفسها - ودع عنك العلوم - هي فلسفة تقيم البراهين وتسلسلها مقدمات ونتائج ، ولا كذلك الفلسفة الشرقية القديمة التي تستوحى وجدان القلب وحس اللقانة وصفاء البصيرة .

■ وفي مجال اللغة ، نجد الكتابة الشرقية القديمة - وبعضها ما يزال - صورا تصور المسميات تصورا مباشرا ، مرتكزة في ذلك على الادراك الحسي المباشر لما هو قائم في الوجود الحقيقي الواقع . ■ وفي مجال الدين ، تتمثل روح الفكر الشرقي في الاسفار الدينية وفي الكتب المنزلة : ففي مصر القديمة كان الدين عماد الفكر وأساس النظام الاجتماعي كله ، وكانت نظراته الى الكون والحياة والخلود نظرة حدس ووجدان ، بلغت قممها في شخص اخناتون ، الذي ربما كان اول انسان في الوجود أدرك وحدانية الوجود .

وفي الهند ، نجد ان وحدة الوجود وتناسخ الارواح ، هما لب الدين والفكر معا ، فالخالق وخلق شيء واحد ، وكل الاشياء وكل الاحياء كائن واحد ، فاختر ما شئت من صور الكائنات ، تجدها كانت ذات يوم صورة اخرى .. فروح الثقافة الهندية بأسرها هي في دمج الفرد في الكون دمجا يزيل الفواصل التي تميز الفرد عن محيطه .. واما في الصين ، فالت جد في عبارات كونفوشيوس انسيابا مرسلا ، حتى لكأنه يتحدث بما تقتضيه المناسبات ، لا بما تحتمه في

حينما بدأت الرأسمالية تنمو في قلب المجتمع الاوروبي ، باحثا عن حقول جديدة في ارض الشرق العذراء .. كان على العقل الاوروبي ان يبحث عن فلسفة جديدة ، تفتح له الابواب الموصدة .. واستراح العقل الاوروبي كثيرا ، حينما اهتدى الى ان رسالة اوروبا التاريخية هي حمل مشعل المدنية الى ادغال الشرق المظلمة ..

وكان التفسير الطبيعي للمستوى الحضاري المعاصر آنذاك ، هو بعينه البذرة الخصبة للعقلية الجديدة . فالتخلف الاقتصادي ، الذي يشن الشرق تحت نيره ، ليس افرازا طبيعيا للنظام الاجتماعي المعاصر ، وانما هو نتيجة حتمية لطبيعة التربة الكيميائية ..

وأصبحنا نقرأ كثيرا أمثال هذه الكلمات :

« ان منطقة الشرق الاوسط زراعية قبل كل شيء .. وليس في اراضي الشرق الاوسط ترسبات معدنية ذات قيمة .. فليس من المحتمل ان يشهد الشرق الاوسط يوما ما ، تقدما في ميدان الصناعة ، عدا الصناعات التي تختص باستخراج المنتجات الزراعية » (١)

ولم يقتصر الامر على مجال الاقتصاد ، انما تعداه الى كافة

المناسبات البشرية الاخرى .. فكتب ليون جوتييه - مثلا - يقول :
« يختلف الآريون عن الساميين اختلافا أصيلا في النشاطات البشرية كافة ، من ادنى الامور كالطعام والسيارات الى اعلاها كالنظم الاجتماعية والسياسية ، فالعقل « السامي » يترك الاشياء مفرقة ، ومفككة كما يصادفها ، وكل ما يفعله ازاءها هو ان يقفز قفزات مباغتة من شيء الى شيء بغير ربط ينسقها معا ، بما يراه فيها من تدرج ، على حين ان العقل « الآري » يركب الاشياء المختلفة تركيبا يعتمد على روابط متدرجة تجعلها وثيقة العرى بعضها مع بعض ، حتى ليصبح الانتقال من شيء الى شيء أمرا طبيعيا .. » (٢)

وقريب من هذا ، زعم الفكر الفرنسي ريتان ، ان الساميين لا يعرفون الفلسفة الا اقتباسا وتقليدا للفلسفة اليونانية .

ونحن هنا ، امام تفسير نوعي للفكر ، يجعل الاصل الجنس لجماعة بشرية معينة ، هو المصدر الوحيد لسماتها العقلية ، ومستوياتها الحضارية جميعا .. مؤديا بذلك الى اكساب المرحلة الفكرية المعاصرة في مجتمع معين ، صفة الابدية والخلود ..

فعلى العقل الشرقي اذن - تبعا لهذه النظرية - ان يستسلم لمصيره الاسود .. تقارده لعنة سلالاته الى الابد ..

ولم تكن امثال هذه النظريات ، لتدهشنا ، حينما نعرف المنبع الحقيقي الذي استقت منه كيانها .. والحاجة الاجتماعية التي استهدفت اشباعها .. وانما يشير الدهشة حقا .. ان تنطلق نفس هذه النغمات من مجتمعنا نحن ..

ذلك بان الدكتور زكي نجيب محمود .. التلميذ المخلص للفلسفة المثالية الذاتية المعاصرة ، لم يشأ الانحراف عن اخلاصه ، حتى في

(١) فتحي خليل : دفاع عن الثقافة العربية ص ٥٠

(٢) ليون جوتييه : تمهيد لدراسة الفلسفة الاسلامية ص ٦٦

(١) زكي نجيب محمود .. الشرق الفنان .. المكتبة الثقافية (٧)

الفلسفي من جهة أخرى ، فهذا هو أفلوطين يتلقى الافلاطونية مسن
أثينا فيكسبها طابعا شرقيا صوفيا ، وهذا هو أوريجين ، يحسب
التوفيق بين العقل والدين .. وان كان الانجيل - في رايه - يحمل
برهان نفسه بنفسه ..

وأما في العصور الوسطى ، فرغم ان المشكلات الفلسفية
المعرضة للبحث هي مشكلات دينية ، لكن طريقة معالجتها عقلية منطقية ..
كما هو الحال عند المعتزلة من المتكلمين ، وعند فريق « الفلاسفة »
المسلمين ، من امثال الكندي والفارابي ..

الا ان الطبيعة المزدوجة لعقل الشرق الاوسط ، ما كانت تقتصر
على العقل وحده .. فهؤلاء جماعة المتصوفة المسلمين ، من امثال
« ذو النون » المصري ، وابن الفارض ، والحلاج ، والغزالي ، يلجأون
لمعرفة الحق الى شيء غير العقل والمنطق ، اذ يلجأون الى
الحس المباشر ..

٣ - الفن .. والعلم

يستمد الدكتور تعريفه للفن من نظرية في المعرفة تقول « بنوعين
من المعرفة :

■ معرفة تصور الباطن ولا تصلح للمحاجة والمناقشة ، فاما ان
نستحسنها فتقبلها ، او نستقبلها فنعرض عنها ..

■ ومعرفة تصور الخارج ، وهذه وحدها هي التي يصح ان
يناقش فيها ويجادل لانها هي وحدها التي يجوز لنا ان نصفها بالعقل
او البطان » (١)

ولو تساءلنا عن معنى « تصور الباطن » لما وجدنا سوى احتمالين ،
كلاهما يطل النتيجة التي تنزع عن هذا النوع من المعرفة قابلية
الصواب والخطأ .

« فالباطن » هنا ، اما ان يكون هو ذاته موضوعا للتصوير ،
فالعقل اذن هو الاداة ، وهو كما نرى خاضع لقوانين المنطق ..

واما ان يكون « الباطن » هو ذاته اداة للتصوير ، فالكون اذن
هو الموضوع .. وهو كما نرى خاضع لقوانين الطبيعة ..

فليس ثمة معرفة ترفض قابلية التحقيق التجريبي ، سوى معرفة
لا تعرف شيئا ..

وقانون الذاتية وعدم التناقض ، يناقض تماما القول بنوعين
مختلفين من المعرفة ، كلاهما صحيح .

فحقيقة الشيء الواحد ، واحدة بالضرورة .. وانما ادراكنا لها
هو منبع الاختلاف . وادراكنا للواقع لا يتجاوز احتمالين اثنين بحال ،
فاما انه مطابق للواقع فهو صحيح ، واما انه غير مطابق للواقع فهو
ليس بصحيح . وحينما يجعل الدكتور من الحس ، وسيلة الفن
للمعرفة ، ينسى ان الحس ذاته هو درجة معينة من درجات التفكير ،
درجة بدائية لا تقي سوى الوجه الشكلي للواقع .. محاولة تمييز
صوره الادراكية على كافة الوجوه الاخرى .. ومن ثم ، فالفن القائم
على الحس وحده ، فن شكلي لا يتعدى مورفولوجية الاشياء ، فضلا
عن التعبير عن حقيقتها الباطنة .. وانما الفن الصحيح هو الذي
يعبر بالصور ، عن كافة وجوه الواقع تعبيرا متكاملا خلافا .. والفن
اذن ، لا ينشد الكائنات في ذاتها .. وانما يستهدف التعبير عن هذه
الكائنات بصورة صحيحة .

وهنا يتحطم الحائل الوهمي الذي اقامه الدكتور زكي ، بين
الفن والعلم .. ذلك ان الفن والعلم .. ليسا وسيلتين مختلفتين
للمعرفة ، ينشأ بينهما تناقض وصراع .. وانما هما وسيلتان مختلفتان
للتعبير عن هذه المعرفة .. فبينما يعبر الفن عن الحقيقة بالصور ..
يعبر العلم عنها بالمفاهيم (٢)

وجدير بالذكر ان تعريف الدكتور زكي للفن ، يجعل حديثه عن

تسلسله مبادئ المنطق الصوري ، ولذلك تراه ينتقل بك من مثل الى
مثل ، ومن حالة جزئية الى حالة جزئية ، لا يلتزم في تنابع سياقه
الا مجرى السليقة الفطرية في انسياب الحديث .. وما هكذا يسوق
حديثه المفكر الغربي ، وانما هو يلتبس المنطق العقلي والبرهان .

■ وحتى في مجال الفن ، نجد ان العول في الفن الشرقي ليس
على صياغة الحقائق الواقعية بواقعيتها كما هي قائمة في العالَم
- كما يعني الفنان الغربي - بل العول هو اندماج الفنان بذاته وبروحه
في تلك الحقائق ، ثم على اندماجها بعضها في بعض ، بحيث تؤكد
ما بينها جميعا من صلة تجعل منها ومن الفنان حقيقة واحدة .

■ وفي الاخلاق ايضا تجد الفرق واضحا ، فيستحيل مثلا على
شرقي أن يجعل مثله الاعلى في الاخلاق متعة الجسد ، على حين قد
تجد في الغرب فلسفات اخلاقية بأسرها - كفلسفة « بنتام » و « مل » -
تجعل المنفعة والمتعة مبدأ خلقيا صريحا .

العقل الشرقي اذن بطبيعته روحاني ، على حين ان العقل الغربي
بطبيعته مادي ..

لكن الطرفين قد اجتمعا في هذا الشرق الاوسط العبقري
العجيب ..

والطبيعة المزدوجة للشرق الاوسط ، قد عبرت عن نفسها في
العصور القديمة والوسطى على السواء ، ففي مدرسة الاسكندرية
بدأ اللاهوت المسيحي لأول مرة ينسق بين العقيدة من جهة والعقل

دارالمعارف لبنان

بنابة المبلي ساحة رياض الصلح م.ب. ٢٦٧٦

الغزة الانسانية التي تصور جوانب من الحياة الانسانية، تطمين للقراءة صورة صانعة
عن حياة الفرد وما يتجاوز من أهداف التجمعات والمناصب والمواليف

الناقصة المنة
ورقة جريدة
ورقة نايمة عذبة

الجريرة والعقاب



الكاتب الروسي الشهير
فيودور دوستويفسكي



التمت
١٠٠٠ ل.
ارما يادرا

تطلب من جميع المكتبات الشهيرة

- (١) زكي نجيب محمود « الشرق الفنان ص ١٢٦
(٢) راجع : ج. نيدوشيفين : علاقة الفن بالواقع ص ٨

فإذا كان الدكتور قد اقتنع بأن هناك ثورات في الفكر الانساني، فقد حطم - لا اراديا - نظرية الطبيعة الاصلية للفكر في مجتمع معين، والتي تصب الفكر في قوالب ثابتة تنطلق عليه الى الابد .

٥ - الفكر بين الشرق والغرب :

وجدير بالذكر ان الدكتور لم يناقش نظريته على المستوى المنطقي اطلاقا ، وانما حدسها حدسا ، واستراح الى نتائجها .. فراح يستعطف التاريخ بعض الأدلة .. الا ان التمحيص العقلي والتاريخ ، يستطيعان الكشف عن أساسها المنهار ..

■ فالكتابة الشرقية القديمة ، حينما تصور المسميات تصويرا مباشرا انما تعبر بذلك عن الواقعية الفوتوغرافية التي تتسم بها - المادية البدائية في محاولتها فهم العالم ، وحينما تطورت هذه الطريقة العقلية ، تطورت وفقا لها اشكال التعبير اللغوية ..

■ والفن الغربي ، ليس يقوم على صيانة الحقائق بواقعيتها كما هي قائمة في العالم .. فهذا هو مثلا « جون راسكين » ، يوقن « ان الجمال هو كشف عن الالهامات الالهية او هو « ختم » ينقشه الله في مخلوقاته وحتى اصغر مصنوعاته » (١) بل هذا هو بندونكروتشه يعلن انه « ليس للجمال وجود فيزيقي » (٢)

ومثل هذا المفهوم للجمال ، لا يقف عند اعتاب المستوى النظري .. وانما الاتجاهات المعاصرة في الفن ، كالسريالية والنكبيية وغيرها ، تحققة بالتطبيق ..

■ وفي الاخلاق ، يصر الدكتور على ان العبرة « بالمثل الاعلى » لا بطرائق العيش العقلية (ص ٦٦) . بينما الحقيقة ان طرائق العيش الفعلية هي التعبير الوحيد عن « الطبيعة الاصلية » لمجتمع معين .. بل هي المحك الوحيد ، لمدى التوافق او التناقض بين القيم الموروثة من ناحية ، والواقع القائم من ناحية اخرى .. واذا كان الدكتور قد أحس ان طرائق العيش العقلية تكذب دعواه ، فعليه ان يكون منطقيا مع نفسه ، ويرفض هذه الدعوى .

■ الا انه لا يفتأ يتخذ من الفكر الشرقي القديم - الفلسفة والدين - متكا سهلا يثبت به دعواه .. فهل حقا كان الفكر الشرقي القديم ، فكرا حدسيا صوفيا ؟

ان تعدد الآلهة ، والاصل الميتافيزيقي للعالم ، والتصور الخيالي للنهاية .. كل هذه المعتقدات ، كانت القاسم المشترك في الفكر القديم كله ، الشرقي والغربي على السواء ..

بل ان هذه المعتقدات كانت المحور الاساسي في الفكر اليوناني القديم ذاته .. « فالآلهة في قمة الاولمب يؤلفون حكومة ملكية على رأسها تزوس ، وكلهم في صورة بشرية ، يحيون حياة البشر ، لا يميزهم منهم الا انهم أذكى عقلا وأقوى جسما وان سائلا عجيبا يجري فسي عروقهم ، فيكفل لهم الخلود » (٣)

واما عن العقاب ، فمن أقوال هزبود « ان تزوس أحكامه قديمة ، وعينه تبصر كل شيء ، وساعة العقاب آتية لا محالة » (٤)

واما عن أصل العالم ، فقد حاول غير واحد من الكتاب والشعراء ، معالجة مثل هذه المسألة في صورة الميثولوجيا ، حتى انهم كانوا يدعون باللاهوتيين .. (٥)

كان الفكر المثالي اللاهوتي اذن ، تعبيرا واضحا عن محاولة العقل الانساني كله ، كشف الغاز الكون .. اللانهائي العظيم .

الا ان ذلك لا يعبر بحال ، عن « طبيعة » مثالية في العقل الانساني .. فلقد عرف المجتمع الشرقي القديم ، العلم التجريبي

قواعد النقد الفني حديث خرافة .. فضلا عن سلبه لكل مقومات علم الجمال .. اذ كيف يقوم علم بما لا يعلم .. ولا يقبل التحليل المنطقي .. بل ان مثل هذا التعريف للفن ، ينزع عنه كل دور فعال في تطوير المجتمع ، ويسلبه كل امكانيات الخلق والابداع .. حينما يحصر الاعمال الفنية في نماذج مستقلة فوق الواقع ، وفوق العقل جميعا .. واستقراؤنا للتاريخ ، يدين مثل هذا الرأي بالطلان ، ذلك ان الفعالية المتبادلة بين الفن والمجتمع ، ظلت حية ، مزدهرة .. على مدى التاريخ الانساني كله ..

ولسنا نستطيع اذن ، ان نقسم العقل البشري الى عقل فني ، وعقل غير فني . ذلك بان الفن لا يشكل منهجا خاصا في التفكير ، وهو اذن ، لا يعطينا جوابا عن المسألة الاساسية في الفلسفة ، أعني طبيعة العلاقة بين الفكر والمادة .

وانما تعريف الدكتور زكي ، للعقل الشرقي بأنه عقل روحاني تصوفي (١) ، يسمح لنا بكل تأكيد ان نضعه داخل أ سوار المثالية الفلسفية . فتصبح الصياغة الصحيحة لنظرية الدكتور هي ان العقل الشرقي بطبيعته الاصلية عقل مثالي ، بينما العقل العربي بطبيعته الاصلية عقل مادي ، وتجتمع الطبيعتان في عقل الشرق الاوسط .

{ - التفسير الطبيعي للفكر

الا ان مثل هذا التفسير الطبيعي للفكر ، لا ينهض عليه دليل واحد .. رغم ان التدليل المنطقي على الارتباط الوثيق بين العوامل الطبيعية - سواء تجسدت في طبيعة التربة والمناخ ، أم في طبيعة التكوين العضوي للبشر - وبين الفكر البشري . هو الاساس الوحيد الذي يمكن ان يدعم مثل هذا الرأي .

ولو بحثنا عن دليل واحد ، لنظرية الدكتور ، لما وجدنا اليه سبيلا .. ليس ذلك عن ضعف في مقدرات الدكتور الذهنية ، وانما عن عجز في الرأي ذاته .

فطبيعة التربة والمناخ وكافة الظواهر الكونية الاخرى ، لا تشكل بذاتها طريقة فكرية معينة .. وانما انكاسها في الفكر هو الذي يعطي مثل ذلك المنهج . وعملية الانكاس هذه انما تستمد جذورها من الواقع الحضاري المعاصر حينذاك . واما طبيعة التكوين العضوي ، فهو في خطوطه الاساسية ، سواء .. لدى كافة البشر . واما تنوع السلالات البشرية ، فهو ليس سوى تنوع في السمات المورفولوجية للتكوين العضوي ، ولا يتعدى ذلك بحال الى طبيعة المخ نفسه ..

والنتيجة المشتركة لكافة هذه التفسيرات الطبيعية للفكر ، هي ضرورة التوافق بين تطور الفكر وتطور العوامل الطبيعية ..

والواضح ان الفكر البشري في تطور مستمر ، بينما العوامل الطبيعية تعاني جمودا نسبيا . ففي المرحلة الطبيعية الواحدة ، نستطيع ان نرى عدة مراحل من أطوار الفكر البشري ..

ولقد أحس الدكتور بهذه الثغرة في نظريته ، وراح يبحث لها عن تبرير طريف .. فكتب يقول « للغرب نزعة عقلية منطقية الا ريشما يثور على نفسه ، وللشرق نزعة روحانية تصوفية فنية الا ريشما يثور على نفسه » (٢)

الا ان مثل هذا التبرير يدين الرأي نفسه ، ذلك بان الشوورة ، هي تعبير عن تناقضات معينة بدأت تنمو في قلب الشيء ، وظلت تكبر عنده حتى تقلبت عليه في النهاية . الثورة تعي - اذا استمرنا لفة الدكتور - طبيعة جديدة تتولد في قلب الطبيعة القديمة ، وهذا تناقض واضح ..

اذ ان طبيعة الشيء هي نظام داخلي متناسق يوحد كافة اجزائه فلا يدع جزءا معينا ينفصل عنه ، رافعا ضده راية الثورة ..

(١) الشرق الفنان : ص ١١٩

(٢) الشرق الفنان ص ١١٩

(١) دنيس هويسمان : علم الجمال ص ٥٥

(٢) المصدر السابق ص ٨٣

(٣) دروس في تاريخ الفلسفة : بيومي مذكور ، ويوسف كرم ص ١

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق .

البحث ، بل ان العلم المصري القديم قد أسهم في بناء ثقافات اجنبية عديدة ، الثقافة اليونانية ذاتها هي احداها .. (١)
بل ان الشرق القديم ، قد عرف المدارس الفلسفية القائمة على المنطق والبرهان (٢)

■ ففي الهند ، نجد ان مدارس « كابيللا » و « كانادا » و « غوتاما » قد مارست البحث المنطقي البحث .. وقال اوسطهمسا بالقول ، يقسم بها الموجودات والمقولات ، فيرى انها : الجوهر ، والكيفية والفعل والكلية والجزئية والاضافة .. بل انه فسر العناصر الاربعة (النار والهواء والماء والتراب) بانها مؤلفة من ذرات غير منقسمة ولا مندثرة ..

بل ان فكري الحلول والتصويرية ، في الفلسفة البرهمية لم تكن سوى نتاج التفكير المنطقي في الوجود ، والبحث عن اصل ثابت شامل يكون علة كل وجود .. بل لقد كشف بودا النتائج المنطقية التي قصر عنها البراهمة ، فانكر الذات .. ولقد أحس الدكتور زكي ، بالتشابه القوي بين فلسفة بودا في العصر القديم ، وفلسفة هيوم في العصر الحديث .. الا انه راح يؤكد ميتافيزيقية بودا ، بانه خطا خطوة بعد هيوم ، ودعا الى التجرد من الجزئيات .. بينما هذه الخطوة ذاتها تدل على مدى صدق ذلك الفكر مع عقله ومنطقه جميعا .. ■ ومن أعماق الصين القديمة ، نستطيع ان نسمع صوته

فيلسوف يدعى لاو - تسي ، يذهب الى نوع من الحلول التطوري ، فيقول بان كل شيء مركب من عنصرين : « طاو » : وهو المبدأ الاول ، ومعناه القانون او العقل . و « كي » او النفس الاول ، وهو مادة لطيفة يتحد به الطاو ، فيتطوران معا الى جميع صور الوجودات حتى ينتهي التطور الى الراحة القصوى Nibban ، ويعود كل شيء الى المبدأ الاول ..

السنا نحس تشابها قويا بين نظرية لاو - تسي في تركيب الاجسام ، وبين نظرية الهيولى والصورة عند أرسطو ؟ ثم .. السنا نجد في الفلسفة اليونانية ، مدارس حدسية صوفية ؟ ..

كيف نعلم ان قول الفيثاغوريين : ان العالم يتربك من عدد ونغم ؟ بل كيف نعلم عالم المثل عند افلاطون ؟ ثم كيف نعلم قول أرسطو : ان لكل جسم طبيعي خصائص وافعال لا تفسر بالمادة وحدها ، بل بمبدأ باطن يرد المادة المنبسطة في المكان شيئا واحدا (٣) !! أليس هذا « المبدأ الباطن » ، هو ذاته الاساس الذي جعله الدكتور محور النظرة الحدسية للعالم ؟!

بل كيف نفسر قول الرواقية بوحدة الوجود وبقسانون ضروري او عقل كلي مثبت من الوجود .. اذا كانت وحدة الوجود والروح مثبت فيه .. هي الملتقى الاساسي للنظرات الصوفية للكسون والانسان ؟! (ص ٦٧) .

السنا نرى ان الحديث عن عقل شرقي صوفي ، وعقل غربي علمي .. بعد كل هذا ، هو حديث خرافة ؟

ولقد نتساءل عما اذا كان الفكر الشرقي القديم ، قد قدم لنا بناء فلسفيا للعالم ، كما فعل الفكر اليوناني .. الجواب بالنفي . والتعليل بسيط ، فالفلسفة اليونانية ذاتها ، ان هي الا امتداد للفكر الشرقي نفسه .. ونحن نقول مع يوسف كرم (٤) ، بان « الشرق لم يعلم اليونان ، أي لم يلقنهم مذهبا أو منهجا ، ولكنه حفزهم الى التفكير بما أدى اليهم من مواد جمعها أثناء قرون طويلة ، فقاموا بعالجونها على نحو علمي » - حسب مفهوم العلم حينذاك .

(١) W. C. Dampien : Shorter history of Science p. 12

(٢) راجع : دروس في تاريخ الفلسفة .

(٣) دروس في تاريخ الفلسفة ص ٢٥

(٤) يوسف كرم - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٤

ولكننا لا نقول بطبيعة للشرق ، وطبيعة للغرب .. فالفكر الانساني وحدة كلية لا تتجزأ بحال .. وانما تتطور على مدى التاريخ . فالفكر الشرقي القديم ، والفلسفة اليونانية على السواء ، انما هما مرحلتان متتاليتان لتطور الفكر الانساني . والواقع المادي هو النبع الوحيد لمثل هذا التطور .

والقول نفسه يصدق على ثقافة الشرق الاوسط ، فلقد كانت الاسكندرية في القرنين الثاني والاول قبل الميلاد ، ملتقى الثقافة اليونانية الوافدة مع الاسكندر ، والديانات اليهودية ، والمسيحية - فيما بعد الميلاد - النابعة من الشرق الاوسط .. وكان تفاعل الثقافتين بالاضافة الى الاوضاع الاجتماعية حينذاك هو المسؤول الاول عن نزعة افلوطين وأوريجين للتوفيق بين الفلسفة والدين . على ان مدرسة الاسكندرية قد تميزت غير ذلك بنزعات فكرية متطرفة ، فكانت المدرسة اليهودية وعلى رأسها فيلون من ناحية ، وكانت المدرسة الوثنية وعلى رأسها أمونيوس من ناحية اخرى .

حتى اذا جاء هذا العصر الوسيط ، رأينا العقل التجريبي والحس الصوفي ، يقفان جنبا الى جنب ، في الفكر العربي .. بسـل أحيانا لدى الفكر العربي الواحد ..

الا ان المصدر الحقيقي للظاهرة ليس طبيعة أصيلة لعقلية الشرق الاوسط ، وانما الواقع الاجتماعي القائم حينذاك ..

ذلك ان « الواقع الاجتماعي للدولة العربية كان زائرا بالصراع ، كأي واقع اجتماعي آخر ، وتطوره انما كان ثمرة للعوامل المتصارعة فيه ، ولهذا ففي الوقت الذي نلمس فيه هذا الاتجاه العلمي ، السذي انما كان ثمرة للعوامل المتصارعة فيه ، ولهذا ففي الوقت الذي نلمس فيه هذا الاتجاه العلمي ، الذي يمثل جوهر الفلسفة العربية التي تتفق مع الدولة الناشئة الطامحة ، نجد كذلك انجاءا آخر متناقضا كل التناقض ، ولكنه ليس انجاءا ارسطاليا غائيا ، بل انه انجاء صوفي اشراقي .. وهو اتجاه معاكس تماما ، يمثل الصراع داخل المجتمع العربي الاسلامي ، ويمثل عوامل النكوص والتخلف » (١)

٦ - الدور الاجتماعي للنظرية :

نحن نرى ان ، ان كل الادلة التي حاول الدكتور زكي ان يستمد منها من التاريخ ، انما هي استقراء خاطيء لظواهر فكرية معينة .. والخطا هنا يكمن في عزل هذه الظواهر عن جذورها النابعة من ارض الواقع .. ثم في تجريدها من حركتها وعلاقاتها المتبادلة مع كافة الظواهر الاخرى .. ثم تعميمها تعميما مطلقا .. ثم اخيرا في ردها الى طبيعة ميتافيزيقية تنبع من اعماق الغيب .

وقد كان الانعكاس الاجتماعي لنظريته ، كفيلا بان يجعل الدكتور ، اكثر جدية في البحث ، واكثر التزاما للمنطق .. لو انه استهدف الحقيقة .

فالتعميد الكامل لتطورنا الفكري والاجتماعي ، هو النتيجة المباشرة لمثل هذه النظرية ..

فاذا كنا نعيش ثورة تنمو في كافة مجالات الواقع ، وتستهدف تغييرا شاملا لواقعنا الاجتماعي المتخلف ، فان الدور الرجعي للنظرية الطبيعية يصل الى القمة .

وليس الدكتور زكي من السذاجة بحيث نفترض جهله بهذه النتيجة .. وليس منطقته بالمنطق العلمي بحيث نعزو رأيه الى الاخلاص للحقيقة .

٧ - التفسير الاجتماعي للفكر :

ذلك بان للمنطق العلمي في البحث عن مصدر الفكر طريقا اخر .. فالفكر هو النتاج المباشر لحركة الخلايا العصبية .. الخلايا العصبية

(١) محمود امين العالم : كتابات مصرية - ص ٦٩ عدد ٢

ترجع الصور التي انتظمت بها العارف الإنسانية ، اذ انه الينبوع الذي تفيض منه القوة الجسمية ، والقوة المعنوية في اقصاها الحياة المشتركة « (١)

ثم هذا هنري بوانكاري ، يجعل من النظرية العلمية مجرد فرض نافع فيقول بان « النظرية العلمية قائمة دائما على قدر من الفرص ، وما النظريات التي يقال انها حقيقية الا أنفع النظريات .. ذلك بان النظريات رموز مجردة يركبها العقل للتعبير عن العلات المشاهدة بين الظواهر .. » (٢)

واخيرا هذا هو برجسون يعلن « في وقت ما وفي نقط ما من المكان نبع تيار حي واجتاز أجساما كونها على التوالي وانتقل من جيل الى جيل وانقسم بين الانواع الحية وتشتت بين الافراد دون ان يفقد شيئا من قوته بل انه يزداد قوة كلما تقدم .. اما المادة فقد نشأت من وهن التيار الحيوي أو توقفه ، فما هي الا شيء نفسي تجمد وتمدد .. »

وفي نظرية المعرفة يرى برجسون انما « المعرفة الحققة حدس يدرك الموضوع في ذاته » (٣)

عن اي غرب عالم اذن يتحدث الدكتور زكي نجيب محمود ؟! وهل توارت الفلسفة الاوروبية المعاصرة عن نظريته .. كلا .. وانما هي النظرة الحدسية عجزت عن ادراك الجذور الحقيقية للفلسفات المثالية المعاصرة ، ومن ثم لم تعد تدري بانما هي فلسفات نظام اجتماعي يتحلل من الداخل .. بعد ان بلغ قمة التكنيك العملي وقمة

المأساة صا .. ونفس النظرة الحدسية هي التي حجبت عن بصيرة الدكتور ، حقيقة الشرق المعاصر . فما استطاع ان يرى الفلسفة العلمية وهي تنمو من قلب شرق اوربا وفي اعماق الشرق الاقصى . فمادية العالم ، وامكانية المعرفة الصحيحة ، والتشريح العلمي للمجتمع والتاريخ .. هي الاسس الجوهرية للفكر المعاصر في تلك المجتمعات ..

وليست الظاهرة من قبيل « الثورة على النفس » كما قد يعتقد الدكتور ، وانما هو الخط التطوري الصاعد لمجتمعات الشرق الحديث ، يمنحها الفلسفة العلمية كنتاج طبيعي لحركة التاريخ . واما الدكتور ، فلن يقتنع بهذا المنطق ، حتى يرى الواقع الاجتماعي من حوله هو يتغير ، ويحس بالمنهج العلمي يفزو الفكر الشرقي في كافة مجالاته .. ولو أصر الدكتور زكي نجيب محمود حينئذ على نظريته الحدسية لسمعناه يقول بالشرق العالم والفكر الفنان ..

وحينئذ فقط ، سوف تعرف نظريته طريقها جيدا الى متحف الآثار .

عاطف احمد

القاهرة

(١) نفس المصدر ص ٤١٨

(٢) نفس المصدر ص ٤٢١

(٣) ص ٤٢٦ - ص ٤٢٧

تستمد حركتها من تفاعلها مع العالم الخارجي .. والدائرة الاولى من العالم الخارجي التي يتحرك داخلها الانسان بمقتضى احتياجاته ، هي المجتمع .. فالفكر اذن نتاج المجتمع .

هل هناك منطق اكثر وضوحا من هذا المنطق ؟ لماذا لم يدلنا الدكتور عليه اذن ؟ لعله يشير الى كتابه « نحو فلسفة علمية » ويقول « اقرأوا . فهذا منطق جديد » (١). ولسوف نقرأ معه هذه الكلمات « دعوانا في هذا الكتاب ، هي ان الفلسفة ينبغي ان تكون تحليلا صرفا ، تحليلا لقضايا العلم بصفة خاصة ، لكي نضمن لها ان تسائر العلم في قضاياه ، وان تفيده في توضيح غوامض تلك القضايا ، دون ان تتعرض للضرب في مجاهل القيب » (٢) . فاذا تساءلنا عن ماهية التحليل ، اجاب « يستحيل ان يكون لكلامي معنى الا اذا خلته الى مفردات اولية ، كل مفرد منها قضية ذرية ، موضوعها حالة جزئية تدرك باحدى الحواس » (٣)

ونحن نسأل الدكتور : لماذا لم تتبع اذن ، هذا المنطق الوضعي ، في تحليل نظريتك عن الشرق الفنان ؟! ولماذا - بدلا من ذلك - اخذت تتحدث عما وراء العالم المحسوس ، فتتناقض بذلك حتى مع نفسك ؟!

٨ - الشرق العالم :

بل ان نظرة واحدة الى الفكر المعاصر ، كفيلة بان تضيء الطريق الى حقيقة الدوى .

فاذا كانت السمة الجوهرية للعلم ، هي الايمان بواقع مادي موضوعي مستقل عن المعطيات الشعورية ، فان الفلسفة الاوروبية المعاصرة ، تجنح جنوحا شديدا عن المنهج العلمي .

ففي اميركا ، نستطيع ان نسمع صوت وليم جيمس ، يخضع الحقيقة للمنفعة ، ويخضع التجربة العلمية للتجربة الدينية ، مستمدا من الاخيرة عقائدها الثلاث التي ترجع اليها الحياة الدينية « عقيدة ان العالم المنظور جزء من عالم غير منظور يمد به بكل قيمته ، وعقيدة ان غاية الانسان الاتحاد بهذا العالم غير المنظور ، وعقيدة ان الصلاة اي المشاركة مع الالهية فعل له اثره بالضرورة » (٤)

وصوت جوزيا جويس ، يؤمن بان « المطلق كلي ناقص يتكامل على الدوام بان يترجم عن ذاته بافراد .. » (٥)

فاذا تركنا اميركا الى انكلترا ، رأينا هيربرت برادلي ، يؤكد ان « الوجود اللاتناهي دون غيره منسجما تمام الانسجام وثابتا لا يتغير لانه كامل ، ولذا كنا نترع دائما الى الصعود ونريد ان نفنى في المحبة كما يصب النهر في البحر .. » (٦)

وهذا صمويل الكسندر يرى ان « في الطبيعة ميل الى ايجاد صور ارقى فارقى يعتمد كل منها على ما دونه كما يعتمد الفكر على الجسم ، هذا الميل هو الالهية » (٧)

ثم هذا هو ايتهد « لا يقر العلماء على رد الاشياء الى عناصر عاطلة من الكيفيات » وانما يرى في اجزاء الكائنات « أحداث او وحدات مكانية زمانية وعلاقات بين الأحداث ، تجري هذه وتلك بمقتضى قوانين ثابتة .. جملة هذه القوانين يمثل الالهية » (٨)

ثم شيلر يؤمن بان « الحقيقة امر شخصي .. » حتى اذا تساءلنا عن الفلسفة العلمية في فرنسا ، صاح بنينا دوركيه قائلا بان « الدين اقوى مظاهر الحياة الاجتماعية واعمها ، اليه

(١) عنوان الفصل الاول من الكتاب

(٢) زكي نجيب محمود : نحو فلسفة علمية .. ص ١٦

(٣) المصدر السابق ص ٢٢

(٤) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة ص ٤٠٤

(٥) المصدر السابق ص ٤٠٨

(٦) نفس المصدر ص ٤١٢

(٦) نفس المصدر ص ٤١٣

(٨) نفس المصدر ص ٤١٤

طبعت على مطابع :

دار الغد للطباعة والنشر

شارع سوريا - بناية ببردويل

بيروت (لبنان) -

تمت ٢٩٩٩١

كان يهوى السير عبر الطرقات المظلمه
 حينما يهتز للنسمة قنديل بعيد
 ويرى القرية يوم السوق تحيا من جديد
 تنفث الدور عبير الخبز ، تهتز لموال سعيد
 تنفث القدر عبير اللحم ، والافران دفئا ودخانا
 ويرى الحبيبة يسقون حقولا من تراب
 كان يهوى السير في الارض الرحيبه
 يملأ الصدر عبيرا ورطوبة ،
 يرفع الثوب ، ويقتات من الارض خصوبه
 ويشم الماء والطين ، يغني حينما يلمس في السنبيل نعمة
 كان يهوى الشهب أن وارت ذيولا من وهج
 وتلاوى ضوءها فوق المياه
 كان طفلا يعشق الليل ، ويهوى ان يعود
 حينما يسمع تثويب المآذن
 ومضى ذات مساء
 يتغنى للقناديل البعيده
 والمواويل السعيده
 وجمال الارض والليل العميق
 ورأى عبر الطريق
 شبحا يري على الماء حجاره
 قال للطفل : « أنا في الانتظار
 وترقبك ليلا طويلا
 يا صديقي .. ولنسر بعض هنيهات قليله »
 ومضى يعث في صدر الغلام
 عصر التفاحة الحمراء في صدر الغلام
 ومضى في الظلمة السوداء .. لا همس ، ولا رجع كلام
 ومضى الطفل .. ولم يسمع تواشيح المآذن
 لم يعد يذكر في جرس المواويل عذوبه
 شبح الحزن قد اغتال القناديل البعيده
 وغدا الليل حكايات عن الموتى الصغار

* ————— *

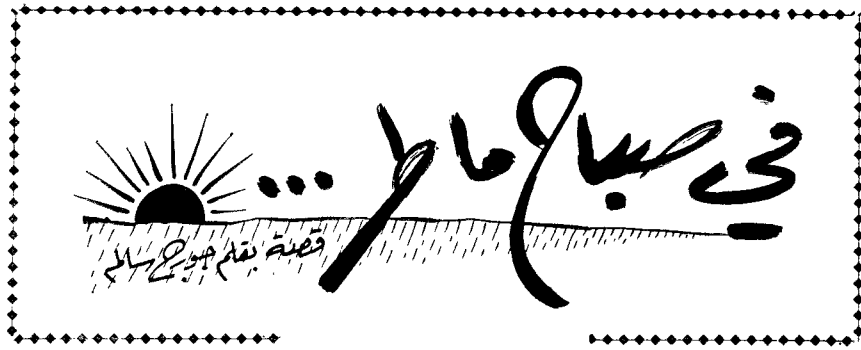
الطفل والحزن ..

« الى عامي الخامس والعشرين »

* ————— *

وأنى يوما على الحي غريب
 كان في كفيه جرح ، وعلى الصدر علامات غريبه
 وبعينيه بقايا من صلابه
 ودلالات خفيات وطيبه
 قال : ان الحزن قد مر عليا
 حينما جفت من النهر المياه
 حينما جفت من الزيت قناديلي البعيده
 وأنى الموت البا
 وطوى الليلة طيا
 وطواني اذ طوى الليل ، وصب السم في قلب الحياه
 غير اني - والردى يلهث في قلبي - انطلقت
 أنظر الأرض التي شاخت وما زال الصبا في كتفيا
 لم ازل طفلا ، وحملت على صدري الام الرجال
 كان حزن الجيل في قلبي .. ولكنني أتيت
 عامي الخامس والعشرون مازال يطير
 باحثا عن ذلك الطفل الصغير
 ذلك الميت في قبر السنين العاريات
 باحثا في النهر عن ماء
 وعن زيت لقنديل بعيد
 وبقايا من صدى حلو وموال سعيد ..

القاهرة محمد عفيفي مطر



ورأيت الوجوه يفسى وجوه النسوة ، والشفقة تنصر العيون .
كان الصوت الذي انبعث منه قويا حادا نفاذا اشبه شيء بنباح
الكلاب . وشعرت بالفصص في حلقي ، وانا ارى الى بنطاله الاسود
يتدلى فارغا من كلتا ركبتيه . كنت اعلم ان جارنا كسيح ، ولكن لم
يدر في خلدي قط كيف يكون المرء كسيحا . وادركت الان بسرعة
ان ليس لهذا الانسان من ارجل ، بل له فخذان فقط ، وان احدهما
هي التي ارتطمت ببوابة الحجربة منذ لحظة ، فألمته ايلاما شديدا .

لست أدري متى أقام هذا الرجل في المنزل المواجه لنا . لانني
اعرف انه يسكن هذه الفرقة منذ بدأت أدب في هذا الحي . وكنت
انزل بعض الاحيان ، لالعب مع اولاد الجيران في هذا المنزل ذي الغرف
الكثيرة ، فنقرب جميعا ببطء وحذر من النافذة الوحيدة في غرفته ،
نتطلع اليه . كنا نراه دائما جالسا القرفصاء على طراحة ، وقد غطى
رجليه بغطاء صوفي . لم يكن يزوره احد ، بل كانت تمر عليه خادمة
مسنة ، عصر كل يوم ، وهي منصرفة من الخدمة ، تحمل اليه صرة
صغيرة ، وقد محتها غير مرة تنظف له الفرقة وتعني به ...

ولقد علمت فيما بعد - ولست اذكر كيف كان ذلك - ان له ابن
اخ يسكن في الحي المجاور ، وكان ابن اخيه هذا يأتي الى بيت عمه
كل يوم احد فيحضر له شيئا من الطعام ويتفقده بسرعة ، وقد رأيت
يوما يملا له نابض الساعة التي على الحائط . وكنا انا وابناء الحي
نضحك من ابن الاخ هذا الذي يكاد يبلغ عمر عمه .

ترك احد الرجال الثلاثة الذين كانوا يحملون الرجل الكسيح
العبد الى رفيقيه ، ومضى مسرعا ليحضر حملا كانوا قد اوقفوه
في اخر الحي . ولم اكن قد انتهت اليه حتى ذلك الحين . بينما
وقف عدد من الرجال القرباء عن الحي بالقرب منه . وسارعت احدى
الجارات تحمل الى الرجل غطاءه الصوفي وهي تردد :
- الطقس بارد ، بارد جدا .

وسمعت احدى الجارات تقول لامي :

- هؤلاء هم الموظفون .

فاجابتها امي بسرعة :

- موظفو الحجز .

وقالت جارة اخرى :

- الذي لا يدفع اجرة البيت ، يخرج صااحب الدار منه .

اللهم نجنا .

والفتت الى ابي لاستطلع رايه . فلم يجب بكلمة . بل أوما براسه .

ثم اضافت الجارة الثرارة :

- لم نر صاحب الدار .

- لقد ارسل هؤلاء الثلاثة بدلا عنه مع الموظفين . ومعهم امر

بتخليه الفرقة .

لست ادري لماذا اشعر برغبة ملحة في ان احدثكم عن ذلك اليوم
الماطر ، وصباحه الكئيب القاتم . ان صفوته لا تزال ماثلة امام ناظري ،
وذكره لا تزال تلاحقني منذ سنوات بعيدة . ومن يدري فلعلكم
تشاطرونني تحمل عبء ذلك اليوم الذي وقفت فيه جامدا لا استطيع
ان افعل شيئا .

كان ذلك في احد ايام كانون . استيقظت باكرا على عادتي كل
يوم ، ورحت أتصفح بعض الدروس قبل ذهابي الى المدرسة حين
تناهت الى مساعي حركة غير عادية في حينا ، وان اية حركة تحدث
في هذا الحي ، يشمر بها الناس جميعا . كان حينا ضيقا فلا تمر
به عربة او سيارة ، وبيوته متلاصقة حتى ليسمع الجار حديث جاره ،
والافراد طلعة الى ما يحدث لكل من سكان الحي ، لان الحيوات
متشابهة ، والمصائر لا يكاد يختلف بعضها عن بعض . وكاننا كسان
هنالك سلك دقيق يربط الناس جميعا برباط واحد .

وارتدبت ثيابي على عجل وخسرت من البيت ، فاذا امي وابي
واخي الصغير الذي لم يكن يفقه شيئا مما يجري حوله ، قد سبقوني
الى الوقوف امام باب الدار ، وحين اطلت براسي من بينهم وجدت
ان الجيران قد اصطفوا امام منازلهم ، وتجمع قسم منهم امام المنزل
المواجه لنا .

كان ثمة نظرات يتبادلونها ، وهمسات وانتقال من مكان الى مكان
رغبة في التمكن من الرؤية . وزحمت اهلي الذين كانوا يسدون
علي الطريق ، وحين تقدمتهم قالت لي امي بالحاح :
- عجل في الذهاب الى المدرسة فقد حان وقتك .

الا انني ادركت من الحاحها هذا ، انها تريد ان تصرفني بسرعة ،
فما كان مني الا ان ازدددت شوقا للتطلع واجبتها :
- لن يحين وقت ذهابي للمدرسة قبل نصف ساعة على الاقل .

وتسمرت في مكاني .

لم استطع ان النقط ، اول الامر ، اية كلمة من افواه الناس ،
مع كثرة كلامهم ، لان اصواتهم كانت خافتة وجملهم متقطعة . ثم برز
اخيرا ثلاثة رجال يحملون جارنا المعجوز . كان المنزل المواجه لنا
منخفضا متهدما ، يتألف من عدد كبير من الغرف يلاصق بعضها بعضا ،
وتحيط بباحة ذات احجار خربة متراكلة . وكانت هناك عدة درجات
كبيرة تصل الباحة المنخفضة بالشارع الضيق ، فكان لا بد للصاعد
الى الشارع ان يحني رأسه امام قطرة الباب المنخفضة .

واذ التفت لاسال والدي عن القضية وجدته يحرك يديه بعصبية :
- هل مات جارنا ؟!

فرفع رأسه ان لا ، وقالت امي بحرقة :

- ليت مات !

ولم تنابع كلامها ، فقد انبعثت عن الرجل المعجوز صرخة قوية
اذ ارتطمت احدى رجليه ببوابة البيت الحجربة .

ونظرت الى ما كانوا ينظرون : كان كلب مقتول ممددا على الحضيض وقد سال من رأسه دم اسود وتخر على شعره الاسود الكثيف ، وظهرت قطع من الوحل عليه ، ورفس احد الطلاب قوائمه فلم يتحرك .

- انه ميت !

- ترى من قتله ؟

فلم نستطع ان نتكهن بذلك . وسرعان ما بادر احد الزملاء يقول ، وقد بدا له انه يفوقنا علما واطلاعا :

- البلدية . هناك موظفون يحملون البنادق ويقتلون كل كلب يرونه شاردا في الطرقات لا اصحاب له .

وبدا لنا ان هذا التفسير معقول ، فافتنع به الجميع . وتابعنا السير ، فالتفت الى رفيقنا اسأله :

- ولكن لماذا يتركونه هكذا في الطريق ؟

فهمد شفته وقال لي :

- هذا امر لا اعرفه !

وتناهى الى سمعنا صوت الجرس فمضينا بسرعة . كان المطر يتساقط على مهل ، على بلاط الطريق ، وفوق اكتافنا ، وعلى رؤوسنا .

جورج سالم

دارالمعارف لبنان

بناية الميلي ساحة رياض الصلح م.ب. ٢٦٧٦

قصص
القصص التاريخية التي تصور معارك الثورة الفرنسية ، قصة رجل من النبلاء كان في وناضل مع الشعب ضد الطغاة وحكم النبلاء الفاسد

قصص ملونة بالمجاهات والمغامرات والبطولة

كلاموش



تطلب من جميع المكتبات الشهيرة

وتدخلت جارة غيرها تقول :
- ألم يكن باستطاعته ان يعفي هذا المسكين من اجساد البيت ، ما اطعم الانسان !

وقالت الجارة الثرثرة بثيرة فيها الالم والحدة والسحرية :

- سياخذ مالك البيت ماله معه الى العالم الآخر .

وتساءلت وانا في ضيق :

- ولماذا لم يدفعها ؟ وهل كان يدفع من قبل ؟..

وفي هذه المرة خرج ابي عن صمته ، وهو ينظر الى عيني تنطقان بالسؤال :

- لم يكن له غير ابن اخيه ، واعتقد انك تعرفه . ومع انه لم يكن على شيء من سعة اليد فقد كان يؤمن لعمه اجرة البيت . وكان هناك من يرسل له الطعام بين الحين والحين .

واضطربت الكلمات في حلقه ، فقلت له :

- لم افهم .

- لقد مات ابن اخيه منذ حوالي شهرين .

- آه .. فهمت !

كان الرجل قد احضر الحمار ، فوضعوا عليه الكسيح ، وربطوه بحبل فبدا كأنه حزمة من الحطب في طريقها الى السوق . كان رأسه الكبير يلامس رقبة الحمار ويكاد يصطدم برأسه . لم نسمع الرجل الكسيح ينس بأية كلمة ، او ينطق بأي حرف طوال نقله ، باستثناء تلك الصرخة التي ظلت معلقة في الجو . وسار الحمار ومن ورائه القتالون والموظفون . كانت عيون الجميع تتبع الموكب متعبة . وعاد معظم الجيران الى منازلهم الا بعض الثورات اللوانسي كن لا يزلن يعلقن على الحادث .

ودخلنا جميعا الى البيت فرأيتني اسأل دون ان اقصد احدا بالسؤال :

- الى اين اخذوه ؟

فقال ابي ببطء :

- اعتقد انهم سياخذونه الى ماوى العجزة ، فليس هناك من يؤويه .

وهزت امي رأسها :

- هذا اذا كان هنالك متسع لضييف جديد . فالمكان مكتظ بالعجزة . اخشى ان يضعوه على باب احدى الكنائس ، مع من نراهم كل يوم احد حين نذهب الى الصلاة .

كان ابي قد ارتدى سترته وتابط غصده ومضى في صمت . فقالت له امي :

- لا تنس الشمسية .

وفي الواقع فقد كانت قطرات من المطر تهطل ببطء ، وازداد الجو حلكة .

حين نظرت الى الساعة وجدت انها تقارب الثامنة ، فتنساولت كتبي واتجهت الى المدرسة . لم اكن افكر بأي شيء ، بل كنت اشعر بشيء يشبه الفصمة في حلقتي وحشت الخطأ . ربما كنت اريد ان القي نظرة اخيرة على جارنا ، ولكن يبدو ان الرجال ساروا به في طريق اخرى ، ولم اكن اريد ان اطيبل الطريق فيبعد ربع ساعة يقرع جرس المدرسة .

كانت مدرستنا القديمة تقع في حي ضيق منحدر كثير التمرجات ، ولحت من بعيد عددا من رفقائي يسرون ، فأردت ان اناديهم او الحق بهم ، واذا بهم يتجمعون فجأة ويقفون في مكانهم ، وبقفزة واحدة كنت بينهم .



سهيل الجواد الابيض مجموعة قصص لذكريا تامر

الشباب الوحيد ، التسكع بين اصواء بقعية ، ووجوه مختلفة التجاعيد ، وكراس متخلعة في المقهى ، وديب رهيب مسكين على الارصفة ، ولعان وكنوز للآخرين وراء الواجهات . والحلم الطويل الكسول بان كل شيء يمكن ان يموت ، ان يقدم سيجارة لغم الميت قبل انقاسه الاخيرة ، وبان الساعة التالية لن تكون الا صدى لضربة سابقة ، غريقة في الازل . وبان المنطفات هي خير الامكنة لقتل الخيبة ومعاودة الامل ، وقتل الامل .

والحبة المجددة المخمرة ، في اعماق الشباب الوحيد التي تصعد من القصر نحو كل ما هو اعلى ، شاق ، صلد ، كضربات النواقيس ، كقرعة التراجيل في مقاهي البلادة المسحورة .

وفكرة عن المرأة ، لا تعرف منها غير مثالها الجسدي الثاني ، عن رفيقة صغيرة وراء النافذة ، عن موعد شاق مستحيل مع الكمال ضمن المسرات الصغيرة .

والطيبة المجددة في قبو الحس ، السوداء كالزنجي ، التي تلقي دائما باحكامها الساذجة تلقاء الاحداث المبهمة الكبيرة التي تصح في عالم الابعاد والنقود والشهوات المتحققة للآخرين ، للسكل الا انا ، للكل الا لهذا الشباب الوحيد التسكع ، هذا العنوان الصغير النائه بين حروف الموضوع نفسه ، بين معطيات المدينة المقهورة ، هذا الاسم غير الواضح ، هذا التمرد الصغير الابي لان يكون الانسان لا شيء ، لان يكون الشباب بدون شباب حقيقي ، القلب بدون حب والجيب بدون مال ، والجيب بدون كرامة .

والعصر الذي هو اطار كل مأساة ، انه ثقافة وتفاهة ومحاولات لشق مستقبل لن يكون ، ولكنه يكون من خلال احلام الشباب التمرد بحزن ، الجاحد بثقة ، الابي بجموح شيطاني .

ولكنه مع ذلك هو هذا الحصان الابيض ، النادر الرشاقة ، النادر الاصاله ، الذي يقطع مسافات الاحزان ، وخرائب الهوس ، وحلزونيات العتب الشبق ، ويملا بصيله الناصر الثائر كهوف الصمت والابوة المكسدة في جوف انسان الحقد والعقم .

هذه هي مجموعة قصص (ذكريا تامر) ، (سهيل الجواد الابيض) انها بالاحرى قصيدة طويلة لانسان عاشق ، طيب ، حزين ، نائر . . تشع عواطف الحنو واللهيب معا من حدوده ، ثم تنطلق الصور الحية المجسدة من جانب ، والاحساس الشعاري التراجيدي بالخيالات الانسانية من جانب اخر . ويهي غيث ثر بالخصب على ارض الشوك . تأتي رشة الفنان لتقوم بعملية تعديل للخلق . انه يريد ان يمسك الشوك الاسود بانامله الطرية ، ان يصفط عليها ، ان يخرج من عيدانها الجافة جنين زهرات رائعة .

ليس الفن عملية تصعيد للامل والحرمان ، انه عملية تحويل

في طبيعة الخلق ، تغيير لمعالم وجه الشارع والمقهى ، ونفس الاشخاص التائهين بين الجوع والمال ، بين الجنس والنبل ، بين الموت عن ضعف ، والموت عن تمرد وثورة .

لقد احس هذا الكاتب الشاب اولا بالمحركات الاساسية لتراجيدية العصر . انها تجتمع كلها تحت هذه الصيغة « العالم ليس لنا ، ولكننا نريد ان نمتلكه » . ومن هذه الضربة الصامتة ، ينبعث كل التأكيد ، وكل الحزن معا .

وفي قصة (رجل من دمشق) يعرض ذكريا لوحات هذا الفقد والتملك في الوقت ذاته . انه لا يستطيع ان يصور اية خلعة ، اي بعد خارجي ، الا وهو محمل بقيمة الرقص ، والدفع معا . فالمقهى يتحول الى خصائص فنية ، محملة بزوايا ضجرية ، ملوثة بالواقع ، ولكنها تشع احيانا عبرات صغيرة ، ان يدخن ، وان يستمع الى ثرات المناشد المجاورة ، والى مفامرات الاصدقاء الذين هرموا باكرا . وان يقابل عروسه من الجص في واجهة احد المحلات اللامعة وان يغازلها . ويضحك منه صاحب المحل المترف . وان يقامر اخيرا في عالم الاوهام .

وما اشد ما يتقن ذكريا عالم الوهم المأساوي . انه يجرد الابعاد المادية ، والصور المتمددة تحت الحواس ليجنحها باجنحة سحرة مخيفة ، كسحرة مكبت وهي تبشر بالقتل والملك معا . ورغم ان ذكريا يسمى ان يكون حسيا في تصويره للجوع في المعدة ، للجوع في الجنس للجوع في الكرامة والمحبة ، الا انه يظل يقدم لنا اوهاما سوداوية ، تكمن فيها عظمة هذا التحويل الغني من شوك الى ورود لن تتكون ابدا ، لن تفوح عطرها ، ولن تعطي ربيعها وغزلها الجميل .

ولقد سار البطل ، وهو واحد دائما ، في جميع هذه اللوحات القصصية مع احاسيس ، لا تحقيق لها في مادة خارجية صلبة مطواعة . فاذا بها تعطي عناوين الحس وشبقة المحروم بصور عكسية ، تؤكد دائما على الرغبة التي لا طائل تحتها .

وهكذا جاءت صناعة ذكريا تشكيلة ماهرة من مختلف الخصائص السحرية لعالم الاسطورة ، وجو الكلمة المبهم ، وصور التشويز الصاحب المبدع ، عن كل ما هو مالوف رتيب في عالم المصنفات ان في الشعور ، ان في الافكار ، ان في مظاهر السلوك . كما مثلا في قصة (النهر ميت) و (قرنفل للاسفلت المتعب) . وفي هذه الاخيرة يقدم الكاتب احداثا خارجية ، كالفتاة التي تحلم بالف رجل ، ودفن الميت ، وخصومة في الطريق من اجل فتاة اخت ، وعودة الى مقهى ، والى احكام تصويرية نهائية ، تختتم غابة الياس ، بشمع من الشعور بالجهود المطلق ، بالترك في وهدة الوحدة الفردية المناسبة .

هكذا تظل الاحداث ، والابعاد المكانية ، والتحويلات الكلية الخارجية ، مجرد مناسبات ، للتهويم التراجيدي الوهمي ، في عالم تصييدات حسية داخلية لا موضوع لها ، سوى التلذذ بالاسى والشهوة الباطلة معا . لقد كان البطل متخما دائما باحاسيسه الخاصة ، بمواقفه الذاتية الصامتة ، كان ينتحر داخليا ، ويؤله وجدانه ، ويقع على ثروة من

الشعور بالتفرد والزهو حتى بالفقر والتخلي ، فقد الاشياء ، وتخلي
الاخرين عن الفرد .

ويدرك القارئ ان كل قصة من هذه المجموعة الفريدة في موسم
الانتاج الماضي ، انما هي مشروع بناء لعوالم سحرية ، لا تعارض الواقع ،
ولكنها تدمره نهائيا في سبيل لذة الرقص والتعالي فحسب . في سبيل
تأكيد الشعور بقيمة الجو الذاتي ، دون اي تجسيد امامي حولي .

ان الحراس تتجه عيونها نحو داخل ابدا ، وهي لا تلتقط
مجرد احكام تقويمية ، ولكنها تمتص توترات وجدانية ، لا تريد شيئا
غير الذروة من كل حركة رفض للخارج ، وتأكيد لقيمة هذا الرقص في
الداخل باعتباره البرر الوحيد المتبقى لدفع الانتحار .

بل ما اكزه الحزن والموت والنقص والشبق . انها كلها فذارة في
عين هذا الجيل من ادباء التمرد . قد تكون حقائق كبرى ، ينصّب
بينها الوجود . ولكنها لن تستطيع ابدا ان تنال من عدو الجواد
الابيض وصهيله . .

فالرجل الزنجي هو فارس الجواد الابيض . اي ان الطيبة السلبية
والرشاقة الفنية ، هما الكنز الحقيقي لثروة الشاب الثائر . هما
نموذجه في رحلة الضجر عبر كل ما هو مألوف ، غث ، كثيف .

فالعالم الذي ليس هو لنا ، ونريد ان نمتلكه ، لن نمتلكه بعمد
الفعل ، بالشاعرية ، بل بالعدو فوق ذرواته ، وبمزق سمفونية الصهيل ،
لحن التمرد والرشاقة الروحية .

ان قيمة كل هذا النوع من الكتابة المشيخة ، المهومة ، الكابوسية
انها لا تستهدف غير عباراتها ، ومواقفها ، وانسانها الكاتب والبطل
معا . انها تحاول ان تتحرر من كل مسؤولية جبرية ضيقة . ولكنها
في الوقت ذاته تعانق العالم من صميمه .

ولقد كان من ابرز ما اتصفت به كتابة الشباب اليوم انها تصمد
من دوامة الشبق دائما ، وهو شبق جنسي في الاصل ، ولكنه اضحي
شبقا للكل ، للقيمة المفقودة .

وبهذه الصورة يظل الموقف الثوري حيا مجسدا حارا . ولا
ياخذ طابعا فكريا . فمن قلب المعاناة تظل القصة نفسها معاناة
جانبية لتجربة الاديب . اي ان الانتاج الفني لا يحتاج الى وعي المؤلف ،
وعني صاعد فوق الاثر ، مقيم له ، محلل لمركباته الواقعية والانفعالية .
بل يظل الانتاج يدخل قارئه في زوبعة تهويم ، لا يمكن الحكم عليها ، بل
الشعور بها من داخل .

ولذلك اتصف هذا النوع من القصص انه يخاطب نوعا من القراء
لهم جوهر التهويمي ذاته . والا لا تمتنع المحاورة ، ولقام سد حديدي
بين الطرفين .

ان كاتب القصة الذي يستوحي قضية العصر من داخل ، يتطلب
قراء عصر ، وتلك هي مشكلة الادباء الصاعدين بعوالم جديدة ، تمت
الى عصرهم اكثر مما تمت الى اي تراث مجرد ورفي .

مطاع صفدي

قصتان من الماضي بقلم محمد الجنوب

نشر وتوزيع دار الدعوة بدمشق ١٩٦٠ ١٥٥ ص

في دار من دور النشر الدمشقية صادفت احد الادباء ، فانبأته بانني
اراجع النسخات الاولى من رسالة جامعية لي (موسى وقومه في القرآن)
وانني انتظر ملاحظاته ورأيه بعد ان اهديه نسخة منها ، رغبة مني في
تعرف الاثر الذي ستلقاه هذه الخطوة قبل ان اضمها الى كتاب « فن
الرواية في القرآن » . فقال بالنسبة : انا اشرف على طبع كتاب
« قصتان من الماضي » للاستاذ محمد الجنوب له علاقة بموضوعك ،
وهو من اجمل ما قرأت له ، وانصحك بمطالعة ، فشكرته . فاليه
والى الاستاذ الجنوب الذي سألني عن رأبي في كتابه بعد حين اسوق
بعض هذا الحديث :

لم يكن عبثا او صدفة ان ينجز مدرس للادب العربي في ثانويات
اللاذقية وطالب جامعي في دمشق دراسة قصة موسى وقومه في القرآن
الكريم - كل بحسب طريفته - في حين واحد ، لكن من العبث ان
يلاحظ الظاهرة احدهما ، ويعرف سببها - لانه عاناها - ثم تستجيشه
عوامل كثيرة للكتابة ثم لا يكتب .

اما كتاب « قصتان من الماضي » فهو الحلقة الخامسة من سلسلة
« قصص للشباب والطلاب » التي يصدرها الاستاذ محمد الجنوب ولم
تنته بعد ، طالما ان الكنوز التي يستوحي منها المؤلف لا تنضب ، وان
العزيمة شابة ، والا الاقبال على المجموعة لا يوصف ، رغم تواضع
الطباعة وقصور الدعاية .

يفهم الكتاب حقا قصتين غابرتين : احدهما عن بني اسرائيل
مع نبيهم موسى « الشعب الثالث » والاخرى عن اسلام الصحابي سلمان
الفارسي « الباحث عن النور » . . واذا علمنا ان المؤلف لم يحصل ثقافته
الخاصة وامكانيته الادبية في المدارس او المعاهد العالية ، وانما بجهوده
الخاصة من دراسة الادب العربي القديم والثقافة الاسلامية ، وانه عمل
يوما في مضمار الحركة الاسلامية ، كداعية واديب وشاعر ، سهل علينا
ان ننسب المصادر التي استقى منها العناصر الاولى لقصتيه بالاضافة
للانطباعات التي تخلفها مطالعتهما لهما . ولعل الامر حتى الان سهل
على المؤلف الذي يريد ان ينسج هاتين القصتين بعد توفر عمودهما
الفكري والثقافة المناسبة ، او على الناقد الذي يحب ان يحاسبه او
يداعبه بعدما تعرف على اتجاهه الفكري وتاريخ حياته وثقافته ، لكن
الامر غير ذلك - كما يبدو - بالنسبة للكاتب والناقد ، لان النظرة الفاحصة
تقول : ان خلف الكتاب اربع شخصيات فائقة متكاملة ، او اربع ملامح
اصيلة لوجه جميل ، تلك هي شخصية الداعية الذكي ، والفاصل البارع ،
والمثقف الحساس ، والمثقف الناضج .

اما الداعية الذكي :

ففي اختياره الفن القصصي الروائي دون الفنون الادبية الاخرى
التي يلقب عليها اسلوب الخطابة والوعظ ، وفي اختياره القصص التي
توحي بمعالجة مواضيع اجتماعية وفكرية عصية معينة خطيرة ، تتصل
مباشرة بالواقع الذي نعيشه اليوم ، ثم يرتفع باختياره الفن القصصي
الى الكتابة في القصص الماضي ، وفي هذا النوع من القصص ما فيه
من اصول جاهزة للمؤلف ، وتوافق مع هدفه ونفسيته ، وانسارات
وموحيات لخياله ، واستهواء لميل الانسان الفطري القاري الى تعرف
اخبار الماضين وقصصهم واحوالهم . والقصة في اساسها اللغوي
والواقع الاجتماعي حكاية الماضي او ترجيع لذكرياته ، ثم خالطها التهويل
والخرافة ، حتى اصبحت يوما ما من منجزات الانسان واختراعاته ، مع
افتراض انها وقعت او يمكن ان تقع .

والقصة الاولى في الكتاب تبدأ من دخول موسى الشاب سيف صحراء
سيناء بعد هربه من مصر لانه قتل تابعا من اتباع فرعون الحاكم الطاغية ،
وافتح امر الجريمة بين المصريين ، وهو الان باطمئنان على اديم الرمال
يستعيد ماضيه وطفولته العجيبة : من ولادته لامرأة من بني اسرائيل ،
رغم رقابة البياحين - وقذفها له باليم ، والتقاط ال فرعون له ، ورضاعه
من امه بحماية القصر وترعرعه فيه ، ثم اكتشافه حقيقة نسبه وظلم
فرعون واضطهاد بني اسرائيل الى اندفاعه في قتل فرعوني في منفيس
دفاعا عن الاسرائيلي ، وافتضاح الامر . . ثم تتلاحق الحلقات فيدخل
موسى مدينة « مدين » ، ويحسن لابنتي شيخ من اذ يسقي لهما
غنمهما رغم الرعاة الاجلاف ، فيجزبه والدهما بتزويجه احدهما ، ويستخدمه
في رعاية الانعام مهرا لها . ثم يترك موسى « مدين » بعد عشر سنوات
الى مصر ، وفي طريقه يكلمه الله ويوحله رسالة هداية فرعون واخراج بني
اسرائيل من ظلمه بمؤازرة اخيه هارون ، لكن فرعون الطاغية يتهم عليهما ،
ويهددهما ، ويجادلهما ، ويبازرهما بالسحرة حتى تخفق جميع مساعيه ،
فيستعطر موسى عليه لعنات السماء ، فيستقيث به فرعون مسرات .
واخيرا يخرج موسى بقومه حتى البحر الاحمر ، وهناك يدركه فرعون
بجيوشه ، فيشق موسى بعصاه البحر ، ويعبر وقومه ، ثم يفرق فرعون

وجنوده . ولم يشكر بنو اسرائيل نعمة الحرية والهداية ، بل انقلبوا شعبا خبيث النوايا ، كثير العصيان .. اذ يطلبون من موسى عبادة العجل او رؤية الله جهرة ، وبالفعل عبدوا في غيبته في جبل الطور عجلا ذهيبا ، ثم تابوا ، ثم قتلوا رجلا مسكينا واتهموا به بريئا ، ولم يعترفوا حتى تكلم القنبل ، ثم تابوا ، ثم امرهم الله ان يدخلوا الارض المقدسة التي وعدهم بها فجنبوا ورفضوا الدخول ، فاعادهم الله الى الصحراء يتيهون اربعين سنة ، حتى يخرج منهم جبل جديد نظيف ، لكن بعض العادات لم تزايل الجيل الجديد ، فلم ير موسى بدا - وقد اقتربت منيته - ان يوصي الجيل الجديد بالتقوى ، واتباع الرسل القادمين لاسيما خاتم الانبياء « محمد » هذا الذي سيظهر عقوبة لبني اسرائيل من بني عمومهم ابناء اسماعيل « العرب » لا من بني اسرائيل . والقصة الثانية تحكي حياة شاب فارسي يدعى « مابه » الذي ترعرع في كنف والده احد دهاقين الفرس المازدة ، والشاب بذكائه ونساولاته الفكرية الملحة يفتن الى ضعف العقيدة التي ورثها عن اهله في عبادة النار ، فاذا به يتعرف الى الدين المسيحي في احد الاديرة ، ويصارع اباه باعتناقه المسيحية حبا في الحقيقة ، فيسجنه ابوه ، فيهرب الى كنائس الشام واحدة تلو الاخرى طلبا للاستزادة من النور بارشاد الاساقفة الصالحين الذين يرسلونه من مكان الى اخر عندما تقترب منيته وفي نهاية المطاف يصارحه اخرهم بانه لم يبق رجل صالح يمكن ان يرسله اليه ، وانه اقترب زمان ظهور نبي جديد ، سيحمل اللواء من الجزيرة العربية مكان كذا .. من علاماته كذا .. فيغامر الشاب ، ويكابد مشاق الطريق ، حتى يقع في الرق وينتقل الى يد يهودي في شرب . وبعد سنين من العبودية والاخلاص للسيد يظهر الاسلام ، والنبي المنتظر يدخل المدينة « يثرب » لكن الشاب الفارسي لا يؤمن به حالا رغم حبه له ، واعجابه بشخصه وصفاته ومبادئه واخلاقه وجهاده ، حتى يتأكد من العلامات الثلاث التي اشار اليها الاسقف الاخير ، فيؤمن سلمان - كما سماه الرسول - فيطلب مولاه ثمنا باهظا لحيته ، فيفديه الصحابة والرسول ، ويصبح سلمان من آل البيت بعد ان رأى النور الصحيح الذي بحث عنه طويلا وكاد يضيع في سبيل لقيه .

واذا افترضنا ان القصة الاولى « الشعب التائه » ترمز الى انحراف شعبنا او شعوب الارض عن حقائق السماء ، وانغماسها في حماة الارض والشهوات والتكاثر بالمال والجاه والطغيان والفجور ، وانصرافها عن صيحات المصلحين المخلصين امثال موسى .. مما ادى الى كسوارث استعمارية ، وانحطاط خلقي في الحضارة ، وقلق مضى على مستقبل السلام في النفس والاسرة والمجتمع والعالم بأسره .. وان القصة الثانية « الباحث عن النور » ترمز الى قلق فعال لدى الانسان الفرد المعاصر ، الذي يفكر اكثر ويحس اكثر وينفعل اكثر من معاصريه - على حد تعبير كولن ولسون - وانه سينتهي بملكائه الخاصة وبمدد من مصادر الاشعاع الديني الصحيحة الى اسمى ما يطمح اليه من وجود فذ ، وحرية ، وعدل، ورؤية رؤى عجيبة مذهلة سارة . اذا افترضنا هذا الرمز - والفرض هنا صحيح - لان الرمز معقول جدا بالنسبة لواقع كثيرين من شعبنا وشعوب العالم ، او لان هناك ارتباطا ايحائيا ظاهرا بين عنواني القصتين « الشعب التائه - الباحث عن النور » فاننا لن نتساءل : لماذا نشر المؤلف قصتين مرة واحدة في كتاب واحد على خلاف عادته في الكتب السابقة ، التي اكتفى فيها بنشر قصة واحدة لكل كتاب « مدنسة التماثيل » « قاهر الصحراء » « ثورة الحرية » « الكواكب الاحد عشر » ، كما انه ليس في نية الكتب المعدة للطبع ان تضم اكثر من قصة في كتاب . وهكذا نتبين سمة اخرى من سمات هذا الداعية ، وهو بهذا وبمجموع اللامح الاخرى « الفنية والذوقية والثقافية » يجب العنسا مطالعة القرآن وكتب السيرة ، لانه احسن ربطا - نحن العرب المعاصرين - بالقرآن ومكتبته ، القرآن الذي فصلنا عنه وفصله عنا حجاب صفيق من الزمان والظلام وتشعب الاهتمام ، ولعل ثلاثة عشر قرنا لم تؤثر فينا في تناولها ما اثرته عصور الانحطاط وثقافة الاستعمار وتوجيهه . فالسليقة العربية التي كانت تمنح اجدادنا الاوائل الفهم التلقائي السريع

لالفاظ القرآن وايجاهه ، والتذوق الفني المباشر الصحيح لمجازه وصوره والاعتبار السليم بقصصه وهتافاته الحارة وحججه وامثاله ، وتأمل سوره تأملا صحيحا متناسقا لا على انها اجزاء متفرقة لا رابط بينها ولا وشيجة هذه السليقة التي ضيعنا اكثرها بسبب العوامل التي ذكرنا يعوضها لنا المؤلف بملكته الخاصة في التذوق والفهم ، وفي تهيئة القصتين على الشكل الذي كان يراه اجدادنا العرب وبوسعنا ان نراه اليوم .

اما فنه القصصى :

ففي خلع الواقعية الحية على القصتين ، وفي اختيار الحلقات والاحداث المترابطة من اصولهما التاريخية ، وفي اضافة المشاهد واللوحات والتحليلات المكملة للجو الفني وللأسلوب الروائي ، لان عناصر الزمان والمكان - مثلاً - مهمة عموما في تلك الاصول التاريخية بله التفاصيل الجزئية التي تهتم بها الرواية الحديثة ، والتي من شأنها ان توحى بالواقعية ، وتنفس الحياة في الطبيعة وعناصر المشهد جميعها من حيوانات ونباتات وشمس وانسان ، ذلك لان المؤلف ادرك انه يكتب روايتين بالمعنى الفني المعروف ، وان القارئ المعاصر يطارد السياق ، ولا يرضى بالفجوات الكثيرة التي يتركها الاسلوب لذكائه وافتراضاته . يقول في فصل « اشارات السماء » :

« وكانت الشمس تسكب اشعة الاصيل العسجدية فوق بساط الصحراء ، عندما اطل موسى على اطراف « مدين » الرابضة في وسط الطريق ، بين الحجاز والشام ، فما هو الا ان اشرف على بئر القرية ، حتى القى بنفسه على صخرة ، تظللها فروع شجرة قديمة من السم ، ولم ينس ان يشكر الله الذي احاطه بعنايته طوال هذا الطريق الموحش ، حتى انتهى سليما الى هذا المكان ، ومن هناك انسربت عيناه تحديقان فسي جنبات هذه الطبيعة الصامتة ، تشرف عليه بكتبانها المبعثرة هنا وهناك وقد اخذت طلائع المساء تصبغ الافق الوردي بالوانها الشاحبة التموججة ، فيستشعر موسى نشوة عميقة ، تتغلغل في اعماق قلبه ، فتعلق به بعيدا عن الام الدنيا ، حتى ليخيل اليه انه ولد من جديد ، وان روحه تمازج كل ذرة من هذا الكون الواسع ، فتحس حركاتها ، وتسمع تناجيها ، وتشاركها اناشيد التمجيد ، لذلك الخالق الرحيم ، الذي وهب لخلقه كل هذا الجمال ..

وسرعان ما ارتسم على وجهه الابيض المشرب بالحمرة طيف ابتسامة عذبة ، تعرب عن اطمئنانه الى رحمة الله ، التي وسعت كل شيء .. وتحرك به الخيال مرة اخرى ، فاذا هو يستعرض من جديد ، حياته الناعمة في قصر فرعون ، فلا يتمالك ان يقلب شفتيه استهزاء بذلك المجد الزائف ، الذي اقامه الطغاة على اشلاء الضعفاء والمساكين ، بعد ان احتواهم الفرور ، فابعدهم عن الادراك الصادق لهذه الحقيقة الكبرى ، حقيقة الله ، التي ابت ان تهب السعادة الا للقلوب المؤمنة بجلاله ، المتواضعة لكماله ، الرحيمة بعباده .

وهكذا استقرت معاني السماء في قلب موسى ، فلم يعد يقيم وزنا لهذه الارض ، الا بمقدار ماتصله بهذه الحقائق ، التي ملكت عليه وجدانه . وهكذا تلقى موسى في هذه الرحلة الشاقة لونا جديدا من التربية النفسية ، فتحت مغاليق قلبه ، وردت اليه ماكاد يفقده من الشعور بحقيقته الانسانية العليا ، يوم كان ينتقل بين حدائق الطاغية ، وفي ظلال الحكم الظالم . وفجأة تيقظ موسى من سبحاته الروحانية ، في ظل الشجرة ، ليشهد منظر الرعاة ، يسوقون اغنامهم وابلهم السى البئر ، وتدفتت على سمعه انغام هذه الانعام ، ترتل اناشيدها المسائية ، فيفهم منها مالا يفهمه الناس ، ويعي من معانيها مالا يعيه هؤلاء الرعاة ، الذين الفوا سماعها في كل صبيحة وامسية ... فيصفي اليها في امعان عميق ، كانه يتلقى من خلالها حديثا لاسيلى الى فهمه الا في مثل هذه الخلوة الروحية حيث يتفتح القلب لالتقاط اشارات السماء .. وتضاعدت اصوات الرعاة ، وهم يتدافعون لاستباق الماء ، ورأى موسى منظرا جديدا من البقي ... حيث تتحكم القوة وحدها في كل شيء ، فلا يجد الضعيف سبيلا الى شيء .. لقد ابصر الرعاة يستولون على احواض الماء ، ليتيحوا لانعامهم سبيلا السقيا في طمأنينة ، ومن ورائهم

فنتان في مثل عمر الزهر ، تفقان مع انعامهما وراء القطعان ، في انكسار موجع ... منتظرين فراغ الرعاة ، واخلاءهم ساحة البئر ، لتقدماء السى الماء ...

وما كان موسى في حاجة الى من يسأله العون ، ففي قلبه من الدوافع الانسانية مالا سبيل الى رده او عصيانه .. وعرف موسى منهما قصتهما المحزنة ، فان لهما شيئا كبيرا لا يستطيع السعي لخدمة انعامه .. واقبل موسى على الرعاة يستفز نخوتهم من اجل ان يفسحوا لبهائم الغناتين .. وكانت الدلو من الضخامة والثقل ، بحيث تتطلب تعاون الرعاة جميعا ، لرفعها من قرارة البئر ، ولذلك كانت دهشة الرعاة عظيمة ، عندما راوا هذا الفتى الهزيل ينهض باعبائهم جميعا .. وانصرفت بهائم الغناتين سعيدة بحظها ، ترسل نفاها ورغاءها في مرج جميل ، كانما تعبر عن شكرها لموسى . وعاد الفتى الى موضعه من الشجرة ، وقد احس شيئا من الزهو قد اوشك ان يداخل نفسه ، وهو يسمع الى لفو الرعاة ، ويرى الى اعجابهم بقوته .. ولكنه مالبث ان تغلب على ذلك الشعور العابر ، حين ذكر ان الله هو الذي مازه بهذه القوة ، ثم هباه لمساعدة هاتين الغناتين الضعيفتين ، فتمتم في تواضع مهيب : « رب اني لما انزلت الي من خير فقير ... » ص ١٤ ، وهذا كله مما قاله مترجما قوله تعالى : « ولما توجه تلقاء مدين قال : عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ، ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ، ووجد من دونهم امرأتين تذودان ، قال ما خطبكما ، قالتا : لانسقي حتى يصدر الرعاء ، وابونا شيخ كبير ، فسقى لهما ، ثم تولى الى الظل ، ففسال : رب اني لما انزلت الي من خير فقير » القصص - ٢٥ .

ومما يدخل في دائرته الفنية حذفه لقصة فذة من حياة موسى - على اعتبار ان كل ماورد في القرآن قصة كاملة واحدة عن موسى - وهي مصاحبة للرجل الصالح ورؤيته العجائب من تصرفاته الغريبة « قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا ... » الكهف ، وسبب الحذف واضح لان المؤلف اختار من الاحداث الكثيرة مايلانس موضوع قصته ، ويرسم ملامح بني اسرائيل وابعادهم النفسية ، فسلط اضواء التحليل ، ولسات الحوار عليهم ، ولولا ان حياة موسى الاولى نفسه قبل البعثة تعكس بصورة ما حياة بني اسرائيل المضطهدة في ظل فرعون ، وتؤلف حلقة من معجزات موسى التي تؤكد نبوته لديهم .. لكان للمؤلف ايضا ازماء شأن اخر . ومن نافلة الحديث ان نقول : ان القصتين تمتعان في الاصل بمقومات القصة الفنية الحديثة من عقد ومفاجات ذاتية ، لكن المؤلف لم يقف عند الخصائص الذاتية ولا اكتفى بها بل اضاف مآراه مناسب لهما من عمليات الطي والنشر في عدة مواضع والإيجاز والاطناب في مواضع اخرى مثل بداية قصة « الشعب الثالث » التي بدأها من سيناء ، والبيضة العجيبة التي ترك سرها غائما في نهاية قصة « الباحث عن النور » .

التذوق الفني :

يؤلف التذوق الفني الشطر الاول من التجربة الشعرية والخطوة الاولى من الخيال الخلاق ، وكل ان يلتفت اليه النقاد لان علاقته المباشرة بالعمل الادبي جاهزا منقطعا عن كل نسب غير محسوس او ملموس ، ولهم في ذلك كثير من الحق ، لا سيما اذا كان العمل الادبي من بنات التجربة الشعرية وحدها ، دون ما اتصال بالطبيعة والوجود او الاعمال الادبية السابقة ، لكننا والمؤلف هنا قد استوحى تجربته من اعمال ادبية سابقة مضطرون الى الاهتمام بهذا الجانب .. لانه حقا من العناصر النقدية الهامة ها هنا ، ولاننا نعتقد بان السبب الرئيسي الذي حدا بالمؤلف ان يعطينا ما اعطى من حلقاته الروائية الخمس .. انه يتذوق القرآن الكريم ويعيشه بخياله وجوارحه ودموعه .. ثم بعد اعوام طويلة احب ان يعيشه بقلمه ، وان يشاركنا بتجاربه ، فهلا استعزنا عينه واذننه ولسانه وخياله لحظات :

(وبدت الشوارع في حلة انيقة من النظافة ، التي يدعو اليها الاسلام

وبعد ان كانت البرداء « اللاريا » تفنك بصحة الكثيرين من السكان ، فتصبغ وجوههم بالصفرة الشاحبة ، اصبحت الوجوه تطفح بالعافية ، فكان الارض غير الارض ، والناس غير الناس ، والهواء غير الهواء ! .. فما اجدر « يشرب » بعد اليوم ان تدعى « طيبة » وقد بات كل شيء فيها طيبا ! .. لقد طابت بفضائل الاسلام ، فلا تثرى (عيب) عليها منذ ان احتضنت دعوة محمد، واطلق عليها الرسول اسمها الجديد (طيبة) (ص ١٤٧) . هذا مثل صغير يعبر ببساطة عن ادق تذوق لفتى فني لدى المؤلف من خلال مطالعته السيرة النبوية ، ولا شك ان كثيرا من احكامنا على تذوقه القرآني تنسحب على السيرة ايضا ، فمما اذهلني تلك التعليقات الفكرية الرائعة لبعض المشاهد التي كنت اقف عند تفسيرها حائرا قبل ان اطالع هذا الكتاب ، ومرد ذلك الى حسنه الفني الخالص ، مثل تعليقه سبب طلب رؤية الله عند موسى وعند قومه : « ها هوذا موسى يسبح بجناحي روحه في غمرة النور الرباني ، وقد عاد ثانية ينعم بفيض الرحمة ، التي اصطفاه لها الله ، فيسمع بكل وجوده خطاب المحبوب الاعظم ، وتناجح اشواقه الوجدانية ، الى المزيد من ذلك الفيض ، فيطلب الى ربه ماطلبه بنو اسرائيل اليه ! .. » رب .. ارني انظر اليك .. »

ولا غرابة ان يذهب موسى بالدلال على محبوه الى هذا المدى ، وقد غمره بكل هذا الاكرام ، حتى باتت جوارحه متعطشة للتطلع الى مصدر الجمال الازلي .. وشتان بين سؤاله الكريم وسؤال قومه اللئيم . «

والمؤلف فطن للفرق الشاسع بين طلب موسى وطلب بني اسرائيل من صيغة طلبهم : « يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة .. » بينما يقول موسى : « رب ! .. ارني انظر اليك .. » فلنتصور ان المؤلف قدم لنا عمليين روائيين من خلال تذوقه الفني ، هذا الذي عرفنا أمثلة منه هنا ، ولعل كثيرا من اسباب نجاح هذين العمليين تعود الى روعة التذوق الفني للنصوص المتوحاة . وما نحسب فنانا او اديبا يفتقر لعنصر التذوق الفطري للجمال والفن .. فكيف اذا تمتع بقسط وافر منه . واذا اردنا اجمال حديثنا عن التذوق الفني لدى المؤلف قلنا : كان يقرأ ماوراء السطور او الآيات ، مثلما يقرأ الشاعر رسائل الورد ، ويترجم زفرقة العصافير وخبر الجداول .

اما جانب الثقافة :

فلن نتوسع فيه ، لانه شرط ضروري ، نفترض توفره في كل اديب يحترم نفسه ، ولا يهمننا ان يكون مؤلفنا قد تمتع به وحسب ! ولكن سئلنا الى تأثير هذا الجانب في كتابته ، فهل اقتصر عمله على التجييع والتقميش من المصادر والمطان التاريخية والادبية ، ام انفعل بها ثم ترجمها بخياله الخاص وتعبيره الفرد .. وهل وقف عند المصادر التي يجزم بصحتها عقائديا ، ام استفاد من المصادر المختلفة . الحق انه - كما يبدو - هضم اكثر المصادر المتعلقة بموضوعه ، واعطانا خلاصة مركبة متألفة من اقتناعه الشخصي وتعليقاته الموقفة وثقافته المتعددة المصادر ، فظرة واحدة تدلنا على ان المؤلف استفاد من ثقافته الفكرية ، فشر أشياء منها على الطريق وخلال تعليقاته ونتائجه ، فإوحى للقارئ ان الدين الصحيح - أي دين - لا ينقسم ، ولا يجوز ان ينقسم عن الحياة او المجتمع : ص ٣٢ - ص ٩١ - ص ٩٩ . والقصتان بمجموعهما تؤكدان هذا المعنى ، وتبرهتان بطريقة روائية لا غبار عليها ان الاسلام دين دولة ، ونظام يحكم الضمير والشارع ، وان الاديان كلها صحيحة في الاصل ، وانها من مصدر واحد ، ولقاية واحدة ، وان الاديان السابقة كلها تبشر بدين محمد الذي يختم الاديان : « جاء الرب من سيناء ، وشرق لهم من سعي « جبل في فلسطين » وتلا من جبل فاران « جبل بمكة » سفر التثنية ص ٣٢ . ص ٦١ « وفي ذوق عجب كان لسان « سلمان » يردد نبوءة أشعيا في وصف هذا الرسول وأثره في بلاد العرب : « الشعب السالك في الظلمة ابصر نورا عظيما ... لانه يولد لنا ولد ، وتكون الرئاسة على كتفه ، ويدعى اسمه عجيبا .. مشيرا .. قديرا ابا ابديا .. رئيس السلام .. » سفر أشعيا ص ٩ - ص ١٣٨ .

كتاب لانجر

١.٨ - ١.٣
١٤١ - ١١٢
٢٧١ - ٢٦٠
٢٩٧ - ٢٨١
٥٦٤ - ٥٣٧
٥٧٠ - ٥٦٤
٥٧٣ - ٥٧١

كتاب الدكتور عبده

٩٤ - ١٠٠
١٢٦ - ١٨١
١٨٤ - ٢٠٧
٢١٤ - ٢٤٠
٢٤٨ - ٢٩٥
٣٢٠ - ٣٣٢
٣٥٣ - ٣٥٦

فاذا استثنيت المقدمات الاولى التي لا تهم لانجر وبعض الاحداث التي تجاوزت حدود كتابه وبعض التذييلات والفقرات المدسوسة بين كلامه وجدت ان فصول لانجر الثلاثة هي الكتاب الذي « ألفه » الدكتور علي ابراهيم عبده ، حتى ان جملة الخاتمة عنده ترجمة من لانجر .

وبعد ان يستعرض القارئ هذا النقص الحرفي لا بد من ان يتساءل : ما الرأي الذي صححه الدكتور الباحث من آراء الاوروبيين وعلى كم مؤلف غير اوروبي اعتمد في بحثه ؟ وهل يجوز له ان يسلم - مترجما - بآراء الغربيين وهو العربي الافريقي في مشكلات حساسة تتباعد فيها زوايا النظر كمشكلة الصراع الدولي في اعالي النيل ؟ في مثل هذا الموضوع على المؤرخ المصري او السوداني ان يبذل جهدا اكثر مما يبذله الاجانب ، وان يوضح جوانب ربما لم يلتفت اليها الاوروبي الا انها تهمنا نحن الافريقيين . اين الاستفادة من الوثائق الكثيرة التي قد يعجز عنها الكاتب الاوروبي لانه لا يصل اليها او لانه لا يعرف اللغة العربية ؟ ان كانت ترجمة كتاب وانتحاله خطيئة كبرى فان التسليم المطلق للراء المنقولة خطيئة اخرى في حق تاريخنا . ان أبسط حقيقة يعرفها الدارس ان اعادة ترتيب الحقائق قد يغير الحكم التاريخي نفسه ، فكيف نفرض ان مؤرخا غربيا قد استوفى شروط النزاهة المطلقة في استمداد شواهد وترتيبها .

وقد يكون لانجر مؤرخا كبيرا وقد يكون محايدا في احكامه ولكن : هل هذا يسوغ لنا ان ننقل فصوله الثلاثة كلها في رسالة جامعية او ادعاءها ؟ وهل هذا يسوغ لنا ان ننظر بعينه الى كل مشكلة ؟ فاذا قال في موضع « ولا لوم على فرنسا في كذا » قلنا « لا لوم على فرنسا ... » واذا قال : « لا يمكننا ان نخوض الان في تفاصيل حملة مارشان » ردنا هذا القول دون ان نعرف ان كان التفصيل ملائما او غير ملائم لمنهجنا .

أليس عند من يؤرخ شيئا فكرة أو زاوية ينظر منها الى الامور ؟ لقد قال لانجر ان امين باشا فشل في ان يكون ذا عون لستائلي فسي فبراير سنة ١٨٨٩ لان مركزه تضعف بعد ان سجن رجاله . هذا قول مأخوذ على وجهه السطحي وعلى المؤرخ العربي الافريقي ان ينظر الى ما وراء هذا الكلام ، عليه ان يدرك ان ضباط مصر الذين تأثروا بثورة عرابي أدركوا المؤامرة الانكليزية وأدركوا ان امينا أوشك ان يكون مطية للاستعمار فسجنوه وأفقده مركزه ولعبوا دورا خطيرا فسي احباط المؤامرة ثم في الوضع السياسي للمنطقة جملة .

ومن أين يحق للدكتور عبده ان يقول من زاوية النظر العربية الافريقية ان الاستوائية اصبحت فراغا بعد ان خرج منها اميين ؟ هذا بينما كان الافريقيون من انصار المهدي او الضباط المصريون والجهادية وقبائل المنطقة يبدلون جهودا جبارة لوقف التدخل الاستعماري فيها وفي سبيل ذلك دخلوا في معارك ذات شأن فسي الصراع الدبلوماسي .

ولكن من اين يتنبه الدكتور الكبير الى هذا وهو يترجم ترجمة امينة يدعيها لنفسه ؟

ليس هذا المجال موضع مناقشة للراء التاريخية في البحث لان الحق ان توجه المناقشة الى المؤلف الاصلي لا الى المترجم - انما هذا موطن الافصاح عن ان علي ابراهيم عبده الذي نال شهادة الدكتوراه على كتاب ترجم معظمه من لانجر قد طعن النزاهة عدة مرات متمثلة في صور شتى - استهان بقدر الاساندة الذين قدم اليهم هذه الرسالة

ولا بأس ان نشير الى هفوات لغوية شائعة جدا على اقلام المعاصرين وردت في الكتاب : يستعرض من جديد ص ١١ . ومعنى يستعرض غير ماهو شائع اليوم . ومصدر الكل ص ٧٤ : كلمة كل من الكلمات التسي لاتعرف بالالف واللام مثل « سوى وغير وبعض » . في نفس الفمرة ص ٩٧ : كلمة نفس لاتسبق مؤكدها في العربية . فمعدرة للمعاصرين .

محمد محمود الحسناوي

دمشق

المنافسة الدولية في اعالي النيل

تأليف لدكتور علي ابراهيم عبده

« المنافسة الدولية في اعالي النيل ١٨٨٠ - ١٩٠٦ » رسالة قدمها الاستاذ علي ابراهيم عبده لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة الاسكندرية فناقشه فيها ثلاثة من المؤرخين الاجلاء وحصل بها فعلا على الدكتوراه مع درجة الشرف الاولى سنة ١٩٥٧ وطبعها مطبعة الانجلو المصرية بالقاهرة (سنة ١٩٥٨) في ٣٩٨ صفحة ، وكتب لها تصديرا شيخ المؤرخين الاستاذ محمد شفيق غربال .

حقائق خطيرة ، تومى الى قيمة العمل والى الجهود التي بذلت فيه وتشير الى المكافآت والتقدير التي أحرزها المؤلف ، واذا أضفت الى هذا كله قائمة بعشرات المراجع التي اعتمد عليها الدارس في بحثه - بين مطبوع ومخطوط - اخذك العجب . حقائق خطيرة لكنها لا تصف الا ظاهرا خداعا يخفي وراءه اكدوبة كبرى . ومن اسف ان أضطر الى استعمال هذه اللفظة النابية ولكني لا اجد أدق منها في التعبير عن الحقيقة الداخلية لهذه الحقيقة المفرعة .

لقد كدت اصدق الاستاذ وهو يدعي في مقدمة كتابه انه « بالرغم من كثرة ما كتبه الاوروبيون متفرقا عن بعض نقط هذا الموضوع لم تكن هنالك أية دراسة تناولته بروح محايدة ومن شتى نواحيه تناولا كافيا ... » - كدت اصدق هذه الدعوى حتى مضيت في قراءة فصول الكتاب ولشد ما اعتراني الذهول واعترتني خيبة الامل عندما وجدت ان المؤلف ، الدكتور علي ابراهيم عبده ، يترجم الفصول الثلاثة التي كتبها الاستاذ وليم لانجر عن الصراع الدولي في اعالي النيل في كتابه : دبلوماسية الاستعمار

W. Langer The Diplomacy of Imperialism

- اقول يترجم - وليتأكد القارئ انني لا اعني انه استعمل فحسب تقسيمات لانجر للموضوع بل انه نقل فصوله فقرة فقرة ، سطرا سطرا ، كلمة كلمة ، وكان امينا جدا في المحافظة على تقسيم الفقرات، ولم يتصرف في شيء واحد الا حين خافه التوفيق في فهم الجملة او اعينته ترجمة العبارة على وجهها الدقيق . وقد كان يشير الى لانجر بين الحين والحين ثم يضع فيما بين ذلك اسماء مصادر كثيرة ولكن القارئ سيرى اذا هو راجع الاصل ان ذلك نوع من الفش والتدليس ، ذلك ان تلك المصادر المذكورة في الهوامش ليست الا المراجع التي رجع اليها لانجر نفسه ، ومن الصعب ان يثق المرء في ان الدكتور عبده عرفها بل رجع اليها بنفسه . ومن المضحك ان الدكتور عبده قد أثبت جريئة من المصادر في آخر كتابه وتحدث عن قيمة كل مصدر منها ليومهم القراء انه عرفها ودرسها . ولكن من رجع الى التعليقات التي الحقها لانجر بفصول كتابه وجد هذا المؤلف يقيم المصادر ويتحدث عنها واحدا واحدا تماما كما تحدث عنها حضرة الدكتور .

ومن اجل ان يتمكن القارئ من تكوين فكرة عن مدى السطو الذي قام به الدكتور عبده احيله الى كتاب لانجر (طبعة ١٩٥١) في الصفحات ١٠١ - ١٤٥ ، ٢٥٩ - ٣٠٣ ، ٥٣٧ - ٥٨١ ليتحقق بنفسه مما اقول . وزيادة في التأكيد أقدم له هذه المقارنة على سبيل المثال :

الآن يدجو ببالي ،
دجرحا بسؤالي ،
مضرجا بابتوالي ،
بشوق روحي الكئيبة ،
الى بلادي السليبة ،
الى مروجي الخصيبة ،
ورغم كل جراحي
أقول :

« أحلى وشاح !
مبارك يا حبيبته ! »

★

وتحتسويك ذراعي ،
في غصتي وضياعي ،
ودون أن تشعري بني ،
أحس شيئاً بذاتي ،
شيئاً كحزن السوداع :
بيارة الذكريات ،
من شطر (يافا) الحبيب ،
تبكي بدمع سكب ،
تبكي بصمت رهيب ،
في غور قلبي الغريب .

دمشق كمال فوزي الشراي

✽ من ديوان (قبل لا تنتهي) الذي

يصدر قريباً .

المعطف البرتقالي
يخفي كنوز الجمال ،
وكل شهب الليالي
وكل زهر الربيع
في جسمك المستفيق
عاجاً ، ووهج عقيق

★

هنا يموت الشتاء ،
هنا يضوع الهواء
دفتاً ، وتصحو السماء .
رمادها في ضلوعي
نيران أفق وسيوع
فيه تهيم قلعوي .

★

المعطف البرتقالي
يطوف بي ، بخيالي
حيث السهول الغوالي ،
سهول (يافا) الشهية ،
سهولنا البعريية ،
تضيء بالبرتقال ،
على اخضرار الظلال ،
بين الرؤى القرمزية ،
والاغنيات الشجية ،
عند انحدار العشي .

★

المعطف البرتقالي

المعطف البرتقالي

الى اخوتي عرب فلسطين

✽ ————— ✽

الرسالة وأقروها وأجزلوا لها التقدير ، وهم نخبة من جلة العلماء ،
وأقول لهم ان السارق كثيراً ما يفوت انتباه المجتمع وانتباه القانون
نفسه ، واعتقد ان تقديرهم لهذا الكتاب انما هو في ذاته حق لانه
تقدير للمؤلف الاصلي ، فهو الذي استحق منهم درجة الشرف ، وان
مقامهم السامي في نفسي كاد يجعلني اتهم لانجر المسكين قبل ان اتهم
الرجل الذي اعتدى عليه . ولكني بعد ذلك كله أطمع من حلمهم الواسع
ان لا يستكثر على غيرتي المخلصة فاني انما اذاع عن شيء هم حماته
وحفظته ...

طالب بقسم الدراسات العليا - (قسم التاريخ)
جامعة الخرطوم

حين اكدت له القحة ان فعلته هذه ستجوز عليهم . واستهان بقدر
جماهير المثقفين فلنا منه ان الناس لا يقرأون (ومن يدري فعله اعدم
نسخ لانجر من المكتبات العامة !!) وأساء الى المفهوم التاريخي حين
نقل كل شيء دون تبصر ، وغض من المنهج الجامعي حين ظن ان الرسالة
العلمية تقوم على التدليس والدجل ، وتبجح بذكر المصادر وهو لم
يعرف عنها شيئاً ولم يرجع اليها ، وطعن القيم في الصميم ولم
يراع حرمة للعلاقة المرفهة بين الانسان وضميره والانسان واستاذ
والانسان ورثه - انها فضيحة اخلاق قبل كل شيء اخر .

واما بعد :

فاني أقدم باعتذاري الشديد الى الاساتذة الذين ناقشوا هذه

الآن يدجو ببالي ،
دجرحا بسؤالي ،
مضرجا بابتوالي ،
بشوق روحي الكئيبة ،
الى بلادي السليبة ،
الى مروجي الخصيبة ،
ورغم كل جراحي
أقول :

« أحلى وشاح !
مبارك يا حبيبته ! »

★

وتحتسويك ذراعي ،
في غصتي وضياعي ،
ودون أن تشعري بني ،
أحس شيئاً بذاتي ،
شيئاً كحزن السوداع :
بيارة الذكريات ،
من شطر (يافا) الحبيب ،
تبكي بدمع سكب ،
تبكي بصمت رهيب ،
في غور قلبي الغريب .

دمشق كمال فوزي الشراي

✽ من ديوان (قبل لا تنتهي) الذي

يصدر قريباً .

المعطف البرتقالي
يخفي كنوز الجمال ،
وكل شهب الليالي
وكل زهر الربيع
في جسمك المستفيق
عاجاً ، ووهج عقيق

★

هنا يموت الشتاء ،
هنا يضوع الهواء
دفتاً ، وتصحو السماء ،
رمادها في ضلوعي
نيران أفق وسيوع
فيه تهيم قلعوي .

★

المعطف البرتقالي
يطوف بي ، بخيالي
حيث السهول الغوالي ،
سهول (يافا) الشهية ،
سهولنا البعريية ،
تضيء بالبرتقال ،
على اخضرار الظلال ،
بين الرؤى القرمزية ،
والاغنيات الشجية ،
عند انحدار العشي .

★

المعطف البرتقالي

المعطف البرتقالي

الى اخوتي عرب فلسطين

✽ ————— ✽

الرسالة وأقروها وأجزلوا لها التقدير ، وهم نخبة من جلة العلماء ،
وأقول لهم ان السارق كثيراً ما يفوت انتباه المجتمع وانتباه القانون
نفسه ، واعتقد ان تقديرهم لهذا الكتاب انما هو في ذاته حق لانه
تقدير للمؤلف الاصلي ، فهو الذي استحق منهم درجة الشرف ، وان
مقامهم السامي في نفسي كاد يجعلني اتهم لانجر المسكين قبل ان اتهم
الرجل الذي اعتدى عليه . ولكني بعد ذلك كله أطمع من حلمهم الواسع
ان لا يستكثر على غيرتي المخلصة فاني انما اذاف عن شيء هم حماته
وحفظته ...

محمد ابراهيم ابو سليم

طالب بقسم الدراسات العليا - (قسم التاريخ)

جامعة الخرطوم

حين اكدت له القحة ان فعلته هذه ستجوز عليهم . واستهان بقدر
جماهير المثقفين فلنا منه ان الناس لا يقرأون (ومن يدري فعلته اعدم
نسخ لانجر من المكتبات العامة !!) وأساء الى المفهوم التاريخي حين
نقل كل شيء دون تبصر ، وغض من المنهج الجامعي حين ظن ان الرسالة
العلمية تقوم على التدليس والدجل ، وتبجح بذكر المصادر وهو لم
يعرف عنها شيئاً ولم يرجع اليها ، وطعن القيم في الصميم ولم
يراع حرمة للعلاقة المرفهة بين الانسان وضميره والانسان واستاذ
والانسان ورثه - انها فضيحة اخلاق قبل كل شيء اخر .

واما بعد :

فاني أقدم باعتذاري الشديد الى الاساتذة الذين ناقشوا هذه



مصيره . ستنتب في جسده مئات كهذه الدودة . سيتحول الى دود يدب على ارض الصحراء . اليس مؤسفا للغاية ان يلقي مصيره المقرف على مرأى من سمائه ؟ من سمائه الزرقاء الصافية التي طالما أحبها .. نشد رؤيتها ؟

وتجههم وجهه من شدة الالم ...

انه لا يحب الوجوه المتجهمة التي لا تثق بالمستقبل وتخفي وراء ملامحها القلق واليأس . ولكنه الان فقط يشعر بانه كان يظلم تلك الوجوه .. فانقلبت كراهيته لها حبا جارفا ، وتمنى ان تحيط به من كل جانب . انه الان واحدة من تلك المآسي التي تتبدى وجوها متجهمة ولا تعرف غير القلق واليأس والموت .

وراح الرجل يلهث كقطار نفد وقوده وهو يقطع طريقا جبليية . وأحس بانه ضعيف .. ضعيف جدا . لكم خيل اليه انه اقوى من القوة نفسها .. هناك ، في المدينة ، حيث يمارس سلطته على الآخرين! عندئذ ، تراءت لعينيه صور شتى من مدينته . وشاهد افسواه الناس من حوله تتسع لتلغته في صوت واحد : يا ايها الراعي القذر . انك ستموت في ذات يوم . ستموت ككلب ضال .

قبل الان لم يفكر بموت الكلاب الضالة .. فما اشغاه اذن عندما تموت !

ورفع الرجل عينيه الى السماء فوجدها لامعة كمين كبيرة غاضبة. الشمس لم تعد محرقة ، ولكن قواه تبددت تماما . يده ايضا لم تقدر على الحركة . كل شيء حوله كان يشده الى الارض .. فتهالك على الرمال الصفراء الازلية واسند رأسه الى ساعده . لم تعد تترأى لعينيه صور مدينته .. ولا الافواه المليئة باللعنات . حتى المرصرار الاسود اللامع كان قد اختفى في مكان ما . ونام بضع ساعات ..

حشرة صغيرة دبّت فوق جفنه وأبقتته . لم يفتح الرجل عينيه . تمنى ان يكون في حلم ! ولكنه عندما تلمس بطريقة لا شعورية قواه ووجدتها كاملة ، لم يعد الامر على جانب كبير من الخطورة . المهم عنده هو ان تحمله قدماء الى أبعد مسافة ممكنة .. وحتى يمشى على دنيا الناس الذين ينعمون بالماء والظلال الوارفة ..

ولن تغذله قدماء ..

عندئذ هب واقفا . فتح عينيه وعب بهما ديساه الجديدة . يا للهول والحيرة . الى اين يمضي ؟

الطريق لم تكن واضحة . انفاس النجوم الضئيلة لا تقوى على اختراق حجب الظلام الكثيفة . ترى هل تغطي الغيوم وجه السماء بعد فوات الاوان ؟

أحس الرجل بيد قوية تقبض على قلبه ، فجلس ثانية على الرمال وحاول النوم : غدا ستعود الى السماء زرقاتها من جديد .. وستكون الشمس محرقة ، محرقة ..

وتشابكت امام عينيه ألوف الديدان الدقيقة الصفراء .. تدب على وجه الارض ..

اسكندر لوقا

لاول مرة يشتهي ان يرى السماء مغطاة بالغيوم . خمسون سنة قضاه وهو لا يدري ان السماء الزرقاء تحمل له كل هذه المفاجأة .. وقد تؤدي الى هلاكه .

وأحس الرجل بوطة الشمس فاخرج منديله وعقد رقبتة . منذ قليل كان قد تخلص من سترته فرماها ارضا وتابع سيره . أحس عندئذ بالثقل ينزاح عن جانب من ظهره . وتقطع حوله فاذا كل شيء يشير الى نهايته المحتومة . ابدا ، لم يخطر بباله ان الصحراء دنيا يمتزج فيها السحر ، سحر الحياة الفسيحة اللانهائية ، وقسوتها معا . وفتش الرجل عن وسيلة تنقذه من مصيره فلم يوفق . وراحت عيناه تبحثان عن معالم قرية او اي شيء يدل على وجود بشر ، على بعد معين منه ، ولكنهما ارتدتا اليه خائبتين وقد مات الامل فيهما ومات كل رجاء .

وفتش الرجل عن وسيلة تنقذه من مصيره فلم يوفق . وراحت عيناه تبحثان عن معالم قرية او اي شيء يدل على وجود بشر ، على بعد معين منه ، ولكنهما ارتدتا اليه خائبتين وقد مات الامل فيهما وانطفأ كل رجاء .

سار يمينا ويسارا . سار الى الامام والى الوراء ، ولكن دون جدوى .. وخسر ساعتين بلا مقابل .

سيارته السوداء الصغيرة التي خلفها في جبهة ما ، كانت مازال تبدو لعينيه . ان ظهرها يتوهج تحت أشعة الشمس . الشمس محرقة ، محرقة . انه يحس بها وكأنها جالسة تستريح فوق رأسه .. وبدأت انفاس الرجل تتلاحق كقطع من الحيوانات اصابها الذعر والتعب . وراح يلهث بصوت مسموع .

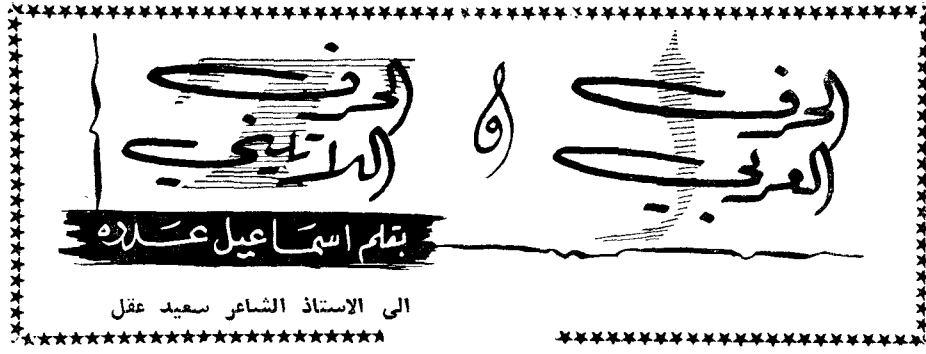
اين ؟ اين تقع دنيا الناس الذين ينعمون بالماء والظلال الوارفة ؟ دارت عيناه في كل الجهات وبحثا عن معالم كائنات مثله . ولكن ، لا شيء يثم عن وجود مثل هذه الدنيا على سطح الارض .

وتطلع الرجل الى السماء فاذا هي شديدة الزرقة . الشمس لا تستريح فوق رقبتة ، ولكن الوقت ما زال مبكرا حتى تنحرف . الساعة الثانية تماما . والامل ضعيف بنجانه من قسوة هذا المسالم الرحب الذي ضل فيه ..

قواه بدأت تخور . سيارته التي تعطلت عن السير ما تزال تلوح لعينيه من بعيد كمرصرار اسود لامع يدب على وجه الارض بحذر شديد. هل يعود الى سيارته ؟

وبدأت شجاعة الرجل تخونه . كانت شجاعته تتسرب من عينيه وانفه وقدميه . يده فقط كانتا تحتفظان بقوتها . سوف يخلع بهما قميصه . قميصه ثقيل جدا . رأسه ثقيل ايضا .

ونزع الرجل قميصه بمصيبة عشوائية .. ثم تابع سيره وهو يفكر : لماذا لا ينزع رأسه ويرمي بكل انقاله جانبا .. دفعة واحدة؟! ضجت في حلقه ضحكة . ولكنه خنقها بشدة وعلى الفور . وعندما تصور نفسه بعد ساعة .. ساعتين .. سنة .. اخلت الضجة في حلقه بالخفوت ، وتحولت تدريجيا الى نغم جنازي : كهذه الدودة الصفراء التي تلوت تحت بصره وهي تتوارى خلف كومة من تراب ..



الحرف (١) في الكلمة دعامة في صرح ، أو هو جذر في غرسة ، فكما كانت الدعامة دتينة ، والجذر ريانا ، كان البناء متينا ، راسخا ، والفرسة جميلة ، مزهرة خلاصة . وحقا انه في البدء كانت الكلمة ، ولكن الحرف هو العامل الاول في تكوين الكلمة ، الذي كثر وهذب حتى كان الركن البناء في وسائل التعبير والمحادثة بين الشعوب ، فكانت الآداب ، وكانت العلوم والفنون ، والفلسفة والمدنيات ، ذلك كله بفضل الحرف حين تبناه الفكر !..

والحرف العربي ، يخلق مشكلة في نظر « دعاة الاصلاح الحرفي » تجب معالجتها وحلها . والحق ، مهما غلا العربي بحب الحرف العربي ، فان الواقع يشهد ان الحرف اللاتيني اقرب مبنسى ، وأجمل قالبا وشكلا وأقوم صورة من الحرف العربي . فهذا بوضعه الراهن ، لا يلتقي مع اللاتيني في طريق دقيقة واحدة .

نحن والحقيقة نشهد بذلك ، ولكن ثمة شيئا تجب ملاحظته : ان دعاة الاصلاح الحرفي لا يقرون بجمال الحرف اللاتيني ، لانه اجمل من الحرف العربي ، لا ، ولا يدعون لاحلال هذا محلل ذلك ، لمجرد قوة الاول - اللاتيني - وجماله ، وحرمان الثاني من خصائص هذه القوة وهذا الجمال ، وانما - وهنا المشكلة التي اوجدها هؤلاء - لانهم يقولون ان تعلم الحرف العربي صعب مستصعب ، وانه يعيق - هذا ما يدعونه ويزعمونه - تطور الفكر العربي ، ونحن مهما جانبنا هؤلاء في رغبتهم الاصلاحية ، فان زعمهم القائل ان حالة الحرف العربي الراهنة تقف دون رقي الفكر العربي ، أمر باطل قياسا ومنطقا : لان العقول المبدعة التي أبدعت نواة الحضارات والعبقريات السالفة والمعاصرة ، كان الحرف في عهدها معدوما او مشوشا ، كما كانت وسائل الطباعة والنشر غير موجودة . مع ذلك منح ذوو هاتيك العقول الفذة ، دنيانا الحاضرة ، روعة الافكار الحية الخالقة النامية .

والحرف العربي ، مذ وجد ، له حركات عديدة ، تلفظ دون ان يساعده حرف اخر ، كما في الفرنسية او الانكليزية مثلا . وهذه ميزة خاصة بالحرف العربي ،

(١) فصل صغير من كتاب يعده الكاتب للنشر بعنوان « قضية اللغة العربية »

وهي ميزة توفر على الكتابة كثيرا من الوقت ، ولو قدر للحرف العربي ان يتخلص من « النقاط » التي أزالته اعجابه ، لكان ارقى الحروف . فللحرف العربي الحركات: الفتح والكسر والضم ، والسكون الذي هو حركة في واقع . فنحن حين نقرأ الكلمة « كتب » - مثلا - نجدها مؤلفة من ثلاثة احرف هي « ك.ت.ب. » ، ولكل حرف حركة ، وهذه الحركة تؤلف بطبيعتها حرفا اخر ، تخلص منه الحرف العربي ، وهذه خاصة راقية ، اذ لو رسمنا احرف تلك الكلمة باللاتينية مثلا ، لكانت Cataba

أي بزيادة ثلاثة احرف على الاصل العربي ، فالحرف العربي ، اذن ، حرف فيه حركة ، فيما نرى الحرف اللاتيني جامدا ، وليتحرك فلا بد له من حرف اخر يبعث فيه الحركة . وما دام الحرف العربي متحركا بطبيعته ، فماذا يجدينا اثبات حرف المد مثلا ؟!..

والواقع لو ان صاحب اقتراح اثبات أحرف المد (٢) ، قد اقترح حذفها ، لكان اقرب واقعية الى صميم الهدف الاسمي ، فحين نكتب « مصطفى » كاسم ، هكذا ، أي بدون الالف اللينة (ي) نجد ان رسمها قريب من حرفيتها ، ذلك لان الحرف الاخير من هذا الاسم ، وهو الفاء ، متحرك بالفتح بطبيعته . ولكننا حين نكتب نفس الاسم حذف حرف المد - كما تقدم او باثباته «مصطفا» - ممدودا - فاننا نعقد الحرف العربي ، بالكتابة العربية ، تعقيدا مشوشا ، ذلك لان تشابها كبيرا سيقع بين الكلمات ، وسنضطر حكما وواقعا ، الى رسم رموز الحركات : « رَ رَوْه » على الحرف ، والا تشوشنا وضعنا ، ونحن في كتابتنا الحالية ، في غنى عن رسم الرموز . فعندما نكتب ، مثلا : « كان مصطفا يفتش نفرا مصطفا من الجند » نجد ان مشكلة جديدة وقعنا فيها ، هي التشابه بين : مصطفا ومصطفا ، الذي تستغني عنه العربية والحرف العربي ، ولكننا حين نرسم هذا الاسم على حقيقته وبحالته الراهنة « مصطفى » نجده احسن تركيبا ، وأجمل سبكا ، وأوضح تمييزا بينه وبين مشابهه من الاسماء .

يقولون بصعوبة كتابة حروف المد ، فأين هي الصعوبة ؟!

ان لهذه الحروف قواعد وأقيسة ، املائية ثابتة ،

(٢) الدكتور طه حسين ، وهو اقتراح منذ اكثر من سنتين .

واضحة وبسيطة . ولا أراني في حاجة لان أسرد أمثلة تطبيقية على قاعدات احرف المد ، فهذه القاعدات معروفة لدى كل متعلم . ولكن لا بد من تبيان ان في اللغة العربية اسماء محدودة تكتب بحذف حرف او اكثر ، منها ، وهذه الحروف شاذة في الكتابة وهي : « هذا ، اله ، الرحمن ، لكن ، طه ، اولئك ... » ، وليس عيبا على العربية ان يتخلل مفرداتها عشرة اسماء شاذة الكتابة ، فمما لا ريب فيه ، انه لا توجد لغة سلمت من هذه العلة .

وإذا ظهر اقتراح عبد العزيز فهمي على صعيد المستحيل ، منطقا وواقعا وعملا ، جاء ففكرون آخرون ، يقبلون وجهات النظر ويعملون العقل في اقتراح جديد . وكان بين هؤلاء الدكتور ابو غزالة ، الذي نادى بابقاء الحرف العربي . شريطة تهذيبه ، وارتأى ان يحذف قسم من الحرف المفتوح او المعقوف ، بحيث تثبت كتابة الحرف العربي على صورة واحدة . اذ انه معلوم ان الحرف العربي ، علاوة على حركاته المعهودة ، يكتب على اشكال متشابهة حيناً ، مختلفة حيناً آخر ، حين يدخل في تركيب الكلمة ، اي ان الحرف يكتب على حالات ، تتغير من حالة الفردية الى التركيبية .

فقد قال الدكتور ابو غزالة ، تسهيلاً للكتابة ، وبخاصة الالة الكتابة والطابعة العربيتين ، باثبات الحرف العربي على حالة واحدة . ولناخذ على سبيل الدراسة والنقد ، نموذجاً من أمثلة الحرف « ب » ، يرسم هكذا « ب » اي بحذف الجزء الاخير منه ، وبذلك نكتب « باز ، بزة ، بزر ... » ويحذف ايضا الجزء المعقوف من حرف « ع » حيث يصبح « ع » ، ويكتب : عذب ، لعب ، بدء ... » . ومع وجهة المجهود ونبل المقصد ، فان هذه الصور الحرفية الجديدة ، تشوه الحرف الاصلي وتزيد في تعقده ، وتفقد بقية من جمال ودقة واتقان ، ويختلط على القارئ كثير من الاحرف ويصبح الحرف العربي رمز تضليل وابهام ، بعد ان كان رمز فصاحة وبيان ! .

ونحن نعلم ان الحرف اللاتيني يكتب ايضا على صور متعددة بين صغير وكبير ومنمق . وغير ذلك كثير .

ولعل أخطر حدث في تاريخ الحرف العربي ، هو الحديث ، هو المحاولة التي يقوم بها الشاعر الاستاذ سعيد عقل ، لابدال الحرف العربي ، وهي محاولة ، أسرع فأقول بكل نزاهة وايمان ، تسمخ اللغة العربية مسخاً ، وتشب ، ويشب بنوها غرباء عن عروبتهم ، أحانب في استلقاء الهام لغتهم ، والإفادة من تراثهم الفكري . ولنا دراسة خاصة حول هذه المحاولة ، سنعود اليها قريباً ، لنسجل للتاريخ وللحقيقة ، جوهرهما وما يعترى هذين الجوهرين من شوائب !

اسماعيل عدرة

جامعة دمشق - كلية الاداب

وثمة رأي آخر بكتابة الحرف العربي ، منفصلاً ، على غرار اللاتينية المطبوعة ، وهذا الرأي ، رغم ان المقصود منه هو الاسراع في الكتابة العربية ، خصوصاً على الالة الكاتبة ، وتجميل الخط العربي وسهولة تعليمه ، فانه - رغم وجهة الاقتراح - رأي بعيد عن المنطق ، ويؤلف عكس ما يقصد اليه اصحابه .

تعالوا نكتب كلمة ، أية كلمة ، ولتكن « الكتابة » على طريقة المنفصل « ا ل ك ت ا ب ة » فان اول ما نلاحظه هو البطء في الكتابة ، واستهلاك كبير في الورق ، وبالتالي صعوبة في القراءة ، فضلاً عن اختلاف الحروف وابقاء الكلمة مجزأة ، مفككة ، خطأ وطباعة ، جملة وكلمة .

ماذا يقصد اصحاب هذا الاقتراح ؟! .
أصحيح يقصدون باقتراحهم ، الى اصلاح الحرف العربي ؟!

ليسمح لي هؤلاء ان اقول بأنني أشك في أمانة الاقتراح ومباعثه !! .

لقد زاولت بدء حياتي ، تعليم الحرف العربي ، ورغم ان وسائل التعليم يومذاك ، معقدة ، صعبة ، وكتب القراءة البدائية عقيمة ، ركيكة الاسلوب ، فان «الصعوبات» المزعومة ، في تعلم الحرف العربي ، لم تواجهنا - كما يدعون - ولم نعتثر في ذلك او نلق الصعوبة المصطنعة ! . والمشكلة ، في رأيي ، - واعتقد انه الواقع - ليست مشكلة حرف وتعليم الحرف ، كلا ، وانما هي مشكلة منهج ، وبرناج وطريقة واسلوب : فالجهود المتضافرة المبذولة « لاصلاح الحرف العربي » ، وهي تهدر وتضيع منطقاً وواقعاً فلو تضافرت لوضع اساليب ووسائل تعاليمية أقرب الى مثالية تعليم الحرف ، لهان ما صعب ، ولتحلل ما عقد ، ولتضاءلت الشكوى وتلاشت اصوات الشكاة .

وفي غمرة هساتيك الشكاوى المتواترة ، وهي قديمة ، طالعنا اقتراح المرحوم عبد العزيز فهمي ، بابدال الحرف العربي ، بالحرف اللاتيني ، ابتغاء ايجاد مخرج من هذا « المأزق » الحرج ، المزعوم ، كتابة الحرف العربي وصعوبتها . واعلن - رحمه الله - جائزة كبرى تعادل نصف ثروته الضخمة ، لمن يستطيع ان يلائم بين الحرف اللاتيني واللغة العربية . وقد استجاب لرغبته عدد من

يحكى

وكيف السحب

قصة بنام محمد هاشم

قصتها وكأنها تتحدث الى نفسها .. لقد روت قصة حبها للشباب اليمني الاسمر الذي كان ياسرها بالحنان العربية وبغزفه المحبب على الربابة التي كان يستنبت منها اعرق الحان الشرق .. وفجأة انتفض ابو هاشم واقفا تاركا راحيل مع دموعها تفكر بالشباب الاسمر وجحظت عيناه تحديقان بأخيه ابراهيم الذي قدم يجر رجله جرا وقد نزف الدم من وجهه وتشتت شعره .

وقفز ابو هاشم عن السور الشائك بحركة جنونية راكضا نحو اخيه الذي سرعان ما نهالك جالسا على الارض .

- لقد ضربني يوئيل

- يوئيل ؟ .. اخو عنكل ؟؟

- نعم .. لقد مر بي راكبا حصانه وهو يجر كرباج ذنب الفيل وانسا اقطع العشب من الارض البور وأملا الكيس .

- وبعد ذلك ؟

- لقد طلب مني ان اترك العشب واخرج من ارضه ولما رفضت ضربني بقسوة بكرباجه ولكز حصانه الى البيت .

واحتقن الدم في وجه ابي هاشم ولم يعد نسيم الصباح ولا شعاع الفجر ولا رائحة البرتقال تثير فيه شيئا وعاد يركض الى الكرم فقفز من على السور وتناول الكريك الطويل واستدار يبحث عن يوئيل . ودخل من الباب الاخر المؤدي للدار واندفع الى الباحة الفسيحة المفروشة بالزهور والمرصوفة الطرقات .. فرأى يوئيل واقفا في الشرفة مع راحيل وهو يدخل سيجارة .. والقي يوئيل بسيجارته بالارض عندما رأى أبا هاشم وشد على قبضة يده يستعد لخصمه . وفكر ابو هاشم بانسه لا يستطيع ان يقاوم العلاج الضخم الجثة اذا اشتبك معه ولكن يديه تسمرتا على الكريك الطويل عند مقبضه تاركة الحديدية من الامام ، واستعاد ثقته بنفسه وهو يشد قبضته على الكريك بينما اقترب يوئيل معتدا بضخامته وعضلاته وكأنه ات ليحمل هذا القزم ويلقيه خارجا بيد واحدة . وعاجله ابو هاشم بضربة شديدة بالكريك زاغ منها يوئيل ببراعة ثم عاد لينقض على غريمه ليجرده من سلاحه ثم يحمله ويلقيه بيد واحدة كما هو مصمم ولكن أبا هاشم عاد وهو قابض بالكريك بيديه الاثنتين فاهوى على يوئيل بضربة محكمة نزلت على ذراعه وشرطت سترته الانيقة .. وجن جنون العلاج المستهتر بقوة غريمه فحمل قوارا فخاريا والقاء على أبا هاشم ولكن هذا تلقاه بحديدة الكريك بحركة بهلوانية .. وسر ابو هاشم لهذا التحول الذي الت اليه المعركة : هو يضرب بالكريك واليهودي يحاول الوصول اليه مستعينا بالتقارير وكل ما تنصل اليه يده لتخلصه من ذلك السلاح الرهيب .. وشن ابو هاشم ضربات موفقة على غريمه اهلكت عضلاته المقتولة لكن يوئيل مازال يحاول ان يمسك بالرجل الذي ظنه قزما لاحول له ولا قوة .. واخذت كفة يوئيل ترجع بفضل عنكل الذي جاء مدعورا يستجلي الامر وقد عاجله ابو هاشم بضربة مسددة على كتفه القته على الارض ولكنه مالبث ان قام وهو يحمل طورية قصيرة أفرغت أبا هاشم فسد على ضربة بحديدة الكريك كسرتها بسرعة .. واضطر ابو هاشم ان يزوغ بين الاشجار وان يستعد لضربات اثنين ويقفز من هنا وهناك وكأنه لاعب سيف ماهر يحارب في جهتين .. واخيرا جاء ابراهيم ويده دبسة مسمرة فاشتد المراك ضراوة وان

كان ابو هاشم يركب أتانة البيضاء في صباح باكر من يوم صيفي في طريقه الى مستعمرة بنيامينا حيث اعتاد ان يذهب كل صباح ليشتمل في كرم العمدة عنكل طوال يومه ، وعرج في طريقه على « عين الميتة » التي كانت تنزف ماء الارض الرقراق وتدفعه الى نهر صغير تعانقه شتى الاعشاب .. ونزل عن أتانة لتشرب من تلك العين التي انفجرت فسي سطح الارض وفي سهل فسيح .. ثم عاد يركب أتانة ميمما شطر الغرب وقد هب نسيم البحر اللطيف محملا بروائح الليمون والبرتقال .. واخذت أتانة تنهب الطريق المنبسط الطويل بين « عين الميتة » ومستعمرة بنيامينا مخترقة سهول الذرة الافرنجية .

ومع اشعة شمس الصباح التي تخطت رأس ابي هاشم وعكست ظله وظل حقول الذرة الى الغرب عادت به الذاكرة الى بضع سنين خلت يوم كان السكان العرب لا يستطيعون استنبات قمح المؤونة منها وكيف ان السماسرة ردوا على مسامعهم بان هذه الارض « استبعت » وقصد اصبحت لا فائدة منها .. وعاد بذاكرته الى مهزلة بيعها التي قام بها « الشيخ محمد » فأخذ الورثة الى حيفا وجعلهم يوقعون متنازلين عنها ، ولم ينل الواحد منهم سوى ركوب القطار والعشاء والمنام في فندق متواضع ثم العودة بالقطار !

واخذت عيناه تطوفان بالسهل الواسع وتتحسran على الكنوز التي لم يستطع اجداده استنباطها من باطن هذه الارض وهي الان لقمة سائفة للكفار .. كما كان يحلو له ان ينظر اليهم من هذه الزاوية ، وخرج من السهل الفسيح متخطيا سكة الحديد وهو يعبر مشارف مستعمرة بنيامينا المستقلية في قلب السهل والتي يعوي بها صغير القطار طوال الليل والنهار ، واجتاز الشارع المعبد العريض الذي يصل حيفا بالجانب واخترق المستعمرة مارا الى الزاوية الغربية الشمالية حيث يقع كرم العمدة عنكل .

وبباب الكرم نزل عن أتانة وفتح قفل الباب الخشبي بمفتاحه الخاص وساق أتانة الى الداخل بعد ان ربطها بحبل طويل الى اصل شجرة غير مثمرة وتركها ترعى بينما ذهب هو الى المخزن الواقع في نهاية الكرم ليحضر « العدة » ويبدأ كفاحه اليومي .. وارتفعت شمس شارون في وسط السماء لتضيء سهول الذرة المترامية الاطراف وتعكس اشعتها على عين الميتة وبساتين التين والنهر الصغير الذي ينثر الخير والعطاء في ارجاء تلك الجنة الكبيرة .. وخرجت راحيل ابنة العمدة عنكل تشاءب في الشرفة الفخمة في ثوب بيتي داعر يكشف اكثر مما يستر واستلقت في كرسي الاستراحة المقوس وهي تستمع الى جهاز الراديو الصغير تاركة جسدها اللدن يعبت بنسيم الصباح ..

وابعد ابو هاشم مشيحا وجهه عن القاهرة وهو يمعن في عمله يسقي ويحضر الاقنية وهو يهمهم باغنية شمالية من اغاني « الروحة » الدارجة ، وسمعت راحيل فاقفلت جهاز الراديو وجاءت اليه تحييه بعربية مكسرة وترجوه ان يغني لها ... وهي تؤكد له انها تحب اغاني العرب .. وغنى لها ابو هاشم وقد جلست امامه تحت شجرة كبيسة ودفت خديها بكلتا راحتيها .. وتدرجت الدموع على خدي راحيل العاجيتين وهي تستمع للاغنية العربية الحنونة ... ثم اخذت تقصص

الآداب

مجلة شهرية تفتي بشؤون الفكر

بيروت

ص.ب ٤١٢٣ - تلفون ٣٢٨٣٢

الادارة

شارع سوريا - راس الخندق العميق ، بناية الاسمر

*

الاشتراكات

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيهان استرلينيان

او ٦ دولارات

في اميركا : ١٠ دولارات

في الارجننتين : ١٥٠ ريالا

الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ل.ل. او ١٠ يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما

حوالة مصرفية او بريدية

*

الامانات

يتفق بشأنها مع الادارة

*

توجه المراسلات الى

مجلة الاداب ، بيروت ص.ب ٤١٢٣

كان عراقا غير متكافئ ..

- لاتدع اليهودي يأسرك يا ابراهيم .. اهرب اذا تضايقت ، وهرع رجال الكومتي الذين استنفرتهم راحيل ولم يعد بإمكان ابي هاشم و ابراهيم الا ان يمهدا لهربهما ويزوغا بين الاشجار وهما يحميان ظهرهما من القوارير وكل الكدر التي تنهال عليهما .. وصرخ ابو هاشم :
- ابراهيم .. على مخفر الاضافية .. يالله .. اصح لحالك ..

وقفز ابو هاشم و ابراهيم من على السور الشائك بعد ان تكاثر رجال الكومتي الاجلاف بهراواتهم مطاردتهما .. وما كاد الاثنان ينزلان الى الطريق حتى اندفع يوئيل خلف ابي هاشم وهو يهجم بضربه برأس الطورية ولكن ابراهيم اهوى بالدبسة على رأس يوئيل فالفاه على الارض وارخى الاخوان سيقانها يسابقان الريح الى المخفر ..

ونفر رجال المخفر على صوت الجلبة وعاد ابو هاشم يهتف باخيه :
- احذر .. ابراهيم .. لاتتركهم يقبضوا عليك .

واحتنى الاثنان في صالة المخفر وتجمع حولهما رجال المخفر بينما تجمعهم رجال الكومتي في ساحة المخفر .. واقترب الضابط المنفوخ الوجه من الاخوين وهو يقول - مال عريبي ... شو سارقين .. شاويش محمود .. فوتهم

- كابتن ميشي .. مش حق .. تحبس اثنين عرب ووراهم الف يهودي .. الشطارة على العرب !!

وارتفع هرج رجال الكومتي وحاولوا اقتحام المخفر مما اضطر ميشي ان يشهر مسدسه وقام باجلاء رجال الكومتي وطردهم بالقوة وامر رجاله ان يبعدوهم حتى البيوت .. الا يوئيل والعمدة عنكل فقد افهما رجال الاضافية بانهما هما الطرف الاخر في النزاع فسمحوا لهما بالدخول. واستمع الضابط المنفوخ الوجه الى قصة الطرفين والى اصرار ابي هاشم بان يحضر طبيب الحكومة الى المخفر وان يتمهد الضابط بالمحافظة على حياة الاثنين ...

وجاء طبيب الحكومة ليقرر بادانة يوئيل بتقرير طبي لعشرة ايام .. تمهيدا للمحاكمة ..

وخرج ابو هاشم و ابراهيم من المخفر بسيارة المخفر لتوصلهما الى قريتهما .. وبينما كان ابراهيم يصعد الى السيارة حدق فسي يوئيل وهو يقول له : غدا سأعود لأملا كيس العشب .. فان كنت رجلا فتعال الى هناك !

نمر محمد سرحان

اربد

كتابان خطيران

عارنا في الجزئر : لجان بول سارتر

الجلادون لهنري اليغ

ترجمة عائدة وسهيل ادريس

دار الاداب

مقني
فاني عكري

حصار العمر

ورواية (الحصاد) للاستاذ عبد الحميد جودة السحار ، محاولة جديدة في هذا السبيل ، اذ تحكى لنا قصة الاقطاع وانهاره . . . وتقف عند إعتاب المجتمع الجديد . ذلك من خلال أسرة بجح عائلا في اقتناء عشرة الاف من الافدنة ، لم تستطع ان توفر له سعادة العيش وهناء الحياة ، فقد استنفدت عمره سني الصراع المتشابك المر : بينه وبين نفسه ، وبينه وبين العائلة ، وبينه وبين المجتمع . فما ان دارت الايام واقبلت ثورة يوليو عام ١٩٥٢ حتى اقبلت معها النهاية المحتومة لآله ، تحمل طابع المأساة .

والسمة الاولى في الرواية هي الاسلوب المباشر في عرض الاحداث . أي ان الفنان لم يقدم لنا قطاعا سيكولوجيا في حياة فئة من البشر ، ولم يكشف امامنا صفحة منطوية في اعماقهم ، وانما سلط الاضواء على إحدى مراحل تاريخنا . ولهذا مضت بنا القصة في خطوط طويلة ، بلا حاجة الى التوقف او التائي عند نقطة من النقاط ، ما دام الكاتب قد استهدف منذ البداية ان يصور هذه الفترة التي اجاد بالفعل تصويرها .

لم اقصد اذن بالاسلوب المباشر ، ذلك النهج التقريري الذي يحول بين الفن وطبيعته الحقيقية ، وانما قصدت ان اوضح الفرق بين تجربة تحتاج من الفنان والقارئ معا الى رؤية بيطئة غير مباشرة . . . وبين تجربة اخرى لا تتطلب هذا البطء ، لان الاحداث نفسها تتوالد تلقائيا ، بطريق مباشر وليست في حاجة الا الى بصيرة واعية من الفنان ترسم بنفاذ وعمق خطوط العمل ، فيستشف القارئ - تبعا لذلك - موقف الكاتب وتفسيره لهذه الاحداث .

ومن الخطأ ان يقال ان التجربة المباشرة ، أكثر عمرا واغور عمقا ، لما يضطر اليه الفنان من عناية دقيقة بأبعاد التجربة . لان التجربة المباشرة ايضا لا تصبح عملا فنيا متكاملا ، فنيا ، الا اذا نجح صاحبه في اكسابه الدلالة الحية والتفسير الفني .

و « الحصاد » تروي لنا حياة « سليم باشا شلبي » ، منذ آلت اليه هذه المساحة الشاسعة من الارض ، وأصبح رجلا يعظم خطره ، كلما عاد حزبه الى الحكم . ورافقنا المؤلف بعدسة سينمائية الى قصره الانيق في جاردن سيتي ، حيث نعرف على زوجته الثانية « امينة هانم » وابنها حلمي ، الطالب بالحقوق . اما « عبد الخالق » ، الابن البكر من الزوجة الاولى المتوفاة ، فقد خرج من البيت منذ تزوج « بشينة » .

والجو السياسي في ذلك الحين مشحون بتنافر الاحزاب وانتهازية العرش ، وسيطرة الاحتلال . ثم تهب عواصف الحرب ، فتشتت عواطف الشعب وتتبعثر . . . بين الزعماء تارة وبين جحافل النازي القادمة تارة اخرى . في تلك الاثناء ، يقع « حلمي » في هوى « ايفا »

من اخطر (x) أزمت الفنان المعاصر ، انه يعاني أكثر من اي وقت مضى ، مشكلة التعبير عن موقفه ازاء المجتمع الذي يعيشه . ورغم ان هذه الأزمة ليست وليدة اليوم ، فقد ظل الفن - على مدى العصور - محاطا بأسلاك شائكة من السلطات او الشعوب او العقائد الشائعة ، او ثلاثها جميعا . غير ان العصر الحديث ، قد ورث خبرات كل ما سبقه من عصور في الوقوف من حرية التعبير موقفا معوقا لرسالة الفن الحقيقية .

والفنان غالبا ما يلجأ في هذه الحال - الى إحدى طريقين : فهو اما ان يستخدم الرمز في تصوير ما يريد ان يقوله ، او يتجاهل اللحظة التاريخية التي يحياها ، فيصور مراحل سابقة من تاريخ مجتمعه .

والذين لجأوا الى الوسيلة الاخيرة ، تعددت ناهجهم في التعبير ، كما اختلفت وجهات نظرهم في التفكير . غير ان شيئا هاما ، اتفق عليه الجميع ، هو انه على الفنان الذي يؤرخ للماضي ان يلتزم بمسافة زمنية تبعد به عن المرحلة التي يصورها ، فيقرب بذلك من النظرة الموضوعية الامور .

شيء آخر ، اكده تاريخ الفن ، هو ان الفنان الذي يؤرخ لمرحلة او مراحل سابقة من تطور مجتمعه ، لا يقتصر عمله على مجرد التسجيل المباشر ، وانما يتجاوز هذه الخطوة السيرة الى مهمة أجدى واضخم ، هي عملية التفسير الفني للاحداث . وهي العملية التي تكسب العمل الادبي ، دلالة الخاصة التي يتميز بها عن كتب التاريخ .

وفي الادب العالمي ، نكتشف نماذج مختلفة ، تحدد الاطار المتكامل ، لهذا اللون من اساليب الفن . فالكاتب الانجليزي تشارلس ديكنز ، والكاتب الفرنسي الكسندر دوماس ، اتخذ كلاهما من الثورة الفرنسية خاملة فنية لعملين ممتازين من شواخ الادب الانساني . وكذلك فعل الكاتب الروسي الكسي تولستوي في ملحمة الرواية عن الثورة الروسية ، التي تناولها ، فيما بعد ، الشاعر باسترنالك في قصته « دكتور زيفاجو » .

ماذا تقول لنا هذه الاعمال جميعا ؟ انها تؤكد لنا حاجة الانسان الدائمة الى التعرف على تاريخه ، مهما اختلف الناس في تفسير احداثه . بل ، لعل التفسيرات المتباينة ، هي ما يتطلبها القارئ حين يقبل على آثار فنية عديدة ، تناولت موضوعا واحدا .

وفي الادب العربي الحديث عدة تجارب ، لمن فضلوا هذا الطريق . فنجيب محفوظ في ثابته « بين القصرين » ، وسهيل ادريس في « الخندق الفميق » و ثروت اباظه في « قصر على النيل » . . . جميعهم ارادوا ان يؤرخوا لمرحلة معينة من تطور مجتمعاتهم ، واعطونا تفسيرات مختلفة لقوانين هذا التطور .

* القيت هذه الدراسة كمحاضرة في نادي القصة باتحاد الادباء بالقاهرة .

أحدى أفراد الفرقة النمساوية ، التي هجرت وطنها على أثر غزوات هتلر . ويظل غرامهما سرا إلى أن يتحرك في أحشائها طفلهما الأول . بينما كانت « بثينة » زوجة أخيه تحبك الشباك حوله لتربط بين شقيقتها « الهام » وبينه ، فلا يفلت من قبضتها ذلك الأثر الكبير بعد وفاة الباشا . ومن ثم تفاوض الباشا على ستر الفضيحة بمبلغ من المال ترحل به أيفا من البلاد . وينطوي حلمي على أحزانه إلى أن تزف إليه ابنة أحد الباشوات من أصدقاء أبيه ، وتفجع بثينة في أمالها .

وعندئذ تكون الخمر أجهزت على « عبد الخالق » بعد أن تبخرت أمواله في مضاربات البورصة ، وامتنع الباشا عن مساعدته ، وهربت زوجته إلى أحضان أقرب أصدقائه . وفي هذا الوقت ، يكشف حلمي عن سرقات ابن عمه « عثمان » الذي وضع الباشا عزبته أمانة في عنقه ، ولكن ... بعد فوات الأوان !! فقد صدر قانون الإصلاح الزراعي بقدوم ثورة ١٩٥٢ .

ما يلفت النظر حقا من بداية الرواية إلى نهايتها هو أجادة الفنان المتمرس على فن الديالوج . فمن خلاله رسم جميع شخوص الرواية دون الحاجة إلى السرد الروائي . ربما كان تتابع الأحداث في خطوط طويلة مباشرة ، هو العامل الرئيسي الذي أضطر المؤلف لأن يعتمد الحوار كوسيلة فنية للعرض . والظاهرة الجديدة بالتأمل هي نجاحه في تصوير شخوصه تصويرا ممتازا بواسطة الحوار . فالباشا - مثلا - عندما تصله بريقة تهنئة من سيدات الأسرة ، تلتفت إليه زوجته قائلة (ص ١١ ، ١٢) :

« - كن يتمنين أن يحضرن للتهنئة بأنفسهن ، ولكنهن يعلمن أنك لا تقابل سيدات في البيت .
رفع عينيه عن البريقة التي كانت بين يديه وقال :
- والله أنني لا أحب مقابلة السيدات لا في البيت ولا في المكتب . أنني لا أدري ماذا أقول لهن ، هل أحدثهن عن البذرة أم عن أسعار القطن ؟ أنني رجل ليس لي إلا عملي أعيش له .

فقلت زوجته ، وهي تضحك :

- أنك قادر على إرضاء أية سيدة ، وما أحسبك تكره النساء ، فلو كنت تكرهن لما تزوجت أنتن ؟؟
هكذا يخطط الفنان ، الملامح الأولى ، لأحد شخوصه ، بالأسلوب الدرامي ، ولقد أدت هذه الظاهرة إلى ظاهرة أخرى ، جاءت نتيجة طبيعية للأولى : هي الموضوعية في تقديم هؤلاء الشخوص لأنفسهم ، فلا نحس بهم ضيوفا غرباء علينا والمؤلف يقوم بتعريفنا بهم ... وإنما نحسهم جميعا يقدمون لنا أنفسهم ، ولا نلبث أن نعيشهم ونحكم لهم أو عليهم من خلال ذواتهم لا من خلال الكاتب . وهذه الموضوعية في التصوير ، تكشف لنا دون ما تدخل من المؤلف عن حقيقة شخوصه ، بوعي منه أو بغير وعي . فالباشا إذا وصلته « رسالة مكتوبة على ورق أزرق ، طفق يقرأها في إمعان ، وقد انبسطت أسابيره ، والتمعت عيناه ببريق خاطف ، وانفجرت شفاته عن بسمة رقيقة ، ولما أتى على الرسالة التفت إلى عثمان وقال :

- هذه رسالة من جمعية الفتيات الصالحات ، أنها من الست أنهار ، تذكرنا بالمبلغ الذي ندفعه للجمعية ، لقد نسيناها في غمرة الأعمال ، وما ينبغي أن تلهينا الدنيا عن فعل الخير . ابعت إليها بمائة جنيه .

فقال عثمان ليرضى الباشا :

- سأبعث إليها بشيك الآن . .

- قلت لك يا غبي أكثر من مرة : أن الخير لا يدفع

بشيكات ، أفضل الصدقات ما كانت مستورة « (ص ٦٩) .

وها هي ذي سمات الباشا تتضح رويدا . . أنه

يقدم لنا نفسه بنفسه ، دون أن نرى شيئا للكاتب . فما

أن يعلم بأن الست « أنهار » وفتيات الصالحات بالقاهرة ،

حتى يعتب عليها هذا التقصير ، ولكنها تعتذر إليها بأنها

عائدة إلى الإسكندرية بعد أن هدأت غارات الألمان - وحينئذ

يقول الباشا في ود (ص ١٦٩) :

« - والفتيات الصالحات ؟

- ستعود كل الفتيات اللاتي كن معي في الإسكندرية .

وقد انضمت اليهن فتيات من القاهرة .

فقال الباشا . وهو يبتسم :

- كلام جميل

ودق الجرس ، ودخل عثمان ، ووقف ينتظر

التعليمات ، وأن كان يعرفها سلفا . قال الباشا :

- هات المبلغ الذي ندفعه لجمعية الفتيات

الصالحات .

وخرج عثمان ، وفتح درج مكتبه ، وراح يعد مائة

جنيه ، ثم أعاد باقي الأوراق المالية إلى مكانها ، وأغلق

الدرج وأدار المفتاح ، ثم فتح دفتر أمامه ، وراح يكتب

« ١٠٠ جنيه - أعمال خيرية » (ص ١٧٠) . ووضع

الباشا ، المبلغ في يد الست أنهار ، فتقبلته شاكرة ، وقالت

وهي تنهض للانصراف :

« - يسر الفتيات الصالحات أن يزورهن الباشا

في الإسكندرية . فقال الباشا ، وهو يبتسم :

- قريبا ، إن شاء الله .

.. وخرجت أنهار ، وعاد الباشا إلى مكتبه ، وهو

يفكر جادا في هذه الزيارة التي يشاق إليها كل الشوق»

(ص ١٧١)

بهذه الحيدة الموضوعية في تخطيط الصورة الفنية

للموقف الإنساني ، برزت معالم شخصية الباشا إلى الوجود

ولم يبق لها سوى أن تتبلور . وحانت الفرصة أمام

الفنان ، عندما جاء في السياق ، ذكر الملك في حادثة

القصاصين ، إذ كان « حلمي » يحدث والده ، وقد

شرد بصره :

« - يقال أنه كانت إلى جوار الملك امرأة ، أنها ماتت

في الحادثة .

فقال الباشا في صوت خافت :

- قيل هذا .

ثم أدار وجهه إلى ناحية القبة ، ورفع أكف الضراعة ،

وقال :

- اللهم استرنا وأستر ولايتنا « (ص ١٩١) .

كانت هذه هي الفرصة « الاستراتيجية » أمام الفنان ،

ليعتلي بها قمة التطور الدرامي للحدث . فاذا اشتد لهيب

الصيف ، قال الباشا :

« - الحر شديد هنا وفي القاهرة ، سأسافر غدا

أو بعد غد إلى الإسكندرية .

وفطن عثمان ، إلى ما سيقوله الباشا فقال :

- وقد تمر سعادتك على جمعية الفتيات الصالحات .

قال الباشا في هدوء :

- قد أمر على الجمعية ، أو قد ابعت مع أحد الراتب

الذي نرسله إليها .

فقال عثمان ، وهو ينحني :

— اتريد سعادتك المبلغ الآن ؟

— لا . جهزه لآخذه معي عند سفري » (ص ١٩٤)

وعلى هذا النحو ، لا نرى الباشا في الهيئته التقليدية التي تواضع عليها كتاب الرواية في تصوير الباشاوات . ان الفنان يدعه يتحرك امامنا .. يتكلم ويفعل .. ومن كلماته وفعاله ، تتضح لنا صورته قليلا قليلا ، حتى ادا بلغ الحدث الروائي دروته الدرامية ، انجلت امامنا الصورة كاملة دون زيف ولا نستشعر من المؤلف اية مصلحة في سوءة هذا وحسنة ذلك ، لان صفاتهم جميعا تنبع من واقعهم الحقيقي ، ومن قلب الموقف الانساني ، واللقطة الفنية . وهكذا نحن لم نفاجأ حين عرفنا ان مئات الجنيهات التي يتعطف بها الباشا على جمعية الفتيات الصالحات لم تكن غير اشتراكه الموسمي في ذلك البيت من بيوت الدعارة الذي تديره الست انهار ، ولم تكن الفتيات الصالحات — بالتالي — الا مومسات فئات .

اقول ، اننا لم ندهش حين اكتشفنا هذه (الثنائية) في حياة الباشا . بل اننا عثرنا على تبريرها العلمي ، في التناقض الكامن بين القيم الاخلاقية المجلوبة من الخارج والتي يتسربل بها الاقطاعي ، وبين القيم الحقيقية النابعة من كيانه الاجتماعي . ان « المسبحة » التي لا يتركها من بين اصابعه ابدا ، تعبر عن هذه القيم التي انبثقت يوما عن واقع اجتماعي معين ، ولكنها امست للزينة وذو الغبار في العيون عندما تولد عن ذلك الواقع الاجتماعي السابق ، واقع اجتماعي جديد ، لا تتلادم معه قيم واخلاقيات الواقع القديم . والاصرار اذن على تلك القيم ، هو سر التناقض الذي انزلق اليه الباشا ، ممثلا للاقطاع ، بعد ان اصبح يرتدي قناعا مهيبا ، وهو يوزع هداياه السنوية على الفلاحين ، ويخلع عنه هذا القناع في احد مخادع الست انهار .

اهدى لنا الفنان التشريح الفني للاقطاع ، دون تدخل منه ، لانه صور تلك المرحلة من تاريخنا في اطار موضوعي تماما ، اعتمد فيه على اللقطة الدرامية لحركة الحدث . مثل اخر قدمه لنا السحار في « امينة هانم » . لم نرها الا سامعة مطيعة ماثلة للوامر . اذا حرك زوجها شفقيه قالت (آمين) قبل ان تعرف ماذا سيقول . « كل حسناتها انها راضية عن كل ما يفعله ، وانها تعتبره سيدها الذي عليه ان يشير ، وعليها ان تلبى اشارته دون تدبر او تفكير » (ص ١٤٥) . حتى انه سأل حلمي ذات مرة :

« — هل تعلم امك انك ستبيت في القاهرة ؟

— لم اقل لها

— لماذا ؟

— لانني اعلم ان اية كلمة منك ستريحها ، انها نوافق دائما على كل ما توافق عليه ، وترضى بما ترضى به . فقال الاب منشرا :

— انها تطيعني في كل شيء ، وترضى عن كل ما اقول ، الا فيما يتعلق بك فقال حلمي ، وهو يتجه الى سيارته :

— انها تطيعك حتى فيما يتعلق بي وببنفسها » (ص ٦٢)

هذه — اذن — نوافذ عالمها ، تطل على المطبخ ، ومشكلة ابنها مع زوجته العاقر ، وحين اقبل على السراي ، احد اقارب الباشا ، وكان مزمعا ، ان يسافر الى الحجاز « صممت قليلا ، ثم قالت وفي صوتها نبرات فرح :

— عندي مبلغ من المال اريد ان اتصدق به على فقراء مكة والمدينة ، ولما علمت انك مسافر قلت جاء الفرج »

(ص ١٠٣)

وتناول الرجل منها مائة جنيه ، ثم ذهب « وهي ترمقه وبين ضلوعها نشوة وسعادة وطمأنينة وسلام وامل دفيء ، ففد كانت تؤمن بكل جوارحها انها قد وضعت بذلك المبلغ الذي تصدقت به على فقراء مكة والمدينة اساس قصرها الشامخ في الجنة » (١٠٥ و ١١٥)

من باطن الموقف الدرامي ، تكاد نؤمن اننا راينا هذه السيدة وعشنا معها . ولقد انتهت بالمؤلف هذه الوسيلة الفنية الى الصدق الموضوعي في تصوير المرأة الاقطاعية ، بصفة خاصة .. وجهة نظر الاقطاع في المرأة بصفة عامة .

لو تساءلنا — بعد ذلك — عن الحدث الروائي في القصة ، لوقفنا حيارى امام اكثر من خط رئيسي يشق سبيله لاغتصاب هذا الاسم .

✱ فانهيار النظام الاقطاعي .

✱ والشقاق بين الباشا وابنه عبد الخالق .

✱ ومأساة غرام حلمي ، وفشل حياته الزوجية .

✱ وسقوط بثينة بعد ان تحطمت كل آمالها .

كل من هذه الخطوط الاساسية في الرواية ، هيأ لنفسه ما يكفل له صفة « المحور الدرامي » .. سواء اكتسب هذه السمة من جملة السياق التعبيري ، او من اتخاذه طريقا طويلا او معقفا عبر الرواية .

ما لا ريب فيه ان واحدا من هذه الخطوط ، لم يكن « هامشا » او « فرشة » للبناء الروائي .. اي انه لم يكن خطا ثانويا .

وعندي ان « انهيار النظام الاقطاعي » هو ذلك الحدث رغم بقية الخطوط التي يمكن لغيري — وله الحق — ان يعتبرها احداثا روائية .

انهيار النظام الاقطاعي هو « الحدث » في هذه الرواية ، لان الفنان لم يلتقط لحظة معينة في حياة هذه الاسرة الاقطاعية ، وانما هو رافقها حتى لفظ الاقطاع انفاسه الاخيرة .

واتمثل الان مذكرته في بدء حديثي ، من ان العمل الاول للفنان الذي يؤرخ لمرحلة ما من مراحل تطورها ، هو التفسير الفني للاحداث ، فاذا اردنا ان نبحت في « الحصاد » عن تفسير ما لتلك المرحلة التي صورتها ، لما اهتدينا اليه . ذلك ان الاستاذ السحار ، حرص بالفعل ، على تأكيد ماكانت فيه البلاد من فساد ، واكتفى بذلك تمهيدا لثورة ١٩٥٢ . فهو يذكر على لسان عثمان — ان رئيسا للوزراء « عادي العالم كله وارضى الملك » (ص ٣٠٩) . وعلى لسان رفعت يقول :

— امر هذا الملك غريب ، يملك كل شيء ويهوى السرقة ، يسرق الادوية من المستشفيات في اثناء الحرب ، ويسرق على موائد القمار ، ويسرق التحف من المتاحف .

قال عبد الخالق :

— ويسرق السلطة من وزرائه ، ويسرق الاراضي من الاوقاف .

وقالت بثينة :

— ويسرق الزوجات من ازواجهن .

وقال رفعت :

— انه لايعطي الا الانقلاب .

وقال عبد الخالق معترضا :

— حتى الانقلاب يقبض ثمنها ، اصبحت ارواج تجارة في مملكته ، قطعة من الورق يقبض ثمنها لها خمسة الاف

او عشرة من الجنهات .

قال رفعت :

— تصرفاته كلها استهتار ، في غرفة نومه بركن فاروق بحلول صورة امرأة عارية ، وعلى الحائط القريب منها ايات قرآنية » (ص ٣١٧)

وفي مكان آخر ، يحكي رفعت لبثينة ، ان رئيسا للوزراء تقلد منصب الرئاسة ، ثم قال للملك :

— لي طلب واحد يمولاي !

وظن الملك ، انه سيطلب شيئا هاما ، فأوجس خيفة ، واذا بالرجل يقول :

— لا مطعم لي الا ان اقبل يد مولاي (ص ٣٣٠)

ولست أشك في ان فساد الجو السياسي وطفيان الملك وانحراف الزعماء ، كل هذه كانت عوامل مساعدة ، عجلت بتطور بلادنا الى مرحلة اكثر تقدما . ولكنها لم تكن عاملا حاسما في هذا التطور . والحقيقة التاريخية ، هي ان الرأسمالية الوطنية المصرية ، كانت قد ترعرعت واشتد عودها في احضان النظام الاقطاعي . وعندما قامت ثورة ١٩٥٢ لم تكن شهادة وفاة للنظام الاقطاعي ، بقدر ما كانت بشيرا بان المجتمع الرأسمالي الوليد ، قد أصبح كاملا الرشيد .

وتطور بلادنا اذن لم يتم بشكل عفوي كما صورده مؤلف (الحصاد) . وانما كان هناك التوسع التجاري والنمو الصناعي يأخذان سبيلهما الى توطيد نفوذها السياسي . ومن ثم كان محتوما ان يتقوض المجتمع الزراعي ويشيخ نظامه الاقطاعي ، وتقوم ثورة يوليو تأكيداً لسير التاريخ . كان في استطاعة الاستاذ السحار ، ان يصور هذا النمر المعقد للمجتمع الجديد ، من خلال العلاقات الفردية والاجتماعية القائمة بين الاسرة الاقطاعية والعالم الخارجي او بينها وبين مخاوفها الحقيقية من هذا التقدم ، حتى يصبح للثورة مدلول عملي ، ولا يقتصر معناها على كونها مفاجأة سارة للفلاحين ومحنة للباشا . وحتى نستنبط من العمل الفني قانونا يؤمن بتطور المجتمع ، ويهتدي به الناس في رؤية « مستقبل » اكثر تقدما . اما الذي حدث ، فهو ان المؤلف جعل من فساد الحكم والطفيان — هذه الاسباب الثانوية — عاملا حاسما في الثورة .

وانعكس ذلك على القالب الفني للرواية بشكل اكثر وضوحا ، فما ان تحدث الفوضى الوزارية المشهورة قبل الثورة ، حتى يصبح حلمي مفكرا :

— الجو مشحون بالاحتمالات ، سيحدث شيء ما ، شيء لا ادريه .

قال الباشا وهو ينظر في ساعته :

— لن يكون هناك استقرار الا اذا عاد رفعة الباشا الى الحكم .

ثم يفتحان الراديو مصادفة ، فيستمعان بشرود الى صوت المذيع ، يعلن حركة الجيش ، ويظل الباشا صامتا ، السى ان يقول حلمي :

— هذه بداية ثورة .

وافاق الباشا من شروده وقال :

— بل هذه حركة لا يقصد بها الا تطهير الجيش .

بهذا اكتسبت الأحداث طابع المفاجأة والعموية . ولم يتبلور لنا في النهاية موقف عام للكاتب .

قلت انه ليس هناك حدث روائي في القصة ، يمكن اعتباره المحور الدرامي الوحيد . فالشقاق بين الباشا وابنه

عبد الخالق ، فرض لنفسه خطأ رئيسيا في الرواية . وكان يبدو ذلك ممكنا وطبيعيا للغاية ، لو انه اكتسب من السياق الروائي ، ما يكفيه من مبررات . غير ان هذا « العداء » قد تجرد من أية اسباب تكفل له ان يقف على قدميه . فان يحنو الوالد على ابنه الصغير من زوجته الثانية ، وان يخسر عبد الخالق حظه في البورصة ، وان يثرثر عثمان في اذني الباشا . . كل هذه لا تقم حاجزا ضخما ابديا بين الباشا وابنه ، خاصة ان البنة في ظل الاقطاع تتخذ مظهرا وثيقا . ولربما بدا ذلك ممكنا من زاوية أخرى هي الدلالة الفنية . أي ان الحدث لا يكون ذا دلالة في ذاته ، وانما هو ركيعة متينة تتجمع حولها دلالات آخر . وهذا ما افتقدته في العلاقة السيئة بين عبد الخالق والباشا .

حقا ، أصبح بيت الابن ، موثلا لاصدقاء السوء والمتسلقين من امثال مرسى « صاحب الشقة الفاخرة في سليمان باشا كلها غرف نوم ، ودوره فيها ان يفتح الباب لرجل وامرأة وان يغلّق خلفهما . . . وقد يسرت له شقته وكتمانته ، وحفظه للاسرار اندماجه في الطبقات الموسرة التي تقدر خدماته الجليّة » (ص ١٢٣ ، ١٢٤) . و « شعبان » الذي جلس الى جوار بثينة « وقد صور له طول حرمانه الذي قاساه انه ما ان يدخل الطبقة الارستقراطية حتى ينال كل نساها » (ص ٢٤١) ، والذي جمع مرسى بشعبان ، هو ان الاخير ، اتسعت اعماله في تهريب التموين وقت الازمات ، ووجد ان بعض الموظفين يتعففون عن قبض الرشاوي ، فلم يياس منهم ، كان يضايقه ان يجد موظفا متمردا على نفوذه ، فأعد جرسونيرة في مصر الجديدة واخرى في شبرا وثالثة في الجيزة ، يغري بها الموظفين الذين يترفعون عن اخذ المال ، وقد نجحت فكرته حتى ان اغلب الموظفين الذين كانوا روادا لبيت مرسى يمموا وجوههم شطر شعبان ، وضايق ذلك موسى ، فذهب الى شعبان يحتج على منافسته غير المشروعة ويهدد ويتوعد ، ولما كان شعبان من طبعه ان يرشو كل من يتصل به ، فقد اتفق مع مرسى على ان يكون مدير جرسونيراته لقاء مبلغ من المال » (ص ٢٨٥) . اما « رفعت » ، فشاب وسيم « فيه جراءة واعتداد بالنفس ، وما كان من الوسط الذي يعيش فيه ، انه من اسرة فقيرة ، ولكنه كان تواقا الى حياة البذخ والسهر والعريضة ، فراح يصادق زملاء الاثرياء في المصلحة ويشاركهم لياليهم الحمراء ، ويقضي لهم ما يكلفونه به من خدمات لاتحلو السهرات الا بها ، وغالبا ما كان يتطوع من تلقاء نفسه لتأدية الخدمات ، ليؤكد ضرورة وجوده واهميته » (ص ٢٦) وقد وصفه عبد الخالق ذات مرة بانه « رجل الملمات ، يعرف من اين تأتي الخمور » (ص ١٢٥) . وحقا ، نجح مرسى في اجتذاب عبد الخالق الى شقته في شارع سليمان ، بعد ان راح يوسوس له :

« — أنت في حاجة الى راحة ، الى تغيير حياتك هذه التي تحياها ، لماذا لاتفكر في ان تأتي عندي ليلة ؟

فقال عبد الخالق في بساطة :

— في المسرح ؟

فابتسم مرسى ابتسامة ترجمتها : « ياعبيط » وقال :

— لا ، عندي في البيت ، عندي كل وسائل الترفيه ، ممثلات ، فتيات صغيرات ، ويسكي ، بيره ، حشيش تعال ليلة لتعيش في الجنة .

وانقشع القلق المستبد بعبد الخالق ، وصفت نفسه ، فقال لمرسى :

« ربنا يوعدنا » (ص ٢٤٠)

✱ وحقا ، اخفق شعبان في الوصول الى احضان بثينة ، لان رفعت سبقه الى ما بين الضلوع .. ولكن ما هي دلالة هذه الاحداث؟ الدلالة الفنية والانسانية؟ كانت النتيجة الوحيدة ، ان الفنان - بعد ان خلق في الرواية ، خطأ رئيسيا (١) بلا ضرورة فنية - ان تورط في اختلاق الجو الموازي لهذا الخط . واذكر - على سبيل المثال - اننا عرفنا الجانب الحقيقي في حياة الباشا أثناء زيارته للاسكندرية ، وبمعنى أدق أثناء زيارته للست انهار . وعرفنا ايضا حياة عبد الخالق بعد ان اقام المؤلف سدا عاليا بينه وبين ابيه . ويوما ، يسافر الباشا الى الاسكندرية حيث يتعشم قضاء ليلة ممتعة في فيلا انهار . ويشاء البوليس ان يعكر عليه صفو هذه الليلة ، فيهاجم الفيلا ، ويقبض على النساء والرجال ، ويركب الجميع « البوكس » واذا بالباشا وجها لوجه امام ابنه عبد الخالق !! والضابط يسأله عن اسم ابيه ، فجيئ :

« - سليم باشا شلبي .
والتفت الى الباشا وقال في قسوة :

- اقدم لك سعادة سليم باشا شلبي ، أبي » (ص ٣٤٤)
لاشك ان هذه لقطة بارعة ، لو اخذت على حدة ، ولكنها - للأسف - جاءت وسط اللوحة الكبيرة ، شيئا مفتعلا ، رغم احتمال وقوعها . ذلك ان الفنان اراد بها ان يسلط الضوء على صميم العلاقة بين الابن والباشا ، التي لم تنم منذ البداية في ظل ظروف موضوعية يمكن الاقتناع بها او الاستدلال بواسطتها على هدف هام .

ولقد استهوت المؤلف هذه المفاجأة التقريرية في قطاعات مختلفة من الرواية . فعندما تعلم بثينة بخيانة زوجها لها في بيت واحد للدعارة مع والده تنهار تماما ، حتى اذا دخل رفعت - بعد دقائق - ارتمت في احضانه على الفور ، وهتكت الخط الرفيع الذي حال بينهما طويلا . وان كنت اتفق مع الكاتب على ان الموقف كان ممهدا منذ بعيد ، الا انني لا اتفق معه في ترجمته على هذا النحو : بثينة تقرأ غمزا للفضيحة باحدى المجلات ، فتواجه عبد الخالق وتهب عاصفة هوجاء ، تنتهي بخروج عبد الخالق ، وبعد « - رفعت بك في الصالون

« - فعت بك في الصالون

وقامت وهي ساهمة ، وانطلقت الى الصالون باسرة الوجه ، في صدرها حزن ثقيل ، ومدت يدها الى رفعت تصافحه وشفتاها مزمومتان ، وعيناها ذابلتان ، وروحها غارقة في الظلام ، ونظر اليها رفعت في انكار وقال :

« - مابك الليلة ؟ مريضة ؟!

« قالت في صوت تخنقه العبرات :

« - تصور ! عبد الخالق يخونني .

واجهت بالبكاء ، واخفت وجهها في صدره وتشبثت به ، فراح يمرر يده على شعرها في حنان ، احس في تلك اللحظة ان الغشاء الرقيق الذي كان يفصل بينه وبينها قد تهتك ، وضمها الى صدره وهو غارق في السرور ، ثم راح يمسح دموعها ، بشفتيه ، وطفق يعصرها عصرا ، وقلبه يخفق بالشوة بين جنبيه .

ان التعبير الفني ، ما كان يتحمل مشهدا ميكانيكيا ، كهذا وكان يكفي ان تضرع بينها وبين نفسها ما انتوته من خيانة ، وان نحس نحن بما يعتلج في صدرها ، بلا حاجة الى نقله مسرحيا .

وأثارت هذه النقطة سؤالا جديدا : كيف نجحت بثينة

في كبح جماح نفسها طيلة هذه المدة ، رغم ان المجتمع

(١) اعني « الشقاق بين الباشا وعبد الخالق »

الذي تحياه هو مرسى وشعبان تاجرا الاعراض ، والمثثلة الكبيرة هاوية الشذوذ الجنسي ، وأخيرا رفعت ، الوصولي المتسلق ؟ بل كيف اقتنعت نفسها بطهر زوجها طيلة هذه الفترة ايضا ؟ . وكيف عاش هذا الزوج بنفس غفلتها ؟ وكيف أصيب كلاهما بالغباء ازاء محاولات شعبان لاقرارهما وقت محنتهما ؟ لقد تساءل عبد الخالق في استغراب :

« - كيف يرحب باقرارنا وهو لا يعرفنا ؟

فقالت بثينة في حماس :

- قال مرسى ان الرجل رأنا اكثر من مرة ، ويعرفنا جيدا ، وان كنا لانعرفه بعد . ووضع عبد الخالق كاسه وقال :

- ولماذا يقرضنا دون ضمان » (ص ٢٠١)

وحين قال شعبان مصادفة في حديث له « كل شيء له ثمن » شردت بثينة لحظة تفكر « ترى ماذا يقصد بكلامه هذا ؟ ايريد ان يوحى اليها بشيء ؟ انه وعد باقرار عبد الخالق مايريد ، ولكنه لم يتقدم خطوة بعد ذلك الوعد ، ايريد ثمنا لتنفيذ وعده ؟! واذا كان يريد ثمنا ، فما هو ذلك الثمن » (ص ٢٣٤)

الى هذا الحد الغريب ، بلغ بهما الغباء ، حتى ان احدا لم يفهم ما وراء محاولاته الا حين جلس معهم الى الطعام « وراح يمد رجله من تحت المائدة ليداعب بها رجل بثينة » (ص ٢٤١) ، ومرة اخرى اهداها « سوارا » واخذ يتحسس ذراعيها وظهرها ؟ أي بعد ان لجأ المؤلف الى ترجمة الموقف عمليا !

نبتت هذه الاسئلة جميعها على ساق احد الخطوط الرئيسية في الرواية ، لان وجوده الطبيعي لم ينبت بدوره من ضرورة فنية .

وربما تبلورت ازمة المفاجأة التقريرية هذه ، حين توسدت بثينة ورفعت غرفة الاستقبال ليشربا كؤوس المتعة ، بينما عبد الخالق في فراشه يعاني النزاع الاخير . فما كان من المؤلف الا ان اقام المريض من فراش الموت ، ليأخذ طريقه الى غرفة الاستقبال ، ويشهد مصرع شرفه .

ولست اعلق على هذا الموقف ، الا بانه نموذج للتقريرية في « الحادثة » Event لان الفنان هنا لا يعط بطريقتا منبرية ، ولكنه « يعط » بطريقة فنية .. اي ان التقرير هنا في اختيار الصورة نفسها لا في وصف الحادثة او شخصها .

ومن السهولة بمكان ان يستخف الكاتب بالتقرير فسي الحادثة ، الى ان يتورط في التقريرية الساذجة .. رغم ان مقدرته الفنية عادة اكبر من الوقوع في هذا الخطا . ونحن نقرأ التعبير الانشائي الذي وصف به الاستاذ السحار - في خمس صفحات - ماعليه الفلاحون من حال بائسة ، فيعلق على هدايا الباشا السنوية الى الفلاحين قائلا : « ان ما يوزع عليهم يكفيهم يوما او يومين ، فماذا يفعلون طوال ايام السنة الباقية ، تلك الايام العجاف القاسية التي تأخذ منهم كل شيء ؟ الصحة والعافية والعمر ، ولا تجود عليهم بما يستر الجسد ، ويسكت صراخ البطون » (ص ٧٨) ثم يصف اصحاب هذه البطون بانهم « كانوا مغلوبين على امرهم ، فأكلوا لحومهم كلهم من ذوي النفوذ والسلطان » (ص ٧٩) نقرأ هذا ، فنعجب كثيرا ، لان صاحبه هو السدي اوضح العلاقة بين امينة هاتم والفلاحات داخل اطار فني جميل ، اذ هي تدعوهم لتنظيف القصر ، استعدادا لاحدى الولايم ، وكل منهن تحلم بمبلغ من المال تشتري به دواء

وما يقال من ان الادب السياسي يرغب الفنان على ذلك هو قول يجانب الصدق ، لان تقسيم الفن حسب اهدافه ومرامييه ، هو تقسيم مفتعل ، يفتقر الى التدليل العلمي . ان العمل الفني لا يقدم لنا الفرد او الافراد او الظروف الفردية ، وانما يقدم لنا النموذج البشري والنمط الاجتماعي والظروف الموضوعية . وليس تقريبا من الواقع اذن ، ان يكشف الفنان عن الاسماء الواقعية لشخصه ، لانه ابتعد بهم عن الواقع الحقيقي ، منذ جردهم من اصالتهم الفنية . وكما يقال ان هناك ادبا سياسيا ، واخر اجتماعيا ، وهكذا .. مازال هناك من يقسم الفن بين المأساة والمهابة .. رغم ان هذا التصنيف حدث بالفعل في تاريخ الفنون ، في ظل اسباب موضوعية احاطت هذا التاريخ . اما الان ، فقد اصبح للفن معنى جديد ، يتجاوز بشموله حدود المأساة والمهابة الى افاق انسانية اكثر رحابة وعمقا ، تشمل الدموع والسماوات .. وعناصر الحياة جميعا . وهذا ما لمستته - بحق - في رواية « الحصاد » ، فلم يقتصب مني كاتبها ضحكة واحدة ، وان ضحكت كثيرا ، ولم ينتزع من عيني دموعا ، وان غالبتني الدموع مرارا . ذلك ان مقدرته الروائية في ادارة دفعة الحوار ، بلغت من الدقة درجة عالية ، اتاحت لعدسته الصدق في تصوير خلجات الناس ونفوسهم ، فعاشناهم بحرارة قلوبنا ، وعانقناهم بكل محتوى مشاعرنا ، وأحسننا في عمق ، بانهم لا يضحكون حين تعلو قهقهاتهم ، ولا يكون حين تنهمر دموعهم .. بل انهم يعيشون الحياة . واذا كنا لم نستخلص من الرواية موقفا عاما للكاتب ، فان ذلك - في ذاته - بشكل موقفا ما ، اعود به الى أزمة الفنان المعاصر في المجتمع الحديث ، حيث أصبحت حرية التعبير احدى مشكلاته الرئيسية . غالي شكري

فتاة في المدينة ..

مجموعة اقاصيص بقلم

محمد ابو المعاطي ابو النجا

صدر حديثا

دار الاداب

لزوجها او ثيابا لابنها ، او سدادا لجزء من دين البقال ، واذا اختلفن جميعا في احلامهن ، فانهن اتفقن في شيء واحد هو الاكلة الشهية التي سيفرن بها عقب الوليمة . وبعد ان انتهين من التنظيف بدان في ذبح الديوك الرومي، ولحمت امينة هانم احداهن تتأهب لرمي الارجل والامعاء فوبختها ونهرتها وافهمتها ان هذا « بطر يزبل النعم » ومن الحكمة ان تشق الامعاء وتلف على الارجل ، لان حساءها لذيق . وغارت قلوب النسوة الى اعماقهم ، وتبخر الحلم القصير الذي اتفقن عليه ، وطارت من عيونهن الاكلة الدسمة . غير ان الاحلام الاخرى ظلت عالقة الى ان مدت امينة هانم يدها بعشرة قروش الى واحدة منهن لكي يقسمنها بالتساوي . وهنا تبخرت الاحلام الباقية (١) .

هذا نموذج رائع لتصوير الفلاحين من واقع علاقاتهم الاجتماعية . لو ان الكاتب قد استمر في تصوير العلاقات الفردية بين الفلاح والفلاح .. والفلاح والارض .. والفلاح والاقطاعي .. لاستطاع ان ينجو من التقريرية التي وصف بها الرواية في الصفحة الاخيرة حين وقف الجميع في ذهول حول جثمان عبد الخالق ، والهام تنظر الى السيد سليم - الذي لم يعد باشا ولا صاحب عشرة الاف فدان وتهمس لنفسها :

« - من يزرع الزوابع ، يجني الاعاصير »
ليست الهام - بلا ادنى ريب - هي صاحبة هذه « الحكمة » ، انه المؤلف نفسه ، يلخص بها حصاد العمر . قضية هامة - من القضايا العديدة التي تثيرها هذه الرواية - تستحق ان نوليها كثيرا من الاهتمام ، تلك هي قضية الفنان الذي يعبر عن مرحلة تاريخية ، مازال ابطالها احياء بيننا او في اذهاننا : الى اي مدى يحق للكاتب ان يتناولهم بأسمائهم الحقيقية ؟

ويذكرني السؤال ، باحدى مسرحيات برنارد شو (٢) كانت قد احدثت دويا هائلا حول افراد بعينهم دون ان تذكر اسماءهم الحقيقية . وكانت النقطة اليتيمة التي اجمع عليها النقاد ، ان هؤلاء الافراد موجودون فعلا في مسرحية شو . وفي مسرحية « بستان الكريز » لتشيكوف ، غمز الناس لبعضهم بان تشيكوف يقصد بالستان شيئا اخر ، ويعني باصحابه اناسا آخرين يحملون نفس السمات . وفي اي من اعمال بلزاك نرى ابطالا « مكثفين » ان جاز هذا التعبير عما يقوم به بلزاك من تجسيد لصفات عدة شخوص حقيقيين - يمثلون قطاعا ما في المجتمع - في شخصية روائية واحدة .

ومنذ القديم ، حتى الان ، والشخصية الروائية مشار لجدل طويل . والاستاذ عبد الحميد السحر في روايته « الحصاد » اراد ان يقرب بنا من الواقع ، فكشف عن اسماء بعض الساسة القدامى ، كانوا على المسرح السياسي منذ قريب ، ولا تزال صورهم ماثلة امام عيوننا . ومن ثم مالت الاحداث الى ان تكون احيانا فردية ، وليست تجسيدا واعيا او انماطا او نماذج للواقع الاجتماعي . وبمعنى اخر، لم يعد للشخص دورهم الفني ، بعد ان استلهم الفنان ادوارهم الفردية الحقيقية . لقد تخطى ابطال الرواية عن كونهم ممثلين لمجتمع كامل ومرحلة كاملة ، واضحوا مجرد افراد ، واختفت بذلك الدلالة الكبيرة الهامة ، التي كان يمكن ان نسند لها لهم .

(١) راجع (الحصاد) من ص ١٠٠ الى ص ١٠٢

(٢) العودة الى متوشالح

رضا حوجو ونضال الكلمة

بقلم ابراهيم القاسم عدالله

من خلال التجربة الفنية الى ان قتل غدرا وانتقاما برصاص الاستعمار في مارس ١٩٥٦ .

ومن خلال هذه النافذة الصغيرة عن حياته نرى انها حياة خصبة جدية بالدراسة والوقوف وانها غنية بالتجارب والمجاهدات والنزعات، فثماني سنوات خارج الجزائر اتاحت له ان يزور بلادا اشتراكية واخرى ديمقراطية ويختلف الى بلاد عربية ليست غريبة عن وجهه ودمه الى بلاد اجنبية لا يربطه بها نسب ولا ثقافة .. ويسمع ويتعرف على اثار بوشكين وتشيكوف في روسيا ، وبراندلو ، وكروتشي في ايطاليا الى جانب دراسته عن هيجو ورفاقه واخيرا اندريه جيد ، في فرنسا . وقد حفزه كل ماراه وعبا روحه وايمانه بمستقبل الثقافة العربية في الجزائر وحدد معالم شخصيته العربية بين زملائه الجزائريين من ناحية ثم بين الابداء الاخرين من ناحية ثانية وهذا محاول ان نبينه في النقطة التالية من هذا البحث .

ثانيا : دوره في حركة الادب . ولكن قبل ان نتحدث عن دوره في الحركة الادبية يجب ان نعطي صورة موجزة عن تطور النشر العربي في الجزائر حتى وصل مستواه الحالي . ذلك ان الدراسة المستانية لتاريخ الادب تثبت ان النشر قد اجتاز عدة مراحل قبل ان تنضج عبارته وتنحصر من الرواسب التقليدية .. وانما اقول النشر بعامة لكي ادرج في هذه الحركة جميع الصور النثرية بحيث تشمل اللون الادب المختلفة كالقصة والمقالة والرواية ، كما تشمل النشر السياسي والاجتماعي والديني .

وقد وجدت بعد بحث طويل في اساليب الكتابة العربية في الجزائر منذ اوائل القرن الحالي ان النشر قد مر بثلاث مراحل رئيسية : المرحلة الاولى : مرحلة التخلص من الماضي المعروف بكثرة الترادف والسجع والاستشهاد بالشعر والعبارات القصودة في ثنايا الكتابة والعناية بالدباجة والقشرة الخارجية للتعبير (١).

وننتقل بسرعة الى المرحلة الثانية لتطور النشر في الجزائر فنجد عنصر التوفيق قد لعب دورا كبيرا فقد اتاح للجزائر بعد الحروب العالمية الاولى ان تنشئ الصحافة الوطنية وان تهتم بمشاكل الادب والفكر وان تخرج بقضية العروبة الى مستواها السياسي محاولة بذلك ربط الحاضر بالماضي والتجاوب مع الاقطار العربية في مشاكلها ومصيرها .. وقد حشدت المنتقد فالشهاب ثم البصائر في سلسلتها الاولى كل الاقلام الوطنية الاسيرة فاطلقتها لتعبر عن مختلف النزعات الاجتماعية والسياسية والفكرية ، وتبعا لنزعة التحرر تخلص النشر من اكثر المحتويات القديمة ونبد الطلاء ليبر عن الحقائق في اسلوب واضح سريع الحركة ، قصير الفاصلة ، مباشر المعنى وظهرت في الجزائر لاول مرة شخصيات متميزة واقلام تحمل طابع الاصالة والعمق .

وبفضل هذا الرعيل تقدمت حركة النشر اشواط بعيدة واجتازت مرحلة التخلص الى الانطلاق والتعبير عن خلجات النفس والشعور الاجتماعي، والفكرة الوطنية في اسلوب صحفي رزين .. ويجب ان نلاحظ على هذه المرحلة ان النشر الادبي المحض فيها كان ضئيلا او معدوما .. ونحن لا نتعجب من هذا بعد ان عرفنا انها مرحلة انطلاق شامل في السياسة

الحزن ، والالم ، والحرمان ، والاضطهاد ، والقيد ، تكاد لا تذكر ازاء عشرات ومئات الضحايا الذين تقربت بهم الجزائر في نضالها الى الحرية والخلاص . والشهداء الابطال من الشعب والجيش الذين سقطوا فداء القضية العربية اكثر من الارقام واكبر من الذاكرة .. وبين هؤلاء شهيد لن تنساه الجزائر ولن تغفله القضية العربية لانه استطاع ان يجد له مكانا بارزا في الذاكرة الوطنية وان يكون رقما كبيرا واضحا في قائمة الشهداء .. ذلك هو احمد رضا حوجو فقيه الادب العربي في الجزائر الذي اغتاله الاستعمار انتقاما بمدينة قسنطينة في شهر مارس من عام ١٩٥٦ ..

ويحق للباحث في شخصية هذا الفقيه الادبي ان يتساءل اولا عن حياته وثانيا عن دوره في حركة الادب وثالثا عن ميزات فنه ولذلك فهمته هذا البحث هي محاولة الاجابة على هذه النقاط الثلاث وتوضيحها .
اولا : حياته : لم يعمر رضا حوجو اكثر من خمسة واربعين ربيعاً عاشها في كفاح مع الحياة شأن اكثر الجزائريين ، وشأن المهويين الذين لا يرضون بالواقع لانهم مصابون بحمى التطوير والتجديد . فقد ولد سنة ١٩١١ في قرية « سيدي عقبة » المشهورة بضريح القائد العربي الكبير عقبة بن نافع والتي تعد مزاراترحم فيه افواج المواطنين الجزائريين الذين يقدون على هذا لضريح يتقربون ويتفرجون ، كما يؤمها السياح الاجانب لمشاهدة معالم القرية والاطلاع على عادات الشعب وتقاليدته . ولعل هذه الظاهرة قد اثرت على اتجاه حوجو فجعلته يميل الى الادب الاجتماعي ونقد العادات ومن أهمها الطريقة والزيارات ، والاولياء ونحو ذلك حتى لقد بدأ عمله الادبي بمقال نشره في مجلة الرابطة العربية التي كانت تصدر بمصر تحت عنوان « الطريقة في خدمة الاستعمار » . وقد تعلم العربية في هذه القرية على الطريقة المألوفة في زمانه ، ثم انتقل الى « سكيكده » حيث درس الفرنسية في مدرستها ، واجبرته الظروف العائلية على مغادرة الجزائر الى الحجاز حيث اتم دراسته العربية على اساندة لعل بعضهم كان من المغرب العربي . ونلاحظ انه في هذه الاثناء قد تنقل بين عدة اجواء واطلع على اشياء كثيرة قلما تناح لغيره ، فمن حيث المناخ انتقل من بيئة صحراوية الى بيئة جبلية، ثم الى بيئة صحراوية مرة ثانية ، ومن ناحية التعليم جمع بين التعليم العربي العتيق وبين التعليم الفرنسي الحديث .. ومن جهة الثقافة العامة انتقل من الجزائر التي تسيطر عليها الثقافة الفرنسية الى مصر فالحجاز حيث تسود الثقافة العربية على اختلاف في درجة التقدم والنضج . كما نلاحظ انه اثناء مروه بمصر واقامته في الحجاز - حوالي ٨ سنوات كانت تيارات التجديد في الادب والصراع بين القديم والجديد في الشرق على اشدها ، وقد ساهم هو في هذه المعركة من وجهه اخر حيث كان الى جانب عمله كموظف في ادارة البريد بالسعودية يشترك في تحرير مجلة المنهل - بقمصه ، ومقالاته ، ثم بترجماته عن الادب الفرنسي الذي كان يعجب ببعض نوابغه ويخصهم بالذكر والاستشهاد . وقضى حوجو في السعودية اعوام الحرب العالمية الثانية ، واتيح له ان يزور روسيا وفرنسا وايطاليا وتشيكوسلوفاكيا ، وعاد الى الجزائر فادار احدي المدارس الاهلية كما يسميها ثم انتهى به الطاف السي محمد عبد الحميد بن بادس حيث تولى به شئون السكرتارية وتففرغ للصحافة والادب والمساهمة في ابراز الشخصية العربية للجزائر

(١) انظر كتاب « التقويم الجزائري » سنة ١٩١١ للشيخ محمود كحول وصاحبه ص ٤-٥ .

والعقلية والإصلاح .. والادب احفل الاثار بالتركيز والعمق والبعد عن الصخب ..

اما المرحلة الثالثة فهي مرحلة التركيز .. والتخطيط والتنقيح .. وتبدأ بانتهاء الحرب العالمية الثانية .

ويلاحظ على هذه المرحلة انها اكثر احتفاء وانتاجا للادب المحض فيها ظهرت بذور القصة العربية وظهرت بعض المسرحيات والروايات النثرية وتقدمت المقالة فاصبحت تتميز بطابعها الفني المعروف .. كما ظهر هذا الاسلوب النثري الذي يسمى الخاطرة او الصورة الادبية في شكل خفيف جذاب .

واذا شئنا الدقة في تحديد هذه المراحل الثلاث نجد المرحلة الاولى تنتهي بظهور المنتقد سنة ١٩٢٥ ، والمرحلة الثانية تنتهي بظهور البصائر الجديدة سنة ١٩٤٧ لتفسح المجال للمرحلة الثالثة التي كانت اغنى تجربة واكثر انطلاقا واعمق مفهوما .

ونحن نعرف ان حوحو قد سافر الى الحجاز سنة ١٩٣٧ في منتصف المرحلة الثانية لتطوير النشر .. وكان عمره اذ ذاك حوالي ٢٦ سنة وهي سن ناضجة تتيج له ان يعمل كثيرا من الذكريات الوطنية والاصلاحية عن الاحداث التي تسود بلاده ، وكانت القيادة في الجزائر قد ظهرت في صورتها المتكاملة تقريبا تحمل معها كافة الاتجاهات السياسية من يسارية ومعتدلة وموالية .

ونحن نذكر هذا لنبين ان حوحو لم يجد شيئا جديدا في القيادة حين عاد الى الجزائر .. نفس الاتجاهات والشعارات بل ربما نفس الأشخاص .. وكل ما طرأ من جديد هو ازدياد الوعي الجماهيري وتبلور المفاهيم الوطنية والشك في اهلية القيادة بعد انتهاء الحرب وحوادث ٨ مايو الروعة كذلك نذكر هذا لنزداد تفهما لموقف حوحو من القضية الوطنية حين يهاجم السياسة والنواب والزعامة الفردية ويؤمن بالشعب من خلال مشاكله الاقتصادية والثقافية والنفسية لا من خلال الاحزاب والطوائف .

وقد انتفع حوحو بتجربته في الشرق العربي حيث التقى بالمنابع الاولى للثقافة العربية ، ووقف على اهم المشاكل التي تشغل بال الادباء آنذاك والمعارك التي كانت تنشب بين حين وحين لنصرة هذا الاتجاه الادبي او ذاك .. وعندما رجع الى الجزائر في سنة ١٩٤٥ وجد شيوخ المرحلة الثانية قد مات بعضهم وانزوى الآخرون ووجد جيلا جديدا يبحث عن نفسه عقب الحرب وعقب التجارب السياسية المختلفة للحركة الوطنية فبدأ يكتب ، ومن عجب ان يصدر اول قصة له سنة ١٩٤٧ بعنوان « غادة ام القرى » وهي قصة اجتماعية تجري حوادثها على ارض الحجاز . اهداها الى المرأة الجزائرية بهذه العبارة .. « الى تلك التي تعيش محرومة من نعم الحب .. من نعم العلم .. من نعم الحرية .. الى تلك المخلوقة البائسة المهملة في هذا الوجود .. الى المرأة الجزائرية اقدم هذه القصة تمزية وسلوى » .

ولكن عجبنا يزول حين نعرف انه كتب هذه القصة اثناء وجوده بالحجاز وانه لاحظ اوجه شبه كثيرة بين المرأة الحجازية والمرأة الجزائرية فاستحب نشرها في ارض ليست غريبة عن بيئة القصة وقد هاجم بعض الرجعيين بدعوى انه يدعو الى تحرير المرأة والخروج على التقاليد ولكنه صمد وكتب عدة قصص اخرى ومقالات يدافع فيها عن حق المرأة في الحياة واختيار الزوج والثقافة .. نشر بعضها في كتبه : مع حمار الحكيم وصاحبة الوحي ، ونماذج بشرية .

وقد امد حوحو الصحافة العربية في الجزائر بكثير من المقالات الاجتماعية والنقدية والقصص الخفيفة والصور الصادقة عن مختلف اوجه النشاط في المجتمع الجزائري .. وساهم بنصيب وافر في حركة الترجمة والتأليف التي كانت تفتقر الى هاتين الظاهرتين كما خدم الصحافة بأسلوبه الخفيف وحواره الساخر ومعالجته القضايا الاجتماعية والادبية بلون جديد هو لون القصة والصورة .. وكلاهما كان غير موجود قبل حوحو كما سبقت الإشارة ولذلك نعدده واضع البكرة الاولى للقصة العربية في الجزائر .. صحيح ان قصصه تعوزها التقنية الفنية وتحديد

الابعاد ومراعاة الاصول .. ولكن مافيها من شخصيات حية واساليب الحكاية والحوار قد جعلت منها بذورا صالحة لكي يبنى عليها الجيل الحاضر معالم القصة المتكاملة ..

كذلك اسهم حوحو في الادب المسرحي فقدم الى الاذاعة والمسرح العربي عدة روايات فكاهية بالفصحى والعامية . مقتبسة او موضوعة وجميعها كانت تقدم الى الجمهور في اسلوب ساخر ونقد لاذع لاضعنا الاجتماعية والسياسية .. كما خدم المسرح عن طريق تشجيع الممثلين ونقده لما تقدمه بعض الفرق من اعمال ادبية على المسرح . كما فعل حين قدم رواية « الصحراء » التي تمثل كفاح ليبيا من اجل الاستقلال . والمعروف عن حوحو انه كان الى جانب اعماله الادبية والصحفية فنانا مرهف الاحساس يحب الموسيقى ويعزف على بعض الاتنا ويحضر حفلاتها ، بل كان يدير جمعية الزهر القسنطيني للموسيقى والتمثيل .. وقد جاء في احد تقاريرها الادبية انها تأسست سنة ١٩٤٨ وان المؤسسين لها لم يتجاوزوا عدد اصابع اليد ولكنهم تعلقوا على جميع المرافق المشبقة حتى امكن للجمعية ان تحتل مكانة مرموقة في الوسط الفني وحصلت بجهود افرادها على سمعة طيبة وادت خدمات جليلة للفن (١) . ورغم ثورته على الواقع الادبي وعدم اقتناعه بقيمة الانتاج الفنية وشعوره بنقص التقدير وكثرة المشبطين فقد اعلن قبل اغتياله بشهر واحد عن مشروع ثقافي كبير (٢) لو اتيج له ان يخرج الى الوجود لادى به خدمة عظيمة للثقافة العربية في الجزائر الفقيرة الى المشاريع على الاطلاق ومشاريع النشر على الخصوص .. فاذا عرفنا انه شخص واقعي لا يؤمن بالتشجيع ولا بالوعود وانه يفعل مايقوله عرفنا انه كان جادا في مشروعه وانه قد هيا له الاسباب الكفيلة بانجاحه واخراجه الى الشمس والهواء لينافس به المشاريع الثقافية الكبيرة في البلاد العربية . ولكن الاستعمار ابى عليه ذلك وعجل بالقضاء عليه ، ونرجو ان يخيب ظنه في القضاء على شروعة الوطني .

كان حوحو يكره النقد ولا يحب النقد . يشكوه ويتأفف منهم وبراهم ثرنايين كالعجائز ، ومع ذلك كان يجاملهم ويتقي شرهم . يغمزهم احيانا في حواراته مع حماره الحكيم وقلما يهاجمهم بالصراحة . اشترك في نقد كتابه « مع حمار الحكيم » عبد الوهاب بن منصور ومحمد علي دبوو في البصائر ، ومولود الطيب في مجلة هنا الجزائر وقد كتب في جملة هؤلاء النقد .. ولكن حوحو في رده تخلص من كل واحد بطريقته الخاصة فقال عن ابن منصور انه لايزن اقواله بميزان دقيق . وقسال عن مولود الطيب انه مفوم بالفاظ السطحية والعمق وانه لايفرق بين تعريف الادب وتعريف النحو والفقه .. وكتب عني او اوحى الى من كتب عني انني مازلت لاعرف شيئا من النقد واني صدى لما اقرأ وادع . ولكنه لم يلبث ان جمعهم في شرحه واحدة في مقال عنوانه : « اه من هؤلاء النقد » (٣) .

وكان حوحو ناثرا على الادب المائع والاسلوب الركيك ، يدعو الى ادب عربي معكم البناء ، جزل العبارة .. وكان يقول اتنا لانرضي لادبنا ان يذهب به هؤلاء الادباء المصريون الذين لا يحسنون الا شقشقة ومفسغ الكلام ، وبلغ به الضيق منهم ان كتب عنهم مقالا بعنوان : الى اين تذهبون بالادب يافقايح الادب . هاجمهم فيه في اسلوبهم ، وحركتهم ، واواقهم وربط بين تخنت اسلوبهم الادبي وتخنت شخصياتهم .. ثم اورد نموذجا لما يسمونه ادبا الفه من عنده ، واخيرا هدهم فقال : اتنا بالمرصاد وسنقصي على بذوره قبل استفحالها ولا نقبل في شمالنا الافريقي الا ادبا عربيا مميذا ، اخذ من الماضي متانته ومن الحاضر سلاسته ، وليذهب الرصيد الفني والشعوري الفاره وفقايح الادب الى الجحيم » (٤) .

ويبدو ان رضا حوحو في ثورته على ادب « السوينق » كما يسميه لم

(١) البصائر ٢٤٤ سنة ١٩٥٣ .

(٢) البصائر ٣٥٢ سنة ١٩٥٦ وقد اختار للمشروع عنوان « حاضر الثقافة والادب في الجزائر » .

(٣) البصائر ٢٥٨ سنة ١٩٥٤ .

(٤) نماذج بشرية ص ٧٢ .

يكن يعني ادبياً معيناً ولا أسلوباً بذاته وإنما تناول ظاهرة كاملة .. وقد حاولت أن أجد هذه الظاهرة في أدبنا العربي بالجزائر ولكني لم أعثر على ما يبرر هذا الهجوم .. فالدراسة الأدبية السائدة قبل الثورة هي ما يمكن أن نسميه مدرسة البصائر أو هي المرحلة الثالثة من تقسيمنا السابق للنثر .. وهي مدرسة محافظة على أسلوبها العربي الرزين محتفية بدبائجها ، وبيانها ولم يكن حوحو إلا أبرز الأدباء المنتجين في هذه الفترة . أما من ناحية الأسلوب فإننا نجد أحمد بن ذياب مثلاً أجمل منه لفظاً وأحلى عبارة .. ونجد عبد الوهاب بن منصور يعتني بالأسلوب القديم حتى لقد كان يسجع في كثير من الأحيان ويكثر من الترادف والتضمنين .

وهناك ملاحظة جديرة بالتسجيل هنا ، وهي أن حوحو قد كتب عدة مقالات نقدية لشخصيات جزائرية تحت عنوان « في الميزان » نشرها في الأعوام الأخيرة وكان يمكن أن نعد هذه المقالات وغيرها من آثاره الأدبية أكبر مساهمة منه في تطوير حركة النقد الأدبي بالجزائر .. لولا ما في أحكامه من تسرع وارتجال .. ولولا أنها كانت تعرض أشخاصاً لا آثاراً أدبية تخضع لمقاييس النقد وتطبيق نظرياته ..

ثالثاً : ميزات فنّه . هذا هو دور حوحو الأدبي والفني فما هي ميزات أدبه وفنّه وما خصائص أسلوبه وإثاره ؟

لفت نظري في أدب حوحو ظاهرتان هامتان : الأولى السخرية والثانية براعة الحوار .. فالسخرية ظاهرة شائعة في جميع آثاره حتى الجاد منها .. يلتجئ إليها للتعبير عن خلجات نفسه وأرائه في شؤون الحياة .. وليس غريباً أن يعمد حوحو إلى هذا الأسلوب من الكتابة في مجتمع كالمجتمع الجزائري تسوده تقاليد معينة في المرأة ورجال الدين واستخدام وسائل الحضارة الحديثة .. وتحكمه سياسة معينة قائمة على العنف والإرهاب في كل شيء .. وعندي أن حوحو لو امتحن الرسم لكان أبرع الرسامين في فن الكاريكاتير بالذات ، والرسم كما يقدم اليك شخصية حية لها أبعادها ومفهومها قد يقدم اليك فكرة أو نظرية أو موضوعاً أو منظرًا .. وكلها رسوم لها دلالتها في التأثير والتشويق أو الدعاية والنقد ..

وقد قدم لنا حوحو عدة شخصيات انتزعها من صميم المجتمع الجزائري فيها الشيخ الذي يتاجر بالدين ويتناقض بعمته وسبخته بينما يرتكب الفواحش والانام . وفيها النائب الذي اشترى أصوات الناخبين ثم جلس على الكرسي المذهب وعلى صدره نياشين المستعمر وليس يملك إلا حركة رأسه علامة للتأييد والموافقة على جميع القرارات حتى ولو كان فيها زيادة القيود والنكبات على شعبه .. وفيها الفتاة التي تعاني كبت المجتمع ثم تقع في حبائل الشباب الذي يسلبها شرفها ويلفظها طريدة لا تفكر إلا في الانتحار . وهناك إلى جانب الشخصيات النظريات والأفكار الأدبية والاجتماعية والسياسية .. ولكن المهم في السخرية ليس الشخصيات ولا الأفكار ولكن طريقة العرض أو التقديم . فكيف يعرض حوحو وكيف يقدم .. يبدأ في رسم الخطوط العامة للشخص الذي يتحدث عنه : أكتافه .. وجهه .. عيناه .. قامته .. ثم ينتقل إلى الميزات الدقيقة كعادته وطبعه ، وأخيراً يتحدث عن أفكاره وأرائه ...

وقد سلك طريقة الرسم الساخر أو الكاريكاتيري حتى مع الأشخاص الواقعيين الذين قدمهم في ميزانه .. إذ يسوق لكل منهم جملة عامة تلخص سيرته وذوقه وأسلوبه وملامحه ، تماماً كما يفعل الرسامون حين يضعون تحت رسوماتهم عبارة تفسر الحركة أو تجعل الموقف أو تشير إلى هدف الصورة (1) .

هذه هي ظاهرة السخرية التي سادت أدب حوحو وهي ظاهرة جديرة بعناية أكبر وحسبي هنا أن ألفت إليها الأنظار ..

أما ظاهرة الحوار فهي كذلك من أبرز ما امتازت به أعماله الأدبية ،

(1) ليس في استطاعة هذا التلخيص أن يورد النماذج لكل فكرة يسوقها . على أنه يمكن الرجوع إلى مكتبته حوحو في « مع حمار الحكيم » و « نماذج بشرية » ومقالاته في البصائر مجموعة 1955 .

وقد برع فيه لدرجة كبيرة لم أعرف أدبياً جزائرياً وصل إلى مستواه فيه .. استخدم حوحو الحوار في القصة والمسرحية وفي الموضوعات المختلفة .. وكان حوارهم يمتاز بالسرعة والجدة .. والنكتة مما جعله خفيفاً على الأذن قريباً إلى القلب .. وقد ساعدته شخصية الحمار الذي أجرى على لسانه مناقشات كثيرة للمشاكل الاجتماعية والوطنية - ساعدته هذه الشخصية على طرافة الحوار .. وخفته ..

وهناك عدة ظواهر أخرى تسود أدب حوحو ولكن أغلبها ثانوي إذا قيس بالظاهرتين السابقتين . ولن نكون متحاملين إذا قلنا أن باع حوحو في اللغة العربية لم يكن طويلاً ولكن ثقافته الفرنسية ، وإطلاعه الواسع ، وروحه المرفهة ، وأحاساسه بمسؤولية الأديب الملتزم .. كل ذلك جعلته شخصية متميزة في الأدب الجزائري الحديث ..

وبعد : فإن لحوحو جوانب كثيرة تفتقر إلى الدرس والعناية .. وله شخصية فذة جديرة بالإطلاع والتحديد .. وله آثار أدبية أخرى كان يعد بانجازها وأخرجها وليس يكفيه بحث يلقي في ساعة من الزمن ثم ينسى وتنسى معه آثاره .

وقد نال حوحو شرف الجهاد في سبيل ترميم الجزائر والسمو بأدبها إلى مصاف الأدب العربي الحديث ، كما نال شرف الاستشهاد في سبيل القضية التي ناضل من أجلها بأدبه وأعصابه وقلمه ، وإن الوفاء له يقتضي أن نعمل على جمع آثاره وطبعها من جديد ، وأن نبعث مشروعاً الثقافي الكبير ونحاول تحقيقه .. وبذلك نكون قد اعترفنا له ببعض الفضل ، وخدمنا حركة الأدب العربي في الجزائر التي هي جزء هام من القضية الوطنية الكبرى .

أبو القاسم سعد الله

دار الثقافة

تقدم :

في الأدب المسرحي من العصور القديمة والوطنية

الدكتور محمد كدكايل حسين

ابن الرومي المستشرق : روفن جست

ترجمة وتحقيق الدكتور حسين نصار

قصّة قلب (ديوان شعر) أحمد محجوب

مقالات في النقد الأدبي محمود السمرّة

أولاد جرجية (ديوان شعر) إلياس فاضل

أسرار الفضاء ترجمة عاطف كرم

لنسكن هذا الوادي ترجمة بولص الشرتوني

عامان (قصّة كبرى) الدكتور جوج حنا

فتاة الجيسة ترجمة فوزي قنلاوي

تطلب هذه المطبوعات وسواها من الناشر

دار الثقافة ص.ب. ٥٤٣

تحت إشراف



كانت الكارثة قد حلت بهم جميعا لانهم جميعا فقراء . وفي كل يوم ، كان « دارو » يوزع جراية على الصغار . انهم يحتاجون اليها ، وهو يعلم ذلك جيدا ، في الايام السيئة . ولعل احد الاباء او الاخوة الكبار سيأتي هذا المساء فيستطيع ان يموتهم بالحبوب . كان يجب ان يستمر الحصاد حتى الحصول القادم ، هذا كل شيء . ان سفنا محملة بالقمح تصل الان من فرنسا ، واعصب ايام الكارثة قد مضت . ولكن سيكون من الصعب نسيان هذا الشتاء ، هذا الجيش من الاشباح المشحبة بالاسمال والتسكة في الشمس ، والهضاب التي تتلظى شهرا بعد شهر ، والارض التي تتقوقع شيئا فشيئا ، والصخور التي بعد ان شويت حقا تتفجر غبارا تحت الاقدام . وكانت الاف الخراف وبضعة بشر يموتون آنذاك هنا وهناك ، دون ان تمكن معرفة ذلك دوما . وامام هذا الشتاء ، احس ، هو الذي كان يعيش كراهب تقريبا في مدرسته الضائعة ، قانما اصلا بالقليل الذي لديه ، وبذلك الحياة الشظفة ، احس بانه سيد ، بجدران الجصصة ، واريكنه الضيقة ، ورفوفه الخشبية البيضاء ، وبثره ، وتمونه الاسبوعي بالماء والطعام . وفجأة ، جاء ذلك الثلج ، دون انذار ، دون انفراج المطر . لقد كان البلد هكذا ، شظف العيش ، حتى بدون البشر الذين ، مع ذلك ، لم يكونوا ليسوا شيئا . ولكن « دارو » قد ولد فيه . وهو سيحس بنفسه منيا في اي مكان آخر .

وخرج وتقدم على الباحة امام المدرسة . كان الرجلان قد بلغا الان نصف المنحدر . وتعرف في شخص الفارس ، الى « بالدوشي » الدركي العجوز الذي يعرفه منذ زمن بعيد . كان « بالدوشي » يمسك بطرف جبل ، عربيا يتقدم وراه ، موقئ الدين ، محني الجهة . و اشار الدركي بيده مسلما لكن دارو لم يرد التحية ، اذ كان مشغولا بكليته في النظر الى العربي الذي يرتدي « جلابة » كانت زرقاء في الماضي ، والى قمعيه المتعلتين ، ولكن المكسوتين بجوربين من صوف الغز الفليظ ، والى رأسه المتلفع بمنديل ضيق وقصير . كانا يقتربان و « بالدوشي » يقود الحصان على مهل كي لا يجرح العربي ، والثلاثة يتقدمون ببطء .

وصرخ « بالدوشي » عندما اقترب الى حد يمكن معه سماع صوته : « ساعة كاملة لنسير الكيلومترات الثلاثة بين « العمسور وهنا ! » . ولم يجب « دارو » . كان ينظر اليهما يصعدان ، وقد بدا قصيرا ومربعا في كتزته السمكية . لم يرفع العربي رأسه ، ولا مرة واحدة . وقال « دارو » عندما انتهى الى الباحة : « مرحبا . ادخلا لتتدفأ » . ونزل « بالدوشي » بصعوبة عن دابته ، دون ان يترك الحبل . وابتسم للمعلم تحت شاربيه الزبرئين . كانت عيناه الصغيرتان القاتمتان ، والفأترتان كثيرا تحت الجبين الاسمر ، وفمه المحاط بالفضون ، تجعله يبدو منتبها ومجتهدا . واخذ « دارو » الزمام ، وقاد الدابة نحو البناء الملحق ، ثم عاد نحو الرجلين اللذين كانا ينتظرانه الان في المدرسة . وادخلهما الى غرفته . وقال « سادفي » غرفة الصف . وبذلك سنستريح اكثر » . وعندما دخل من جديد الى

كان المعلم ينظر الى الرجلين وهما يصعدان نحوه . احدهما على الحصان ، والاخر على قدميه . لم يكونا قد بلغا بعد الدرب الصغير السريع الانحدار الذي يؤدي الى المدرسة ، البنية عند سفح تل . كانا يسيران مجهدين ، ويتقدمان ببطء في الثلج ، بين الحجارة ، على المدى التاسع للهضبة العالية المقفرة . ومن حين الى حين كان الحصان يكمو بشكل ظاهر . لم يكن صوته ليسمع بعد ، ولكن كان يمكن رؤية نفحة البخار التي تخرج عند ذاك من منخره . وكان احد الرجلين ، على الاقل ، يعرف المنطقة . كانا يتقدمان في الطريق التي اختفت منذ بضعة ايام تحت طبقة بيضاء وقنرة . وحسب المعلم انهما لن يصلا الى التل قبل نصف ساعة . كان الطقس باردا ، فدخل الى المدرسة ليأتي بكنزة .

وعبر قاعة الصف ، الخاوية والباردة . على اللوح الاسود كانت انهار فرنسا الاربعة ، الرسومة بأربعة ألوان مختلفة من الحكك ، تجري نحو مصبها منذ ثلاثة ايام . لقد سقط الثلج بعنف في منتصف تشرين الاول ، بعد ثمانية شهور من الجفاف ، بدون ان يهطل المطر كفترة انتقال ، والعشرون تلميذا الذين يسكنون في القرى المتناثرة على الهضبة انقطعوا عن الدوام . لا بد من انتظار الطقس الجميل . و « دارو » لا يشعل الان النار الا في الغرفة الوحيدة التي يتكون منها مسكنه ، والمتصلة بالصف ، والمظلة ايضا على الهضبة من الشرق . كما ان نافذة اخرى ، كسائر نوافذ الصف ، تطل على الجنوب . ومن هذه الجهة ، كانت المدرسة تقع على بعد عدة كيلومترات من المكان الذي تبدأ فيه الهضبة بالانحدار نحو الجنوب . وفي ايام الصحو ، يمكن ان تلمح كتل السلسلة الجبلية البنفسجية حيث ينفثح باب الصحراء .

وبعد ان تدفأ « دارو » قليلا ، عاد الى النافذة التي لمح منها لأول مرة ، الرجلين . انهما لا يبدوان الان . لقد بلغا اذن السدرب المنحدر . كانت السماء اقل ظلمة ، وقد كف الثلج اثناء الليل عن السقوط . وكان الصباح قد اشرق على ضوء كسدر لم يستطع ان يثبت نفسه الا بمقدار ما كانت الغيوم ترتفع . لم يكن ممكنا ان يقال ان النهار قد بدأ حقا ، الا بعد الساعة الثانية من بعد الظهر . ولكن هذا افضل من تلك الايام الثلاثة التي كان فيها الثلج الكثيف يتساقط وسط الظلمات اللامتظمة ، مع تحولات مفاجئة في اتجاه الرياح التي كانت ترج باب الصف المزدوج . وقد امضى « دارو » آنذاك ساعات طويلة في غرفته التي لم يكن ليخرج منها الا لينهب الى البناء الصغير الملحق ، ليعتني بالدجاجات ، وليرف من مؤونة الفحم . ولحسن الحظ ، كانت شاحنة « طاجد » ، وهي اقرب قرية في الشمال ، قد جاءت بالمؤونة قبل يومين من العاصفة . وستعود بعد ثمان واربعين ساعة .

ان لديه ، بالاصل ، ما يستطيع ان يواجه به حصارا ، بأكياس الحنطة الملقية في الغرفة الصغيرة والتي تتركها الادارة له كاحتياطي ليوزعها على من سقط من اهالي تلاميذه ضحية للجفاف . وفي الواقع ،

ينظر اليه يفعل ذلك ، بعينه المحموتين ، دون ان يقول شيئا . ولما تحررت يده ، فرك بهما معصيه المتفخين ، وتناول كأس الشاي واهتسى السائل المحرق بجرجعات صغيرة سريعة .
وقال « دارو » : « طيب . وهكذا ، الى اين تذهبان ؟ »
وسحب « بالدوشي » شاربيه من الشاي وقال : « هنا ، يا بنسي » .

— يا للتلاميذين المضحكين ! هل ستنامان هنا ؟
— كلا . سأعود الى « العمور » . وانت ، ستسلم الرفيق في « تانفيت » . انهم ينتظرونه في الدائرة المختلطة .
كان « بالدوشي » ينظر الى « دارو » بابتسامة ودية صغيرة . وقال المعلم :

— ما هذا الذي تقوله ، أنسخر بي ؟
— كلا ، يا بني . انها الاوامر .
— « الاوامر ؟ انني لست ... » وتردد « دارو » ، فهو لا يريد ان يجرح شعور الكورسيكي المجوز . « اخيرا ، انها ليست مهنتي » .
— ايه ! ماذا يعني هذا ؟ في الحرب ، يقوم الانسان بجميع المهن .
— اذن ، سأنتظر اعلان الحرب !

ووافق « بالدوشي » بهز رأسه ، وقال : « حسنا . ولكن الاوامر موجودة ، وهي تتعلق بك ايضا . ان الامور تتحرك ، على ما يبدو . انهم يتحدثون عن تمرد قريب . اننا مستنفرون ، الى حد ما »
وظل « دارو » محتفظا بمظهره العنيد . وقال « بالدوشي » :
اسمع يا بني . انني احبك كثيرا ، يجب ان تفهم . اننا اثنا عشر رجلا في « العمور » لنقوم بأعمال الداورية في اراضي ولاية صغيرة ، ويجب ان اعود . قالوا لي ان اسلمك هذا الشخص وان اعود دون تأخر . لا يمكننا الاحتفاظ به هناك . ان قريبته تضطرب ، وهم يريدون ان يستردوه . يجب ان تأخذه الى « تانفيت » نهار غد . ان عشرين كيلومترا لا تخيف شجاعا مثلك . وبعد ذلك ، سينتهي الامر . ستعود الى تلاميذك والحياة الرغدة » .

وراء الجدار ، سمع الحصان وهو يصهل خوفا ويضرب بحافره . ونظر « دارو » من النافذة . كان الطقس قد اشرق بوضوح ، وامتد النور الى كل الهضبة الثلجية . عندما سيذوب الثلج كله ، ستسود الشمس من جديد وتحرق مرة اخرى حقول الحجارة . وستظل السماء التي لا تتبدل ، خلال بضعة ايام ، ايضا ، تصب نورها الجاف على المدى المتعزل حيث لا شيء يذكر بالانسان .

وقال وهو يلتفت الى « بالدوشي » : « اخيرا ، ما الذي فعله ؟ » . ثم سأل قيل ان يفتح الدركي فاه : « أتتكم الفرنسية ؟ »
— كلا ، ولا كلمة . كنا نبحث عنه منذ شهر ، ولكنهم كسانوا يخبئونه . لقد قتل ابن عمه .
— أهو ضدنا ؟

— لا اعتقد . ولكن لا يمكن معرفة ذلك ابدا .
— لماذا قتل ؟

— مسائل عائلية ، على ما اعتقد . كان احدهما مدينا للاخر بحبوب ، على ما يبدو . المسألة ليست واضحة . اخيرا ، باختصار ، لقد قتل ابن العم بضربة منجل . أتعرف ، مثل خروف ، ذك !..
وتظاهر « بالدوشي » بأنه يمر شفرة على حنجرتة ، وراح العربي ، الذي انجذب انتباهه ، ينظر اليه بنوع من القلق . وتملك « دارو » غضب مفاجئ ضد هذا الرجل ، ضد جميع الرجال وخبائهم القنرة ، واحفادهم التي لا تكل ، وجنونهم الدموي .

ولكن الغلاة كانت تفني على المدفاة . وقدم من جديد الشاي لبالدوشي ، وتردد ، ثم قدم ايضا للعربي الذي شرب ، مرة اخرى ، بشراهة . وكشفت ذراعاه المرفوعتان عن « الجلاية » ولح المعلم صدره النحيف البارزة عضلاته .

وقال « بالدوشي » : « شكرا ، ايها الصغير . والان سأذهب » . ونهض واتجه نحو العربي ، وهو يسحب جبلا صغيرا من جيبيه .

الغرفة ، كان « بالدوشي » على الاربكة . لقد فك الحبل الذي يربطه بالعربي ، فجلس هذا الاخير امام المدفاة . وكان ينظر ويده لا تزالان موثقتين ، ومندبل رأسه قد دفع الى الوراء ، نحو النافذة . ولم ير « دارو » في البدء سوى شفتيه الفليظتين ، المليئتين ، المستيتين ، السوداوين تقريبا ، ولكن انفه كان مستقيما ، وعيناه قانمتين ، مليئتين بالحصى . وكان المندبل يتكشف عن هيئة غيبدة ، وتحت الجلد المشوي مرارا وتكرارا ، الذي فقد لونه قليلا بسبب البرد ، كان وجهه يبدو قلقا ومتمردا في آن واحد ، مما اذهل « دارو » عندما ادار العربي وجهه نحوه وحقق في عينيه . وقسمال المعلم : « هيا السي الغرفة الاخرى ، ساعد لكما شايا بالنعنع » . فقال « بالدوشي » : « شكرا . يا للسخرة ! ليات التقاعد بسرعة » . ثم اضاف موجها كلامه بالعربية الى سجينه : « تعال ، انت » . ونهض العربي ، وانتقل ببطء ، مادا يديه الموثقتين امامه ، الى المدرسة .

وحمل « دارو » مع الشاي مقعدا . ولكن « بالدوشي » كان قد تربع على اول طاولة للتلاميذ ، بينما جلس العربي على محفة طاولة المعلم ، تجاه المدفاة الكائنة بين الكتب والنافذة . وتردد « دارو » عندما مد بكأس الشاي الى السجين ، امام يديه الموثقتين ، وقال : « لعل بالامكان اطلاق يديه » . فاجاب « بالدوشي » : « بالتاكيد . كان ذلك من اجل الرحلة » . ونهيا للقيام . ولكن « دارو » وضع الكأس على الارض ، وركع قرب العربي . كان هذا

دار الروائع بيروت تقدم
رائعة مكسيم غوركي
الطيردوت
نقل إلى العربية : الأديب الكبير
جوج جرداق
كما تقدم الكتاب المتمع الطريف :
قصص وآواخ
مناصرة الحياة الأميركية بأفلام هنري تروايا
الفرنسي ، رماك نرين الأمريكي ، وجوج جرداق
اقرأ في هذا الكتاب :
نبات القلوب
نبات الليلك
النبات النكسي
مهاجرة الصحافة
مهاجرة الديانة
مهاجرة الامانة
اكواخ الزنوج
الخ ...
دار الروائع - بيروت - ص ٤٧٥

وَحَنَقَ الثَّلَجَ وَقَعَ خَطَاهُ . واضطرب الحصان وراء الحاجز ، وخافت الدجاجات . وبعد قليل ، مر « بالدوشي » امام النافذة من جديد وهو يسحب الحصان من الزمام . كان يتقدم نحو الدرب المنحدر دون ان يلتفت ، واختفى اولا ثم تبعه الحصان . وسمع صوت حجرة ضخمة تتدحرج برخاوة . وعاد « دارو » نحو السجين الذي لسم يتحرك ، ولكن الذي ظلت عيناه لا تفارقانه . وقال المعلم بالعربية : « انتظر » واتجه نحو انفرقة . وفي اللحظة التي بلغ فيها العتبة ، بدل رأيه ، وذهب الى المكتب واخذ المسدس ووضعه في جيبه . ثم ، دون ان يلتفت ، دخل الى غرفته .

وظل ، فترة طويلة ، مستلقيا على الاركة ينظر الى السماء وهي تنطلق شيئا فشيئا ، ويصفي الى الصمت . ان هذا الصمت هو الذي بدا له صعبا في الايام الاولى لوصوله ، بعد الحرب . لقد طلب مركزا في المدينة الصغيرة التي عند سفح السلسلة الجبلية الصغيرة التي تفصل الصحراء عن الهضاب العالية . هناك ، تنتصب جدران صخرية ، خضراء وسوداء في الشمال ، وردية وبنفسجية في الجنوب ، كحدود للصف الابدي . لكنهم عينوه في مركز ابعد شمالا ، على الهضبة نفسها . وفي البدء ، بدت له العزلة والصمت قاسيين فوق هذه الاراضي القاحلة ، التي لا تسكنها الا الحجارة فقط . واحيانا ، توحى بعض الاخايد بان الارض قد حرثت ، ولكنها انما حفرت ليستخرج منها نوع من الحجارة ، مناسب للبناء . انهم لا يحرقون هنا الا ليحصلوا الحصى . واحيانا اخرى ، تستخرج بعض الاتربة ، المتجمعة في الحفر ، لتسمد بها بساتين القرى الهزيلة . هكذا هي الحال ، فالحصى وحده يغطي ثلاثة ارباع المنطقة . كانت المدن تلد فيها ، وتلمع ثم تختفي ، ويمر البشر عبرها فيتحابون او يتنافسون ، ثم يموتون . وفي هذه الصحراء ، لم يكن لاي شخص ، ولا له او لضيافته ، اية قيمة . ومع ذلك ، خارجا عن هذه الصحراء ،

وسأله « دارو » بجفاء :

— ما الذي تفعل ؟

فأراه « بالدوشي » الحبل وقد تملكه الذهول .

— ليس ثمة داع لذلك .

وتردد الدركي العجوز :

— كما تريد . بالطبع ، انك مسلح ؟

— عندي بندقية صيدي .

— اين ؟

— في الحقيبة .

— يجب ان تكون قرب سريرك .

— لماذا ؟ ليس ثمة ما اخشاه .

— انك مجنون ، يا بني . اذا تمردوا ، فلن يوفروا انسانا ،

سنواجه جميعا نفس المصير .

— سأدافع عن نفسي . لدي من الوقت ما يكفي لرؤيتهم

وهم قادمون .

واخذ « بالدوشي » يضحك ، ثم جاء شاربه فجأة ليفظي من

جديد اسنانه التي لا تزال بيضاء .

« لديك وقت ؟ حسنا . هذا ما كنت أقوله . لقد كنت دوما

ساذجا قليلا . ومن اجل هذا احبك كثيرا ، فابني كان هكذا » .

وسحب في الوقت نفسه مسدسه ووضعه على المكتب .

« احتفظ به ، فليس بي حاجة الى سلاحين من هنا حتى

« العمور » .

ولع المسدس فوق دهان الطاولة الاسود . وعندما التفت الدركي

نحوه ، أحس المعلم برائحة الجلد والحصان تفوح منه . وقال « دارو »

فجأة : « اسمع يا بالدوشي ، كل هذا يشير اشمزازي ، ورجلك قبل

غيره . ولكنني لن اسلمه . سأقاتل ، نعم ، اذا اقتضى الامر . ولكن

ليس هذا » .

كان الرجل العجوز يقف امامه ناظرا اليه بقسوة . وقال ببطء :

« انك ترتكب حماقات . انا ايضا لا احب ذلك . ان تربط انسانا

بحبل ، فانك لن تستطيع التعود على ذلك ، على الرغم من السنين ،

بل وتشعر بخجل ، نعم . ولكننا لا نستطيع ان نتركهم يفعلون » .

فكرر « دارو » قوله :

— لن اسلمه .

— انه امر ، يا بني . اكرر عليك ذلك .

— ذاك هو . كرر عليهم ما اقوله لك : لن اسلمه .

وقام « بالدوشي » بجهد واضح ليفكر . ونظر الى العربي

و « دارو » . واخيرا قرر :

— كلا . لن اقول لهم شيئا . اذا كنت تريد ان تتخلى عننا ،

فلك ذلك ، ولن اخبر عنك . لدي امر بتسليم السجين ، وانا افعل

ذلك . ستوقع الان لي على الاوراق .

— هذا لا يجدي . لن انفي انك تركته لي .

— لا تكن خبيثا معي . اعرف انك ستقول الحقيقة . انك من

هنا ، انك رجل . ولكن يجب ان توقع ، تلك هي القاعدة .

وفتح « دارو » درجه ، واخرج دواة صغيرة مربعة من الجبر

البنفسجي ، وحاملة الريشة الخشبية الحمراء ، مع ريشة

« سرجان - مايجور » التي يستخدمها في تخطيط نماذج الكتابة

ووقع . وطوى الدركي الورقة بعناية ووضعا في محفظته . ثم

اتجه نحو الباب . فقال « دارو » :

— سأرافك .

فقال « بالدوشي » :

— كلا . ليس ثمة داع لان تكون مهذبا . لقد اشعرتني بالعار .

ونظر الى العربي ، الذي لم يبرح مكانه ، واستنشق من انفيه

بحزن ، وتحول نحو الباب وقال : « الوداع ، يا بني » . وانطلق

الباب بشدة وراءه . وبان « بالدوشي » امام النافذة ثم اختفى .

دار الثقافة بيروت تقدم :

العقل المنطلق

تأليف هاري وبوناردو اوستريت

ترجمة : عبد الحميد ياسين

٥٢٥ صفحة من القطع المتوسط ٥٠٠ ق.ل او ما يعادلها

تلفون ٣٠٥٦١ - بيروت

يطلب من الناشر دار الثقافة ص.ب. ٥٤٣

وعموم المكتبات

لا يستطيعان ، لا الاول ولا الثاني ، و « دارو » يعلم ذلك ، ان يعيشا حقاً .

عندما نهض ، لم يكن يصدر اي صوت من قاعة الصف . ودهش لهذا الفرع الصريح الذي يملكه بمجرد ان يفكر بان العربي قد استطاع ان يهرب وبانه سيعود من جديد الى عزلته دون ان يضطر الى اتخاذ قرار ما . ولكن السجين كان هناك . لقد رقد فقط بكل طوله بين المدفأة والمكتب . كان ينظر ، مفتوح العينين ، الى السقف . ولم يكن يرى منه ، في هذا الوضع ، سوى شفثيه الفليطتين اللتين تجملان بهندو حردا . وقال « دارو » : « تعال » . ونهض العربي وتبعه . وفي الغرفة ، اراه المعلم كرسيه قرب الطاولة ، تحت النافذة . واتخذ العربي مكانه عليه دون ان يكف عن النظر الى « دارو » .

— آنت جائع ؟

فاجاب السجين :

— نعم .

ووضع « دارو » ادوات المائدة لشخصين . واخذ طحينسا وزيتا ، وعجنهما في الاناء ليصنع منهما كعكا واشعل فرن البوتاغاز الصغير . وبينما كان الكعك يقلى خرج لياقي بجسين وبيض وتممر ولبن مصفى من البناء الملحق . وعندما نضج الكعك ، وضعه على حافة النافذة ليبرد ، وسخن قليلا من اللبن المصفى الممدد بالماء ، ثم ، في النهاية ، فقا بيضا فوقه . وفي احدى حركاته ، صدم المسدس الملقى في جيبه الايمن . ووضع الاناء ودخل الى قساعة الصف ، والقى بالمسدس في درج مكتبه . وعندما عاد الى الغرفة ، كان الليل قد ارخى سدوله . واشعل الضوء وقدم الطعام للعربي قائلا : « كل » . فتناول هذا قطعة من الكعك ، وحملها بسرعة الى فمه وتوقف .

ثم قال :

— وانت ؟

— بعدك . ساكل ايضا .
وانفتحت الشفتان الفليطتان قليلا ، وتردد العربي ، ثم عض بحزم على الكعكة .
وعندما انتهى العشاء ، عاد العربي ينظر الى المعلم .
— آنت هو القاضي ؟
— كلا ، سأحتفظ بك حتى الفد .
— لماذا تأكل معي ؟
— انني جائع .

وصمت الاخر . ونهض « دارو » وخرج . وعاد بسرير للمخيمات من البناء الملحق ، ومده بين الطاولة والمائدة ، عموديا على سريره الخاص . ومن حقيبة كبيرة ، ملقاة في احدى الزوايا ، كان يستعملها كرف للسجلات ، اخرج غطاءين وضعهما على سرير المخيمات . ثم توقف ، وأحس بأنه بلا عمل ، وجلس على فراشه . لم يكن هناك ما يعمل او يعد . لا بد من النظر الى هذا الرجل . فنظر اليه اذن ، محاولا ان يتصور هذا الوجه وقد اثاره الحق . ولم يستطع ذلك . كان يرى فقط النظرة القائمة والمتألقة في آن واحد ، والفم الحيواني . وقال بصوت فاجاه لما فيه من كراهية : « لماذا قتلته ؟ »

وغض العربي نظره .

— لقد هرب . فركضت وراءه .

ورفع عينيه الى « دارو » وكانتا مليئتين بنوع من الاستفهام التعيس .

— والان ، ماذا سنعمل ؟

— آنت خائف ؟

وتصلب الاخر ، وهو يفض نظره .

— آنت نادم ؟

ونظر اليه العربي ، فاغر الفم . كان من الواضح انه لم يفهم . وتملك الفيظ « دارو » . وفي الوقت نفسه ، أحس بنفسه اخرق ، مضطوبا في جسده الضخم ، محصورا بين السريرين . وقال وقد فقد صبره :

— ارقد . هذا سريرك .

ولم يتحرك العربي . ونادى « دارو » :

— قل !

— أسيعود الدركي غدا ؟

— لست أدري .

— ستأتي معنا ؟

— لست أدري . لماذا ؟

ونهض السجين ، ثم تمدد على الغطاءين ، وقدماه باتجاه النافذة . كان نور الصباح الكهربائي يسقط مستقيما على عينيه اللتين سرعان ما أغلقهما .

وكرر « دارو » ، وهو منتصب امام السرير :

— لماذا ؟

وفتح العربي عينيه تحت النور المبهز ونظر اليه محاولا ألا يرف جفناه . وقال :

— تعال معنا .

عند منتصف الليل ، لم يكن « دارو » قد نام بعد . وجلس على السرير بعد ان خلع ثيابه كلها ، فهو ينام عاريا عادة . ولكنه لما وجد نفسه دون ثياب في الغرفة ، تردد . وأحس بنفسه بأنه يمكن ان يصاب بسوء ، وود لو يرتدي ثيابه ثانية . ثم هز كتفيه ، فهو قد رأى آخرين من أمثاله ، واذا اقتضى الامر ، فسيشطر خصمه شطريين . ومن سريره ، كان يستطيع ان يرقبه ، ممددا على ظهره ، ساكنا دوما وعيناه مفلقتان تحت النور البنفسجي . وعندما أطفأ « دارو » الضوء ، بدت الظلمات وكأنها قد تخرت فجأة . وشيئا فشيئا ، عاد الليل حيا عند النافذة حيث كانت السماء تتحرك ، دون نجوم ، بهدوء . وسرعان ما ميز المعلم الجسد الممدد امامه . كان العربي لا يزال بلا حراك ، ولكن عينيه كانتا تبدان مفتوحتين . وكان ثمة

مكتبة انطوان

فرع شارع الامير بشير

ص.ب ٦٥٦ - تلفون ٢٧٦٨٣

ادب العرب

مارون عبود

اميل خوري وعادل اسماعيل السياسة الدولية في الشرق العربي (ج ٣)

الير نادر

ابن سينا والتفس البشرية

بشاره الخوري

حقائق لبنانية

يوسف يزبك

ولي من لبنان

حروب العصيان والثورات

تعريب جورج مصروعه

لا تطفيء الشمس

احسان عبد القدوس

لبنان ان حكى

سعيد عقل

الجدلية

سعيد عقل

خلاص العالم

تبيور ماند

لبنان بلد المحبة والاخاء

شاكر عمار

ريح خفيفة تجول حول المدرسة . ولعلها ستطرد الغيوم فتعود الشمس .

وتعاطمت الريح ، اثناء الليل . واضطربت الدجاجات فليلا ثم سكنت . واستندار العربي على جانبه ، مديرا ظهره لدارو ، وخيل لهذا انه سمعه يشن . ثم راقب تنفسه الذي اصبح اقوى واكثر انتظاما . كان يصفي الى هذه الانفاس القريبة جدا ويعلم دون ان يستطيع النوم . وفي الغرفة التي ينام فيها منذ عام ، كان هذا الحضور يزعجه . ولكنه كان يزعجه ايضا لانه يفرض عليه نوعا من الاخاء يرفضه في الظروف الحاضرة التي يعرفها جيدا : فالرجال الذين يتقاسمون نفس الغرف ، سواء كانوا جنودا ام سجناء ، يفتقون بينهم رابطة غريبة وكانهم ، بعد ان نزعوا اسلحتهم الى جانب ثيابهم ، ينضمون كل مساء ، متجاوزين الفروق بينهم ، في مجتمع الحلم والتعب القديم . ولكن « دارو » نفث عنه هذه الافكار ، فهو لا يحب هذه الحماقات ، وعليه ان ينام .

ومع ذلك ، بعد فترة قصيرة ، عندما تحرك العربي بشكل لا يسمع ، كان المعلم لا يزال مستيقظا . وعند حركة العربي الثانية ، تصلب ، وقد استنفرت حواسه . كان العربي ينهض ببطء عاى ذراعيه ، بحركة الماشي في نومه تقريبا . وراح ينتظر ، جالسا على السرير ، بلا حركة ، دون ان يلفت رأسه نحو « دارو » ، وكأنه يصفي بكل انتباهه . ولم يتحرك « دارو » ، فقد فكر بأن المسلس ظل في درج مكتبه . من الافضل ان يتصرف بسرعة . ولكنه استمر في مراقبة السجين ، الذي ، بنفس الحركة المكتومة ، وضع قدميه على الارض ، ثم انتظر قليلا ، ثم اخذ ينتصب ببطء . وكاد « دارو » يدعوه ، عندما اخذ العربي يسير ، بخطوات طبيعية هذه المرة ، ولكنها مكتومة للغاية . كان يسير نحو الباب البعيد الذي يؤدي الى البناء الملحق . وأدار الزلاجل بحدو وخرج دافعا الباب وراءه ، دون ان يفلقه . ولم يتحرك « دارو » ، وقال في نفسه فقط : « انه يهرب . انه لتخلص جيد ! » . ومع ذلك اصاخ اذنيه . لم تكن الدجاجات تتحرك ، فلا بد ان الآخر اذن على الهضبة . وجاءه صوت ماء ضعيف لم يفهم معناه الا في اللحظة التي عبر العربي فيها الباب من جديد ، واغلقه بحدو ، ثم استلقى دون ان يحدث صوتا . عندئذ أدار « دارو » له ظهره ونام . وفيما بعد ، بدا له انه يسمع ايضا ، في اعماق نومه ، وقع اقدام هاربة حول المدرسة . وكرر في نفسه : « انني احلم ، احلم » . وظل غارقا في رقاده .

عندما استيقظ ، كانت السماء قد انقشعت ، ومن النافذة التي لم تغلق جيدا يدخل تيار بارد وصاف . كان العربي راقدًا ، متوقفا تحت الاغطية ، فاغر الفم ، مستسلما كليا . ولكن عندما هزه « دارو » ، ففز بشدة ، وهو ينظر الى دارو دون ان يعرفه بعينين مجنونتين . ويتعير خائف جدا الى حد ان المعلم تراجع خطوة الى الوراء . « لا تخف . انني انا . يجب ان تاكل » . وهز العربي رأسه وقال « نعم » . كان الهدوء قد عاد الى وجهه ، ولكن تعبيره ظل غائبا سسايها .

كانت القهوة معدة . واحتساها ، وهما جالسان على سرير الخيم ، يفضان على قطعتي الكعك . ثم اخذ « دارو » العربي الى البناء الملحق ودله على الحنفية حيث يقتسل . وعاد الى الغرفة ، وطوى الاغطية وسرير الخيم ، وسوى سريره الخاص واعاد النظام الى الغرفة . ثم خرج الى الباحة مارا بالمدرسة . كانت الشمس قد صعدت في السماء الزرقاء ، ونور حنون عتيق يفرق الهضبة المقفرة . وعلى الدرب المنحدر كان الثلج يذوب في بعض الامكنة . ان الحجارة ستظهر من جديد . وراح المعلم ، وهو جالس عند سفح الهضبة ، يتأمل المدى المقفر . كان يفكر ببالدوشي . لقد آله ، وصرفه ، بطريقة معينة ، وكأنه لا يريد ان يواجه معه المصير نفسه . كان لا

يزال اذن يسمع وداع الدري ، ودون ان يدري لماذا ، أحس بنفسه فارغا وقابلا لان يصاب بسوء ، الى حد غريب . وفي تلك اللحظة ، من جانب المدرسة الآخر ، سعل السجين . واصفى « دارو » اليه ، على مضض تقريبا ، ثم القى غاضبا ، بحصاة ازت في الهواء قبل ان تفوس في الثلج . ان جريمة هذا الرجل الحمقاء تشير تهرده ، ولكن تسليمه يخالف الشرف ، بل ان مجرد التفكير فيه يجعله مجنونا من النذل . ولعن معا مواطنيه الذين ارسلوا اليه هذا العربي وهذا الاخير الذي تجرأ على القتل ولم يعرف كيف يهرب . ونهض « دارو » واستدار على الباحة ، وانتظر ، ساكنا ، ثم دخل الى المدرسة .

كان العربي يقف منحنيا فوق اسمنت ارض البناء الملحق وهو يفسل اسنانه باصبعيه . ونظر اليه « دارو » ثم قال : « تعال » . وعاد الى الغرفة ، امام السجين . وليس رداء الصيد فوق كنزته واحتذى حذاء السير . ووقف منتظرا ان يضع العربي متدبل رأسه ونعليه . واجتازا المدرسة واثار المعلم الى رفيقه نحو المخرج . وقال : « اذهب » . ولم يتحرك الاخر . وقال « دارو » : « انني قادم » . وخرج العربي . وعاد « دارو » الى الغرفة وصنع رزمة من البسكويت ، والتمر والسكر . وفي قاعة الصف ، قبل ان يخرج ، تردد ثانية امام مكتبه ، ثم اجتاز عتبة المدرسة واغلق الباب . وقال : « من هنا » . وسار باتجاه الشرق ، يتبعه العربي . ولكن بعد مسافة قليلة من المدرسة ، خيل اليه انه سمع ضجة خفيفة وراءه . وعاد من حيث جاء . وفتش ضواحي المنزل ، لكنه لم يجد احدا . ونظر الى العربي وهو يفعل ذلك ، دون ان يبدو عليه انه فهم . وقال « دارو » : « هيا » .

وسارا ساعة ثم استراحا قرب نوع من قمة كلسية . كان الثلج يذوب اسرع فاسرع ، والشمس تفرق من المستنقعات ، وتنظف

دار الكشف

تقدم لنينا الصحافة والادب

صحافة ليبيا في نصف قرن

كتاب هام لمؤلف عربي مناضل غزير الانتاج يمتاز بالصراحة والجرأة في المعتركين : الادبي والسياسي !

يطلب من كافة المكتبات

صدر حديثاً

الحرية والطوفان

دراسات نقدية

بقلم
جبرا إبراهيم جبرا

ست عشرة دراسة في تقييم القصة والشعر والفن
اختارها المؤلف مما كتبه في السنين العشر الأخيرة ،
فجاءت سفراً له خطورته الكبرى في الحركة الأدبية
الحديثة في العالم العربي .

دار مجلة شعر

٥ ليرات لبنانية

٢٤٦ صفحة من القطع الكبير

صدر حديثاً

رسائل مؤرقة

أحدث ديوان

للشاعر العربي الكبير

سليمان العيسى

منشورات دار الاداب

بسرعة الهضبة ، التي عادت ، شيئاً فشيئاً ، جافة ترتعد كالهواء
نفسه . وعندما تابعا الطريق ، أخذت الأرض ترن تحت اقدامهما .
وبين الفينة والفينة ، يشق طائر امامهما المدى بصرخة فرحة . كان
« دارو » يتنشق ، بشهيق عميق ، النسيم الرطب . وتملكه نوع من
النشوة امام المدى الكبير المألوف ، الذي اصبح لونه اصفر تقريباً ،
تحت قبعته المصنوعة من السماء الزرقاء . ومشياً ساعة أخرى ، وهما
يهبطان نحو الجنوب . ووصلا الى ربوة مسطحة ، مليئة بالصخور
السريعة التفكك . ومن هذه الربوة ، كانت الهضبة تقود ، من الشرق ،
نحو سهل واطيء يمكن ان تلمح فيه بضعة شجرات ضئيلة ، ومن
الجنوب ، نحو تلال صخرية تجعل المشهد يبدو مضطرباً .

وتفحص « دارو » الاتجاهين . لم يكن هناك سوى الافق في
السماء ، وليس ثمة انسان . والتفت نحو العربي ، الذي كان ينظر
اليه دون ان يفهم . ومد « دارو » له الرزمة وقال : « خذ . فيها
تمر ، وخبز ، وسكر . انها تكفيك لمدة يومين . وهذه ايضا الف
فرنك » . واخذ العربي الصرة والنقود ، ولكنه احتفظ بيديه مليئين
على ارتفاع صدره ، كأنه لا يدري ماذا يفعل بما اخذه . وقال المعلم :
« انظر الان ، وأشار باتجاه الشرق ، هذا هو طريق تانفيت . امامك
ساعتان من السير . وفسي تانفيت الادارة والبوليس . وهم
ينتظرونك » . كان العربي ينظر نحو الشرق ، وهو لا يزال يشد على
صدره بالصرّة والنقود . واخذ « دارو » ذراعه ، وجعله يستدير ،
بدون لطف ، ربع دورة نحو الجنوب . وعند سفح المرتفع الذي كانا
عليه ، يمتد درب خفي تقريباً . « انها الطريق التي تعبر الهضبة .
بعد مسير يوم من هنا ستجد المراعي وطلائع البدو . سيسبقونك ،
ويخفونك ، حسب شريعتهم » . كان العربي قد استدار الان نحو
« دارو » وقد بدا على وجهه نوع من الرعب . وقال : « اسمع » .
وهز « دارو » رأسه : « كلا . اصمت . والان سأتركك » . وأدار له
ظهره ، وخطا خطوتين كبيرتين باتجاه المدرسة ، ونظر بتردد الى
العربي الذي ظل ساكناً ثم انطلق . وخلال بضعة دقائق ، لم يسمع
الا وقع وقع خطاه وحدها ، التي ترن على الأرض الباردة ، ولم
يعد رأسه . ولكنه ، بعد قليل ، استدار . كان العربي واقفاً هناك ،
عند طرف التل ، وذراعه متدليتان الان ، وهو ينظر الى المعلم .
وأحس دارو بخنجرته تطبق . ولكنه لمن بعد ان فقد صبره ، وأشار
إشارة كبيرة ، وانطلق . كان قد اصبح بعيداً عندما توقف من
جديد ونظر . لم يكن ثمة احد على التل .

وتردد « دارو » . كانت الشمس قد ارتفعت الان عالياً جداً
في السماء واخذت تلتهم جبهته . وعاد المعلم من حيث جاء ، بتسرد
قليل في البدء ، ثم بهزم . عندما وصل الى التل الصغير ، كان
العرق يسيل منه . وصعده بسرعة وتوقف ، لاهثاً ، عند القمة .
كانت حقول الحجارة ، في الجنوب ، ترسم بوضوح تحت السماء
الزرقاء ، ولكن على السهل ، في الشرق ، كان البخار الحار يتصاعد .
ولم « دارو » ، متقبض القلب ، العربي وهو يسير ببطء نحو
طريق السجن .

بعد قليل ، كان المعلم ، وهو منتصب امام نافذة قاعة الصف ،
ينظر ، دون ان يرى ، الى النور اليافع وهو يقفز من مرتفعات السماء
على كل سطح الهضبة . ووراءه ، على اللوح الاسود ، بين منعطفات
الانهار الفرنسية ، كانت تمتد تلك العبارة المخطوطة بالحكك من قبل
يد غير ماهرة ، والتي قرأها منذ حين : « لقد سلمت اخانا .
ستدفع » . كان « دارو » ينظر الى السماء ، والهضبة ، والى ما
وراءهما ، الى الاراضي غير المنظورة التي تمتد حتى البحر . وفي
هذا البلد الشاسع الذي أحبه كثيراً ، كان وحيداً .

ترجمة : جورج طرابيشي

مناقشات

حول رمز الاب في الادب الشعبي الاردني

بقلم : علي محافظة

فاضحت زوجة الفلاح تحتل مقاما أرفع بكثير من مقامها السابق ولم تعد تقول لابنها « ماذا بيدي ؟ اطلب من ابيك ؟ » فلديها الآن ما تقدمه لابنها وتتمتع بحرية واسعة نسبيا . ومع ذلك فما زالت مهمة الام الاولى العناية باطفالها في مرحلة الطفولة . وبينما ينصرف الاب الى اعماله بصفته المعيل الاول للأسرة تقوم المرأة بمساعدة زوجها في الاعمال الزراعية بالإضافة الى مهامها المنزلية .

صحيح ان الاب يتمتع بسلطة كبرى تجاه ابنائه ، وصحيح ان الام هي الملجأ الذي يأوي اليه الابن اذا ما تعرض لضرب والده . وفي الحالات التي تتعاون فيها الام مع الاب ضد الابن يجد الأخير نفسه مكرها على ترك المنزل نهائيا وهذا ما يحدث غالبا في بداية عهد المراهقة . يحدث هذا عندما لا تقترف الاسرة للمراهق بما طرأ عليه من نصح ولا تأبه له ولا تقر رجولته وحقوقه كفرد له ذاتيته ولذلك يفسر المراهق كل مساعدة من قبل والديه على انها تدخل في اموره . ويتخذ الاعتراض على سلوك الوالدين اشكالا عدة ابسطها العناد والسلبية وعدم الاستقرار وأقعدا الهرب والالتجاء الى بيئات اخرى قد يجد فيها متنفسا للتعبير عن حريته المكبوتة . وهذا له ما يؤسده في الامثال الشائعة بين الفلاحين ومنها : « هنيئال من مات ابسوه وصار شور حاله » . ومعناها هنيئال لمن توفي والده واصبح حرا في ملكه . تعود بعد هذه المقدمة الى الحكايتين اللتين اوردتهما الاستاذ هلسا في مقاله واستخلص منهما ان الادب الشعبي الاردني يبرز صورة شريرة للاب يحاول استبدالها بالاب الاجتماعي . ولعل هذا صحيح تماما بالنسبة للادب الشعبي ابان الحكم العثماني . والحكايتان مستمدتان من ذلك العهد وان بقيتا مع غيرهما ترددان على شفاه المتقدمين في السن الذين عاشوا تلك الفترة ولا يزالون بيننا . وكان التعليل الذي جاء به كاتب المقال لسيادة الاب في الاسرة الريفية الاردنية صحيحا الى حد كبير ولكنه اورد في مقاله احكاما اعتبرها حقائق ثابتة منها قوله : « والثدي في الفولكلور الاردني لا يحصل من دلالة سوى دلالة الامومة . ان الدلالة الجنسية للنهد التي يضيفها الادب الكلاسيكي غير موجودة في الادب الشعبي بل ان عكس هذه الدلالة هو الشائع » . ان هذا الحكم الذي اصدره الكاتب يحتاج الى دليل اوضح وحجة اقوى . ولا اعدو عن الحقيقة اذا قلت ان الدلالة الجنسية للنهد التي يضيفها الادب الكلاسيكي موجودة في الفولكلور الاردني . فما هو الفلاح الاردني يجعل النهد موضوع غزله اذ يقول :

خطونا لك من قدام كمرتينا عن السلام
يا ام نهيد له وشام يا نشمية البنات

انه يطري في هذه الاغنية النهد ذا الوشم ويراه جزءا مثيرا من اجزاء جسد المرأة . واسمع الى الفتاة التي تفتخر بانوثتها وتعتبر النهد عنوان هذه الانوثة :

جمّال قود جمالك لا تطلع ع نهودي
سبحان الرب الخالق رمايتين بعود

وتبدو الدلالة الجنسية بصورة بيّنة اذ يقني الرفي الاردني مرددا مع انغام « الشبابة » :

يا ام التنورة الحمرا ع البراد اخلصيها
لولا المخافة من الله لا قبض نهيدك فيها

واكتفي بهذا القدر من الاغاني الريفية الاردنية التي تبرز الدلالة الجنسية للنهد لاعداد الى حكاية الفول في الفولكلور الاردني .

وفق الاستاذ غالب هلسا في مقاله « رمز الاب في الادب الشعبي الاردني » الى حد كبير في اماطة اللثام عن جانب من الادب الشعبي الاردني . وله الفضل في ذلك طالما ان هذا الادب لم تتناوله الاقلام ولم تكن به الالباب . والواقع ان الفولكلور الاردني زاخر بالحقائق السيكولوجية مليء بالظواهر الاجتماعية والاحداث التاريخية .

ولما كان الادب الشعبي صورة فنية حية للواقع الاجتماعي والواقع الاجتماعي نفسه يخضع لسنة التطور والتبدل فان الادب الشعبي يتطور تحت تأثير عوامل عديدة : سياسية واقتصادية ونفسية وقد مر الاردن بتطورات سياسية واقتصادية ونفسية

اجتماعية منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر حتى اليوم شأنه في ذلك شأن اي قطر من اقطار العروبة . وتبع الاردن لفترة طويلة ولاية الشام في العهد العثماني وخلال هذه الفترة كان يسود المجتمع الاردني اعراف وتقاليده وعادات اجتماعية معينة . وكان ذلك المجتمع يتألف من الفلاحين والبدو . حتى الفلاح كان يقوم بتربية الماشية الى جانب الزراعة وبقي دوما على اتصال وثيق مع البادية . والظاهرة الهامة التي تبرز للعيان في هذا المجتمع هي الخوف المسيطر عليه ، فلم يكن بإمكان الحكومة ان تفرض هيبتها وسلطانها على السكان . بل كان البدو يهددون حياة الفلاح في كل لحظة ولذا كان على الفلاح ان يبقى دوما شاكسا سلاحه في غدوه ورواحه . وكثيرا ما فرض البدو « الخاوه » على الفلاحين وهي ضريبة عينية يدفعها الفلاحون للبدوي الذي يقوم بحمايتهم من غارات البدو الآخرين . ومن يحاول التمرد من الفلاحين يلق جزاء قاسيا فيفقد ثروته ويتعرض هو وافراد أسرته للقتل والتشريد .

ان مجتمعا كهذا تعمه الفوضى ويخيم عليه الخوف لا يمكن للفرد ان يشعر بالامن والطمأنينة ، ولا بد ان يحس في الوقت نفسه بامس الحاجة الى من يعضده ويدعمه في مواقفه . والنتيجة الطبيعية ان يتضامن جميع افراد الاسرة الواحدة بل العشيرة الواحدة حتى انهم ليتشاورون في كل قضية مهما كانت تافهة او خاصة بحيياة الفرد العاطفية .

ولكن ما مقام المرأة في هذا المجتمع ؟ ان المقام الذي تحتله المرأة في مجتمع كهذا مقام هزيل لانها لا تتمتع بقوة الرجل وبأسه طالما ان القوة هي المسيطرة في الحياة الاجتماعية . ولم تكن المرأة في نظر الرجل اكثر من معمل لانتاج الاطفال ورفيقة ممتعة وعاملة ماهرة في المنزل والحقل . واذا ما تزوج الرجل امرأة طيبة واجهها ثم توقفت عن انتاج الاطفال اضطر الى الزواج من غيرها . ان الحاجة الى وجود ابناء يعتمد عليهم في حياته كانت تدفعه الى الزواج من امرأة اخرى بالإضافة الى زوجته الاولى ويحرضه الاهل على ذلك فاذا أعرض أصبح مثار ازدراء وامتهان من قبلهم . ومن هنا جاءت احدى نصائح الفلاحين : « زوج الولد ياتي بولد » . فهذه دعوة صريحة الى ضرورة الزواج المبكر لجمع اكبر عدد ممكن من الابناء . ومن الطبيعي ان يكون الاب هو سيد الاسرة المسير لشؤونها والمدير لامورها والمتصرف والمتحكم بافرادها .

ظل المجتمع الاردني هكذا حتى تحرر من التحكم التركي وكان تحرره هذا تحررا من الخوف الذي سيطر عليه مدة طويلة من الزمن . ومنذ عام ١٩٣٦ تم مسح الاراضي و « تطويعها » واستطاع الفلاح ان يتقدم خطوات واسعة الى الامام اذ شعر باستقرار واصبح في مأمن من الخوف . وتبعته الاحداث الجديدة تطورات اجتماعية قيمة

والواقع ان حكاية الفول قديمة جدا في الفولكلور العربي بشكل عام ، انها تمثل مرحلة من مراحل تطور الفكر الانساني عندما نشوف هذا الفكر الى اكتناه الحوادث والاشياء التي رآها في الطبيعة فنسب اليها ارواحا وهذا هو مذهب الفيتش Fetchisme وقد حاول الفلاح ان ينسب القوى التي تتحكم في حياته الى كائنات حية من طبيعة تختلف عن الطبيعة الانسانية ولكنها تملك العواطف والرغبات البشرية نفسها . والفول هو الكائن الحي الذي تصوره الفنان الريفي فهو الذي يعطي الابن اسرار زوجة ابيه التي يلاقي منها عنتا كبيرا ، وهو الذي يمنح الفقير سبل الثراء . ان الحاجات التي يفتقر اليها الفلاح الاردني يجدها لدى الفول . والفنان الشعبي يحاول ان يبحث عن خلاص الانسان من الامه ومتاعبه ويفتش عن تحرره من مرارة الشقاء ورتابة العمل ليس في السيطرة على المظاهر الطبيعية التي تحييط بالفلاح بل يبحث عنها لدى كائن حي مخيف له القدرة على حل كل المشاكل وتلبية جميع الرغبات . وراي ان الفول في الفولكلور الاردني لا يمثل الاب القاسي المتحكم بقدر ما يمثل اعتراف الفلاح الفريح بتغلب الظروف عليه وعجزه عن مجابهتها والتحكم بها .

علي محافظة

عمان - الاردن

الى أخي وحيد النقاش

بقلم : عطاء النقاش

من المحقق ان اخي وحيد كان جادا عندما تناول قصتي في العدد الماضي بالنقد غير ان هناك بضعة اعتراضات جوهرية اثارها ، جعلتني اتأكد من ان رايه الذي انتهى اليه فيما يختص بقصتي « اغنية المد الحزينة » لم يكن اكثر من الانطباعات الاولى لفنان وليست لناقد . ولست ادعي هنا انني ناقد او اي شيء من هذا القبيل . ولكنني سأحاول ان اوضح بعض الامور وأرد على بعض اعتراضات اخي وحيد وان كنت اتفق معه في كثير مما جاء بحديثه .

والامر الاول الذي اريد ان اوضحه هو ان وحيد عندما نظر الى القصة رآها تتحدث عما تفعله عادة عقيم وهي هنا - الاخذ بالثأر - في عاطفة عظيمة مثل الحب .

وبالفعل قد تكون القصة شيئا من هذا لدى الرؤية الفنية الاولى غير ان هناك درجات اعظم من درجات الرؤية الفنية ومسؤولية الناقد تتحدد في الوصول الى هذه الدرجات الاكثر عمقا في العمل الفني .

صدر الكتاب المنتظر

حروب العصيان والثورة

من فجر التاريخ الى اليوم

دار المكشوف ، بيروت

فبالنسبة لهذه القضية بالذات فهي قبل ان تكون قصة تناب يحاول التنصل من تآثر له ، رغبة في الحياة مع من يحبها . هي بالدرجة الاولى قصة انسان حر الارادة تيقظت في نفسه فجأة رغبة حادة في ممارسة هذه الحرية وكان الدافع الذي أيقظ هذه الرغبة هو الحب الذي يجب أن يؤخذ هنا على اعتبار انه رمز للحياة بأسرها . والذي يؤكد من رمز فكرة الحب الى الحياة هو « تلك الطفلة التي عليك ان تأتيني بها . » واذن فان الامر لا يقتصر على تشويه عاطفة الحب وحسب كما رأى وحيد من خلال قراءته للقصة ولكنه يشوه بالفعل كل معنى للحياة .

على هذا فالقصة تدافع عن قضية الارادة الحرة التي تود ممارسة حريتها فتصطدم بالواقع القاسي الذي يشوه كل شيء ويقضي على هذه الارادة بالوت . ولكن : هل مات رفض بطلنا للاشياء « . . . التي تفرض نفسها علي فرضا . . . انني لا ارفض وجود هذه الاشياء مجتمعة ولا ارفض وجودها متفرقة . . . ولكن . . . آه . . . لو كانت اقل جبرية مما هي عليه الان . . . » ان رفضه هذا قائم بالفعل مازال . بل وان احساسه بكيانه الذي عبر عنه . . . انما اولا وقبل كل شيء « انسا » . . . بصرف النظر عما يحدث حولي وعما يسريده لي هذا العالم . . . هذا الاحساس الحاد بذاته وبكيانه وبوحدته مع نفسه لم يمت بمجرد انطلاق بضعة رصاصات . . . انه متيق في نصفه الاخر الذي لم تتحدث عنه القصة الشيء الكثير . . . هذه الاحساسات نفسها باقية في أخي وحيد وفي . . . وفي جميع الاصدقاء الذين نلتقي بهم في العمل والفقه وفي الطريق احيانا . . .

هذا فيما يختص بالمعنى العام للقصة :

اما الامر الثاني الذي اريد ان اوضحه هو قول وحيد بان الانسان في مثل هذه الحالة من الايذاء والمرض ليس بمقدوره ان يكتب مثل هذه الرسالة الرائعة المنظمة ولكنني ساقطع هذه الفقرة من بداية رسالة بطلنا :

« لقد قصصت عليك ذات يوم حكاية سائق العربة الذي تمزق لحم بطنه يوما في حادثة ، وانفجرت اوعاه امامه فحملها في يديه وجرى في شوارع المدينة جريا مجنوناً ما يقرب من ساعة ، وظنناه كان قد سرق العربة واتضح فيما بعد ان العربة كانت له . . . واستمر يجري حتى وصل الى المستشفى . . . نفس الجدران التي اقع فيها الان . . . وسأل الدكتور في اعياء عن حل . . . ففزع رأسه ومط شفتيه . . . لقد كان امام انسان ميت بالفعل . . . فسقط الرجل ميتا على الفور . . . ولو قيل له بطريقة او بأخرى سيكون هناك حل ما . . . لاستمر في الحياة اطول من ذلك . . . كان يلزمه فقط شيء يفعله حتى يستمر في مقاومة ذلك الجفاف . . . ولعل ذلك يفسر لك الامر . »

ولعل ذلك يفسر لآخي وحيد الامر ايضا . . . واعتقد ان في تجارب اصدقائنا من اطباء ما يؤكد بان شعور المريض باليأس من الشفاء مهما كان المرض بسيطا يعجل بنهاية المرض والعكس صحيح ايضا . . . اما بالنسبة الي فانا اميل الى الاعتقاد بهذه الفكرة على الاقل حتى يتسنى لي الدفاع عن قصتي الان .

الامر الثالث الذي اود الرد عليه هو قول وحيد بان مثل هذه الفتاة التي تذهب الى صديقها في بيته ليست موجودة في مجتمعنا ثم تدارك وقال انه من المحتمل الا يصور الفن الواقع ولكن ذلك لا ينفي ان يتطلع الفنان الى الواقع من حوله . والذي فهمته من كلام وحيد . . . سأحاول ان اوضحه هنا الان :

ان الفن لا يكتفي بتصوير الواقع ونقله وانما يضيف اليه مع استمرار ارتباطه به وبمعنى اخر ، او بالاصح نتيجة له : الفن يبحث عن الدوافع وراء الاشياء الظاهرة ويكشف عن حركة هذا الواقع التي نراها باظهار دوافعه الداخلية ومتناقضاته امام وعي الانسان . ارجو الا اكون متمسقا في تفهمي وافتراضي هذا المعنى من وراء كلام وحيد . وعلى هذا الاساس يصبح الامر منتهيا . . . اذ اؤكد بشسدة لآخي وحيد ان هذه الفتاة التي تذهب الى بيت صديقها الذي تحبه موجودة

هامة من هذا المجتمع : الريف والمدارس والصحافة ، لا لحشر ثلثات قصص في قصة واحدة كما قال ، بل لاعطي مثل هذه القصة ماتطلب من تكامل موضوعي .

وبعد .. فاني اشكر للاخ الناقد رأيه في قصتي واهتمامه بها ، راجيا من الاخوان الذين يكلفون بكتابة ركن « قرات العدد الماضي من الاداب » ان يقدروا ان هذا الركن ماوجد ليضخم انانية « الاستدرة » في نفوس البعض ، فليس كل من يقع اثره الادبي بين ايديهم بحاجة الى هذا النوع من التوجيه « وان بني عمك فيهم رماح » .

جان الكسان

تحية .. لا دفاع

بقلم : عبد العزيز هلال

يقول الاستاذ وحيد النقاش : « سأحتمي بسماحة اصدقائي الكتاب الثلاثة ، متمنيا ان تكون الكلمة التي سأقولها الان مثمرة ، ان فانها التوفيق فاني اؤكد ان الاخلاص لا يموزها » .

الامنية تحققت ، بلا ريب ، لان الاخلاص لم يعوز كلمته فعلا . ولكن ما دام الناقد قد طرح بعض الاسئلة حول قصتي « جدران من الطين » ، فاني ادى من واجبي ان اجيب . اول ما ذكر الناقد من عيوب القصة انها « انتهت نهاية خطابية مفتعلة جدا » وذلك في ان البطل راح « يلقي على مسامع زوجته بحثا فلسفيا كثيبا معقدا عن احساس الانسان بالموت ، لا يتفق اولا مع الحالة التي كان فيها بعد ان ودع اباه للابد وترك خلفه المكان الذي قضى فيه احلى لحظات عمره كما يقول ، ولا يمكن فوق ذلك ان يقوله زوج لزوجته بهذه الخطابية » .

اولا لم استطع ان اتصور كيف يمكن ان نوفق بين « الكلام الخطابي » و « البحث الفلسفي » لا سيما اذا كان معقدا وكثيبا ، وعن احساس الانسان بالموت على الاخص .

فالخطابية قد تتضمن « غظة » ما على منبر مسجد او كنيسة او مدرسة ، او في الشارع ، وقد تتضمن « فكسرة سياسية » او « مديحا » او « ذما » .. على غرار اغلب شعرنا قبل الحرب الاخيرة وحتى في هذه الايام . بينما على النقيض جدا من ذلك البحث « الفلسفي » .. فانه يتطلب كلاما عميقا هادئا مهما تكن بواعثه واهدافه ... كيف اذا كان منبعثا من الاحساس بالموت ، ويهدف الى تخطيط جديد للسلوك الاجتماعي ؟ وهل يمكن للتعبير ان يكون صفة خطابية مهما يكن موضوع الخطبة ؟

اذا راجعنا نهاية القصة وحدها دون الكل وجدنا المبرر .. فحينما انطلقت السيارة من المدينة المشحونة بالكآبة والغم ، تحمل الزوجين ، كان لا بد للبطل في هذه اللحظة المشرقة من الصباح ان يحس بالتححرر وبهذا التحرر من عيش التجربة المرهقة - لاحظ توتره وتآزمه فسي فاتحة القصة - تفجرت مشاعره الواعية عن ادراك عميق لهذذه التجربة : اصبح خارجها ، فاصبح قادرا على الاستنتاج ، بنظرة الناقد ، والحكم من ثم حكما نظريا على الاقل .. ولكن ايجابيته لم تقتنع بان يصدر الحكم كحيادي لانه ادرك انه يستطيع ان يكون عمليا فلا « يهرب » بعد اليوم كما فعل صغيرا ، لا .. واجبه كمواطن بل كإنسان بالدرجة الاولى ان يعمل ويثبت .. وان القارئ ليلاحظ ان الحوار لم يقتل .. كان طبيعيا ان يلتفت الى زوجته بجانبه ، وبهره منظرها الجديد - في ثوب الحداد - فيتنزل بها .. ولكن قلب المرأة الحساس ظل تحت وطأة الحزن ، فذكرته بالموت ، وبذلك فتحت المجال لنقاش اعترف بأنه فلسفي ، واعترف ايضا بأنه ثقل الوطأة ، مما يعيب القصة القصيرة .. وعلى هذا اتفق مع اخي الاستاذ وحيد النقاش .

داخل كل فتاة تحب حبا صادقا . فالفتاة التي شعرت مرة بدفع الحب الحقيقي نحو انسان ما .. لا بد ان تكون قد تمت بل وسعت مائة مرة لان تلقني به في بيته وليس في اي مكان اخر في العالم .. فسي بيته بالذات وبالاخص اذا كانت تشق بصديق عواطفه نحوها . واعتقد ان اخي وحيد نفسه قد جرب ذلك مرة وعرف جيدا ان هذه الفتاة موجودة . وموجودة بكثرة في الواقع وفي داخل نفس كل فتاة لا تجد الجرأة على ممارسة هذه الرغبة في الواقع .. صف على ذلك ان الفتاة التي اردت ان اتحدث عنها في قصتي .. فتاة مخلصه لانوتتها ولحقها ككائن حي له رغباته ويملك من الشجاعة ما يمكنه من تحقيق هذه الرغبات .. هي هذه الفتاة بالذات وليست اي فتاة اخرى . ارجو الا اكون قد اخطأت في شيء .

فيما عدا ذلك فانا اتفق مع وحيد في اعتراضاته على التكرار الرديء لبعض اللفاظ واعترف ايضا بانني قد اخطأت في تحديد المعنى عن طريق تركيب بعض جدي .. ولا اخفي عليه .. ان الكلمات بالنسبة الي ما زال لبعضها يريق يجذبني .. وان كان قد انطفأ معظمه .. ارجو ان ينطفئ باقي هذا البريق قريبا .. اتفق معه .. وحيي جهده في تناول قصتي .. وحيي الاداب ..

عطاء النقاش

القاهرة

حول قصة « الشمس الرابعة »

بقلم : جان الكسان

يقول الاخ الاستاذ وحيد النقاش في معرض تعليقه على قصتي « الشمس الرابعة » المنشورة في عدد تشرين الاول من « الاداب » ما فهمت منه انه لم يستطع ان يفهم معنى الرمز الذي اقصد من هذه القصة .. وانه ليس المفروض في الفنان ان ينتقل مع اثره بين القراء ليشرح لهم مايقصد به .

هكذا يطلق حكمه جازما ، فلا بد اذن من ايضاح اضعه هنا دفاعا عن القصة بصورة خاصة ، وعن معنى الرمز في الاثر الفني بصورة عامة . انه يتساءل مثلا : اين هي سفينة نوح هذه التي ورد ذكرها في القصة ، ولماذا هي واقفة لاتسير ؟

ولا ادري ماذا يهم القارئ ، او ماذا يغير في موضوع القصة - ان قلت له انها تنتقل مثلا بين الاسكندرية والقاهرة ، وانها قبل ان تشرق الشمس الثالثة ، كادت ان تصل السبيل فتدخل مياه اسرائيل الاقليمية وتعرض لخطر المطاردة او الهجوم .. وقس على هذا الملاحظات الجانبية الاخرى حول (غراب) و (بشيرة) و (زوجة نوح) .

ان بيكاسو مثلا لا ينتقل مع لوحاته ليشرح معانيها للناس ، والناس كلهم لا يفهمون لوحات بيكاسو على مستوى واحد ويتفوق واحد ، كما ان (غريب) كما يمكن ان ناخذ معنى القرية في حياته من عدة زوايا متباينة ، فلماذا الاجحاف بحق الرمز في قصتي اذا كان الاخ الناقد لم يفهم الرمز ..

ان كثيرين ممن حولي هنا في دمشق ، فهموا ما اقصد بالرمز .. فهموا انني اقصد بجماعة السفينة فئة تعيش في مجتمعا مقوقعة على نفسها ، لاتحاول ان تحمل شيئا من هم انسانا العربي الكادح ، المناضل الضائع ، لاتريد ان تعيش تمزقه والامه وكفاحه وهو يسعى في سبيل تحقيق مايرجو من اهداف ، انها تكتفي بالانزواء والتفرد حتى تتم توية الامور فتأتي لتناخذ نصيبها من البيدر ، على طريقة امريكا في الحرب العالمية .

وقد اعطيت بحديث غراب في رحلته الثلاث واقع المجتمع السوري باداء فني - اعترف الناقد انه ناجح - فسلطت الاضواء على ثلاثة قطاعات

ينظر الي ك « ملتزم سياسي قومي » فحاسبني على هذا الاساس...
اقول - ولست اذم اي قاص من هذا النوع - معتبرا من ناقدي
اذ اخطنه : انني اكتب حين اكتب معبرا عن شعوري وافكاري كانسان،
واذا كنت ملتزما فكانسان لا كمواطن ... والطين في قصة «الجدران»
لا يعني الفرنسيين والعثمانيين بقدر ما يعني عقلية المجتمع السني
نعيش فيه ، نحن ابناءه ، ونريد باخلاص ان تتطور كما تطورت
آلاته وميانيه .

واخيرا فانا اشكر الناقد من كل قلبي .. واحبيه .. فلقد احببت
فيه هذا الاخلاص حقا .. الاخلاص للفن والتجرد في الحكم .

عبد العزيز هلال

دمشق

ملاحظات...

بقلم محمد دلبرين

اما الاولى فهي عن هذه المناقشات التي تنشر في باب هام من
ابواب « الاداب » « مسمى » باسمها ولا ينكر قاري ما بان هذه
المناقشات اذا اريد بها وجه الحق فهي من انفع الاشياء تثبتنا للصواب
وتزييفا للباطل ، ولكن فريفا من الادباء انحرفوا بهذا المفهوم او
القصص الذي وضع الباب اصلا من اجله فآخذوا ينتصرون لانفسهم ولو
كانوا على خطأ او ضلال ، بل لا يتورع كثير منهم عن الغمز والظعن بل
والسباب الصريح احيانا اذا لم يستطع ان يعثر على الحجة او
البرهان واثباتا لهذا الكلام نحيل القارئ الى قراءة هذا الباب
في الاعداد الماضية واما نحن فسنأخذ دليلا من العدد الاخير لنبين
للقارئ نوعا من النقد (يرقى) الى (مستوى) الشتم والسباب
المقذع .

والعادة التي درج عليها بعض الكتاب المنقودين انهم لا يتركون
النقد يمر بسلام حتى ينالوا منه ومن صاحبه كان بينهم وبين الناقد
عداوة شخصية يريد كل منهم تحطيم الآخر . وتراهم يبدأون
نقدهم بانهم ما كتبوه الا على هدى « الموضوعية » ، والموضوعية في
عرف هذا النفر من الادباء موضوعية الاهواء الشخصية والتعالي
والتعاطف كان احدهم يرى صفارا في نفسه اذا لم يرد على
ناقدية . ونخشى ان نقول انها السمة المميزة لعظم هؤلاء الادباء
وخاصة الناشئين منهم . ولا نكون كشفا شيئا عظيما اذا كررنا
البديهة المعروفة في كل الاعصار والامصار بان كل امرئ مهما سما
وعظم خطأ ، او المخطيء الذي يخطيء عن حسن نية وبعد تحري
الصواب يكون خطاه مبررا بحسن قصده ونيته واجتهاده . وهذا
ما ينطبق على كاتب رواية - جيل القدر - الاستاذ مطاع صفدي
فالاستاذ مطاع صفدي معجب بروايته اعجابا يملك عليه له ، ونحن
في هذا لا نعتب عليه ، لانه ليس من كاتب - ولو كان نافها - لا
يحب بنات قلمه وافكاره ، واما ان يريد الاستاذ ان يجعل من روايته
الرواية التي لا ياتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها فذلك ما لا
نرضاه ولا يرضاه هو ايضا ، ولكنه سرعان ما يتناسى هذا ليهاجم
كاتب اترأى رأيا خاصا في رواية « جيل القدر » وهو يبني نقده
على شيئين واهيين اولاً : اما ان يكون الناقد « عدوا » شخصا
للاستاذ مطاع فهو يصدر هذه الاحكام « الموتورة » بقصد الثأر والانتقام
او الحط من شأن كاتبنا الكبير ونحن وان كنا لا نعرف مدى المعرفة
المباشرة بينهما الا اننا نرجح عدم الاتصال بينهما لان الناقد من الاقليم
الجنوبي ، بينما الكاتب من الاقليم الشمالي وليس بينهما معرفة
شخصية حتى يمكن افتراض مثل هذا الادعاء ، ونضيف ايضا بان
الاستاذ بدر لن يلجأ الى مثل هذه الطريقة اذا اراد ان يقيم لنفسه
شهرة على انقاض تحطيم مكانة وشهرة الاستاذ مطاع لان الاخير

فمنذ البداية عرفنا ان بطلنا من المثقفين جدا ، وبعد ذلك عرفنا انه
« ثوري » ولكن من الثوريين الهادئين اذا اجيز التعبير .

اما حديثه مع الفلاح المجوز فلا يستغرب في ريف سوريا ...
في اقصى شمال شرقي سوريا منطقة بدوية ، عهد القرى فيها جسد
قريب ، ومع هذا فانك اذا ما حططت الرحال بينهم ، فان اول ما
تلاحظه هذا المستوى العالي في فهم قضايا الانسان العميقة ، وقضايا
السياسة .. سيحدثونك عن وعي في شؤون محلية وعالية ، وينتقدون
ويحكمون احكاما لا تنقصها سوى الثقافة الواسعة لكسي تجعلها ادق
واصح من احكام كثير من صحفيينا . وهذا شيء غريب حقا على ابناء
الريف - فضلا عن البدو - في جميع بقاع العالم ... لا ، لن يضحك
اي ريفي - ولو عجوز - من ريفنا لحديث مثقف .. كنت معلما في
تلك المنطقة ، وكنت موظفا يعمل في مكافحة الامراض السارية .. وبقيت
بحكم العمل الاخير عاما ونيفا في بلدة البوكمال ، فاذا بهؤلاء الذين
استصغر شأنهم الاخ الناقد من الناحية الفكرية يهتمون بنشرات
الاخبار والتعليق عليها اكثر من اهتمامهم بالحضيري ابي عزيز - اشهر
مطرب عراقي ريفي - ويتناقشون فيما يسمعون كما يفعل الناس في
مقاهي وندوات اي مدينة كبيرة في الوطن . يكفي ان اذكر لك انهم
في اخر انتخابات نيابية - قبل الوحدة - قاطعوا انتخاب اغللب
الافطاعيين والبورجوازيين فسقط بالانتخابات من كان نجاحه حتميا،
آليا ، لا يحتمل اي جدال ... فعلوا ذلك بدون ادنى ضبط كما
يمكن ان يتبادر الى الذهن ... لقد جاهدوا ضد الفرنسيين كيد
واحدة ضد العبودية والفقر ، وانتصروا للكرامة ... فلما ذهب
الفرنسيون ولم يتبدل حالهم عرفوا ان الفرنسيين تركوا ذيو لا خلفهم
.. بورجوازية صغيرة .. فجاهدوا ضدها ايضا . ان المقطع الذي
اوردته من حديث البطل مع الفلاح عادي جدا ، لان الفلاح قال :
« القضية قضيتكم ، انتم السادة » وهو يستنكر علاقته بها ... فهذه
العبرة تستتلي حديث البطل دون ان نرى فيه افتعالا .

نالت عيوب القصة - كما يذكر الاستاذ النقاش - عدم توضيحي
دور الفرنسيين في رمي العدا بين الاسرتين ... فلو عمدت الى ذلك
لكان عيبا حقا : لان القضية ليست سردا تاريخيا .. كل الناس
يعرفون اساليب الاستعمار في المستعمرات بالاضافة الى ذلك . ولقد
كانت فرس عطوان السعد هي عود الكبريت الذي القاه الفرنسيون
- مشتعلا بالطبع - في هشم تنافس الاسرتين العادي والذي لم يكن
يتعدى العادة المتوارثة في تحديد الاسرة او العشيرة . وانت لو تأملت
في الحوار بين الحاج صالح السعفان والبطل لادركت ان السياسة
ليست موضوع القصة الرئيسي لاناؤها بالايفصاح الذي فشتت
عنه - بلا عناء ...

على كل ، اعتقد ان اخي النقاش قد الزم نفسه من البداية بان

صدر حديثا :

لهات الحياة

مجموعة شعرية وجدانية
للدكتور يوسف عز الدين

دار العلم للملايين

وقد فاني على الضبط اسم بظها ومفاد قصة « موباسان » ان رساما فاشلا كان يصور رسوما غريبة فيصدف عنها الناس فبلغ به الضر ان سأل صديقا له عن طريق يتبعه للخلاص من سوء حاله فأشار عليه الصديق - وكانما كان عالما بنقاط الضعف في نفوس الناس - بأن يقيم معرضا لرسومه ، على ان يستعد قبل ذلك بان يتخذ سميت « الفنانين الشاذين » من لحية مدبية في اسفل الذقن الى « غليون » يعلو دخانه في وجه مخاطبه، وان يجيب اذا سئل عن سر لوحة من لوحاته جوابا واحدا لا يتكرر بتكرر الاشخاص والاقوات : « أرايت النهر ؟ أتاملت يوما بعمق تياراته ؟ » وبالفعل نجح ذلك الرسام المغمور نجاحا باهرا اذ هو اخذ يكرر هذه الكلمات فيحمر وجهه مخاطبة خجلا فينصرف الى اللوحة ثانية يتأملها بعمق ودقة فيكتشف من جمالها وروعها اشياء واشياء . واخذ النقاد بدورهم يشيدون بعبقريته صاحبنا ورسومه حتى بلغ ما كان يصبو اليه من شهرة وثراء . واما الشيء الطريف في القصة فهو ان الصديق سأل الرسام يوما وكان قد فرغ من رسم لوحة « لا طعم لها » عن مفزها فلم يكن من صاحبنا الا ان نهض واقفا وحدث في وجهه كما كان يفعل في مقابلة عشاق رسومه ، وبعد ان نفخ نفخة هائلة من دخان غليونه في وجه صديقه قال له ببرودة : « أرايت النهر ؟ أتاملت بعمق يوما ما تياراته ؟ » .

والاستاذ زكريا تامر قصاص موهوب ، هكذا تقول الصحف الاسبوعية بدمشق ، ومن بين المشتغلين بها عدد لا بأس به يعرف الاستاذ زكريا معرفة شخصية ، بالإضافة الى « شلة المقهى » ولا يستهين احد « بشلة المقهى » فان لرؤاها وسخطها شانا كبيرا في رفع من تشاء وخفض من تريد من الناشئين ، وعندما يجد القاري هذه « الثنات » الكالة جزافا لبعض الكتاب لا يلبث الا ان يتأثر بها فكما ان « تايد » هو احسن مسحوق منظم للفصيل وكما ان ساعات « داماس » هي احسن الساعات الموجودة فكذلك يقال ، ان فلان هو خير من كتب القصة القصيرة ، وذلك هو الروائي الفيلسوف ، والثالث هو من يجب ان يكمل بتاج امارة الشعر . وهذا هو شان القاريء عندما يأخذ قصة رحيل الى البحر لزكريا تامر ، وهو موحى له او مستهوى سابقا بان الذي يقرأ له من الجيدين في هذا الميدان فلا يلبث الا ان يقع في احدي حالتين : اما ان يهمل ويصفق لهذه العبقريته في اخفاء الرموز فيها الى حد الاعجاز ويكتشف فيها اشياء واشياء من الروائع ما كانت لتخطر على بال السيد تامر نفسه او ان يتهم نفسه بقصور الفهم لانه يستحيل ان يكون عاقلا ولا يفهم من القصة ما يفهم منها سائر الناس وعلى راسهم نقاد مشهورون بالحدق وحسن الذوق . واما انا فاني لم استسغ قراءة القصة - رغم اني قرأتها مرات ، ولم يفتح الله علي بشيء من مقالتي رموزها ، وهي في رأيي هدر لوقت الكاتب والناس على حد سواء ، فيها اختصارات مائة قصة او اكثر في رأس الكاتب كان يود ان يكتبها فجمعها موجزة في هذه القصة ، ولم استطع ان افهم بالضبط الى ما يشير اليه الكاتب من كلمة « البحر » وهي تحتمل من المعاني بعدد قراء القصة ، اقول ذلك دون ان تحمر اذناي خجلا لانني لم اتأمل بعمق في كل حياتي تيارات النهر وهي تتصارع وتتدافع ، ولكنني اشفق اذ انصور احد اصدقاء زكريا تامر عندما يسأله بتواضع عن مفزى كل هذا الحشد من الكلام فلا يلبث زكريا الا ان يغمر وجهه هذا الصديق المسكين بدخان ما ، قائلا له : احقا يا هذا انك لم تفهم بعد رموز « الرحيل الى البحر ؟؟؟ » .

محمد دلبرين

دمشق

طبعت على مطابع :

دار الفند للطباعة والنشر

تلفون : ٢٢٩٢١

لم يحتل بعد مكانه المرموق الذي يحسد عليه ، نقول هذا بكل صراحة وصدق وبساطة مع الاعتراف باننا لا نعرف احد الكاتبين معرفة قريبة او بعيدة . وانما نعرفهما من اثار اقلهما . واما الاساس الثاني الذي يقوم عليه حجاج الاستاذ مطاع فهو كون الناقد مثقفا فحسب مثقفا يقرأ كتب النقد المدرسية قراءة سطحية ثم يحاول ان يطبقها تطبيقا اعمى على ما يقرأ وهو لم يرتق بعد الى مستوى « الادباء » الذين لا يرون في رواية الاستاذ مطاع ما رآه ذلك « المثقف » الذي يتمسك بحرفية الاحكام النقدية التي فات اوانها ، وكما كنا نحب لو ان الاستاذ مطاع قد تكرم فوضع للناس قائمة - في نهاية مقاله - تحتوي على الشروط التي يجب ان تتوفر فيمن يريد نقد روايته الخالدة لكيلا يتورط متورط مسكين فيصيب على جلده زيت حار يكو به فيجرد من حسن النية ، ومن الفهم ، ومن صحة العقل . واذا لم يتقبل كاتب الرواية نقد الاستاذ بدر على انه نقد صادر من اديب او حتى من مثقف فليتنقيد على اساس انه رأي من قاري عادي اعراب عن انطباعاته وفهمه لهذه الرواية ، واظن ان رأي القراء محترم وابداه مشروع ونحن ايضا قرأنا هذه الرواية فها لنا كل هذا « التفلسف » المكشوف الواضح فيها ، واذا اردنا الصراحة فاننا نقول : ان الاستاذ مطاع قد حشر اعظم « كمية » ممكنة من الاراء الفلسفية التي تلقاها دراسة او بحثا فجعل بذلك من الرواية معرض اراء فلسفية ، كل ذلك بغية العمق والاغراب ، واما اشخاص الرواية الذين وصفهم الاستاذ مطاع بالثورية فاننا نأسف اذا قلنا : لقد رأينا امثالهم كثيرا وهم لم يروا وجه الشعب الا من خلال زجاج « مقهى معروف بدمشق » حيث تتعالى طقطقات النرد ، وتتلاحق سحب الدخان وتتعاقد . واذا حلف لنا بالله جهد ايمانه بان من اولئك الفنية من قرر اغتيال الديكتاتور الشييكلي فاننا سنشير بتواضع الى الفتية الذين اعجب بهم الاستاذ مطاع من « عادلي كامو » فشاء الا يحرم الشباب العربي مثل تلك « الثورية » ، وعلى كل حال شكرا للاستاذ مطاع من « الشباب الثائر » او من « جيل القدر » كما يحلو له ان يسميه . ولا شك بان قارئين آخرين قد قرأوا هذه الرواية قد تكدت نالت اعجابهم او سخطهم ولكنها على كل وضع قد اعجبت - بدون شك - بعضهم وقد سأت احدثين ، ونحن نرجو من الاستاذ مطاع الا ينتظر اكثر من ذلك من القراء ، اما ان يريدنا ان نجعلها انجيلا لنا فذلك ضرب من السلوك يستطيع الاستاذ نفسه ان يضع له اسما يناسبه ويليق به . ولا نريد ايراد عبارات الاستاذ مطاع في الرد على ناقدته وخصوصا ما كان منها ما يخرج عن لياقة المناقشة والمجادلة وانما نشير اشارة خاطفة لهذا النوع من الردود وهو رد الاستاذ فاضل السباعي ، فالاستاذ فاضل يرى ان « الاستاذ هبد اللطيف شرارة من خلال ما كتب من مقالات وابحاث في مختلف المجالات كاتب واسع الثقافة قويم النظر » لكن الاستاذ شرارة لم يفقد في نظر فاضلنا كل هذه القنومات والصفات الا عندما تناول بالنقد مقاله « مأساة الاديب العربي » فحق عليه القول وخرج من زمرة العباد الصالحين ووقع في « السطحية والتعالي » و « التاستفة » الى اخر ما في قائمة « النقد الموضوعي » من « كلمات .. »

وان دل هذا على شيء فهو يدل على ضيق صدر بعض الكتاب ، والشعور بالاضطهاد الذي كثيرا ما يصرح هؤلاء بانه نوع من « الارهاب الفكري » ولا ادري كيف تسربت الى اقلامهم هذه الكلمة البشعة التي حدث كل ما في العالم من وساخة .

فاذا كان النقد « ارهابا فكريا » او « لغت النظر » الى الاخطاء حقدا وعداوة ، او الاشارة الى الطريق الاصلح في نظر الناقد تأسندا وتعاليا « فكيف يريد حضرات الكتاب من الناقدين ان ييلفوا آراءهم للناس ؟؟؟

واما الثانية فهي عن قصة الاستاذ زكريا تامر « رحيل الى البحر » واحب قبل ان ابين رأيي في هذه الاقصوصة ان استعين على توضيح هذا الرأي بان اورد موجزا لاقصوصة كنت قرأتها منذ سنوات لموباسان

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الجمهورية العربية المتحدة

الاقليم الجنوبي
بحثاً عن مجلة أدبية

لرأسل الاداب محيي الدين محمد

★

واحد من اهم الاسباب المعوقة لوجود مجلة فكرية كبيرة في الاقليم الجنوبي ، هو داء عضال وقديم اسمه اللاتعاصر ، او عبادة الماضي ... فالسبب الاساسي لاحتجاب « الرسالة » و « الثقافة » ، والموت الفعلي لمجلات « الادب » « والشهر » « والمجلة » ، وبقيّة النشرات التي تعطل بعد اصدار عددين ، هو هذا الحس العقيم المرضي باطراح الماصرة ، واختيار القديم واللاحاح عليه . واختيار القديم لا يعني نشر الادب الجاهلي وتراث العباسيين والانديسين ، بقدر ما يعني التفكير على النمط التقليدي ، وطرح القضايا بالشكل المسموح به من التقاليد ومن جهلة الناس ومن السلطة . ولعل الحرر يضع في اعتباره اولاً ، كيفية ان يرضي الحس العاطفي في الآخرين ، قبل ان يفكر في كيفية تطويرهم وتوعيتهم .. ولعل ذلك ان يكون نقصاً في تربية الحرر ذاته ، اي ان العملية التي يقوم بها ، ليست واعية ، انما هي بتأثير تخلفه الفكري والحضاري ، وتخلف جيله بأكمله ، هذا اذا أبعدنا قضية الكسب المادي ..

اذا اخترنا عشر مقالات من عشرة اعداد مختلفة للمجلة الفكرية الاولى في الاقليم ، وهي (المجلة) ، امكن لنا ان ندرک ما هو هذا اللاتعاصر الذي يتحكم في مقدرات الكتاب والقراء ، والمفروض ان (المجلة) (سجل للثقافة الرفيعة) كما يعلن الشعار : ١ - فضل مصر على صناعة السجاد في اسبانيا - ٢ - نحو دراسة العلاقات المصرية السوسرية - ٣ - الفلين - ٤ - سندباد الى تاهيتي الجديدة - ٥ - سجاجيد قاهرية واخرى متصلة بها من الناحية الفنية - ٦ - مطاردة قاتل - ٧ - المنسوجات الحربية الاثرية للدكتور شميدت - ٨ - الفنان الديني فوق المآذن والمقاريء ووسط المواسد - ٩ - من اخطاء الخبرة الجنائية امام القضاء - ١٠ - نشاط اساطيل الدول في شرق البحر المتوسط ...

وهكذا نجد ان التخطيط الواعي لماهية الفكر والادب واهدافه ووضع الاعتبار لمطالب الجيل مع مراعاة لخلفيته الفكرية ، ودراسة ظروف القارئ والفكر في الشرق العربي ، ودراسة الاتجاهات الحديثة في الادب ومناقشتها ، وتضيء التاريخ العربي ، وفتح المجال امام الدارسين والاساتذة لتقديم وجهات نظرهم الاختصاصية ، ومقارعة النظريات النقدية الغربية بالحجة ، وكل ما هو ميزة للتعاصر ، غير موجودة بالرة ، انما الامر متروک للكشكولية ، وللتنوع ، واختيار الموضوعات الاسرة والخفيفة والمسلية الى اقصى حد . ومسألة التسلية تستتبع ان ننساعل عن قارى المجلة الفكرية في الاقليم الجنوبي ، ان انه ليس الفلاح قطعاً ، والذي تكفيه هموم الري ومطالب الارض والحياة المعقدة ، ويكفيه الجهل الذي اضطر ان يزاوله طيلة هذه القرون .. وهو ليس طالب الجامعة والدارس الثانوية اطلاقاً ، ان هذا يعتبر القراءة الخارجية دماراً لمقلياته الحافظة ، طالما هناك عشرات الكتب المقررة ، عليه ان يحفظها عن ظهر قلب . اذن .. هناك فئة ثابتة .. فئة تغلبت نوعياً على جهل الفلاح ، وتغلبت درجياً على مشاغل الطالب ، او اجتازتها ، وهي فئة موظفي الدولة الصفار والمتوسطين ، والمجسلة الفكرية تعرف ان توزيعها قاصر على هذه الفئة الموجودة في العاصمة بالذات ، وهي لا تضع في اعتبارها آلاف القراء خارج العاصمة ، ولها

لبنان

اسبوع الكتاب

★

أحيا لبنان هذا الشهر ، بين ٢١ و ٢٦ تشرين الثاني الجاري ، اسبوع الكتاب العربي في سلسلة من الاحتفالات والمظاهر كان « الكتاب » فيها موضوع الاهتمام والعناية والتكريم . وقد شاركت في احياء هذا الاسبوع دار الكتب الوطنية باقامة معرض للمخطوطات القديمة ، وقدمت دار الاذاعة اللبنانية برامج يومية طوال الاسبوع انتظمت احاديث وندوات ، واستمع الناس وشاهدوا على شاشة التلفزيون ندوات اخرى حول الكتاب . واقام النادي الثقافي العربي معرضه السنوي السادس بمناسبة هذا الاسبوع ، فاشتركت معظم دور النشر والكتبات بعرض كتبها فيه ، واقام اتحاد الناشرين واتحاد المطابع حفلتين كبيرتين بهذه المناسبة .

وكانت « جمعية اصدقاء الكتاب » المحرك الاول لجميع هذه الالوان من النشاط وسوف يصبح هذا الاهتمام بالكتاب تقليداً سنوياً يدل على مدى ما يعلقه هذا البلد من قيمة على الكتاب الذي هو مصدر اشعاعه الاول .

ولعل خير ما كرم به الكتاب تلك الجوائز التي اعلنتها جمعية اصدقاء الكتاب في اليوم الاول من المعرض ، فقد اذاع رئيسها الدكتور قسطنطين زريق نتيجة تقارير اللجان المشكلة لمنح خمس جوائز مالية تقديراً لعدد من المؤلفين في لبنان .

وكانت الجائزة الكبرى جائزة رئيس الجمهورية المقدمة من وزارة التربية الوطنية ، وقدرها خمسة الاف ليرة لبنانية . « تمنح لاديب تميز بالانتاج الوافر الجيد باللغة العربية » وكانت هذه الجائزة من نصيب الاديب الكبير الاستاذ مارون عبود .

اما جائزة التوجيه الوطني التي تقدمها وزارة الارشاد والانباء ، وقيمتها ثلاثة الاف ليرة لبنانية ، فقد رأت اللجنة المختصة ان تحجبها ، وكان المفروض ان تمنح لافضل مؤلف في موضوع التوجيه الوطني نشر عام ١٩٦٠ او لم ينشر . ويبدو ان الكتب المقدمة لم تكن في المستوى المطلوب .

واما جائزة الدراسة الادبية ، وقيمتها الف ليرة لبنانية تبرع بها الشاعر الاستاذ جورج صيدح ، فقد قسمت بين الاساتذتين احمد ابو حاقه لكتابه « ابو فراس الحمداني » والاستاذ الفرد خوري لكتابه « الكلمة العربية في المهجر » .

وقد منحت جائزة البحث الاقتصادي ، وقيمتها الف ليرة تقدم بها الاستاذ توفيق عساف ، لكتاب « تطورات نظم القطع في لبنان وسوريا » بقلم الاستاذ الياس سابا ، وهو موضوع باللغة الانكليزية .

اما جائزة العلوم التي يقدمها الاستاذ شكري شماس ، وقيمتها الف ليرة لبنانية ، فلم يتقدم احد لها .

و« الادب » تحيي جمعية اصدقاء الكتاب لهذا الجهد الذي بذلوه من اجل منح الكتاب ما يستحقه من تقدير بصفته عنواناً رئيسياً من عناوين التطور الحضاري .

النشاط الثقافي في الوطن العربي

ومنعته عن التفكير الذاتي ، والخلفية تعني تقاليد الأسرة والشوارع والمدنية بكاملها ، وتعني الزمالة والصدقة ، والمشاركة فيما يشارك فيه الشباب الآخرون ، ولعل ذلك ان يكون أضخم الأسباب واشدها تأثيرا ...

الشباب القارئ لا يعرف المكتبات العامة الا لامور مدرسية ، وهو لا يطبق ان يشترك في القراءة الثقيلة لان ما يفكر فيه حقيقة هو كيفية الارتفاع بمستوى دخله ، والتعتم بما فقدته في الماضي مع أسرته الفقيرة .. والتفكير في مستوى المعيشة يجر الى الارتباط اكثر واكثر مع زملاء العمل الذين يحملون ذات الهموم والالام . واذن ، فانهم يلتقون ايضا في المساء ، لا ليناقشوا الامر ويدرسوه ، بل ليقتلوه نسيانا ، فالقهى هو المدرسة الحقيقية لتخريج نمط من الشباب ، يتحكم فيه نظام (الشلة) ، حيث تسيطر على الجماعة التي تحس بالظلم ، وتحس بهذا الامان الميت الذي يقتل نشوة الحياة وتجدها وبساطتها ، تسيطر على الجماعة اخلاق الفروسية القديمة ، فيتباهون في أيهم أقدر على تحمل الخمر الرديئة ، وتحمل تدخين كميات هائلة من الحشيش . هؤلاء الفرسان المساكين لا يجدون سوى انتصارات شخصية ووهمة الى اقصى حد ، يتباهون بها ، ويسحقون في داخلهم الرجولة والنصرة والاخلاق . بل احسبني أعلم ان سؤالا واحدا يتكرر على نسق واحد في جميع المقاهي التي تشكل الحياة الثانية للشباب في الاقليم برتمه ، يسأله ويكرره شباب حائرون ومدهوشون وساخطون : ماذا نفعل هذا المساء ؟ .. هذه الحيرة المذهلة ، والتي كانت من المرجح ان تعطي جوابا ناصعا في مجتمع متفتح ، تنم هنا عن رعب من الواقع ، ورغبة عنيفة بالانزواء منه : ماذا نفعل هذا المساء ؟ بل ماذا نفعل في كل مساء ؟

ان الانتصارات الباهتة التي تفوي شبابا مجنونا بحب المباحة ، في الطاولة والورد ، وفي الشطرنج - عند الشباب المتعلم قليلا - تحجز الى مدى بعيد ، ذلك الحس الثوري الموجود في شباب العالم الآخرين . انه هنا انتصار ، ليس على زميل في لعبة تافهة ، بل على عالم كامل بكل قيمه واخلاقه . انتصار على عالم غني بالامكانيات لا يسمح بالطاء الا بمقدار ، ولعلنا نؤكد ذلك ، من ان المهزوم في لعبة من هذه الالعاب ، لا يستطيع ان ينام الليل حتى يأخذ بشأره ، وعندئذ يرتفع ذلك السلام العظيم مرة اخرى ، فيجل على الطبيعة والكائنات ...

ان القهى هو ايضا شبكة تقليدية من شباك الماضي ، فمنذ الفرائنة ، كان الشعب المصري يؤدي عملا واحدا ميكانيكيا طيلة اليوم ، وينتهي منه ، ثم ينتظر ان يقوم الاله بالباقي (النظام المركزي الحديث) .

واذن ، فقد كانت المجالات الفكرية حبيصة تماما ، في انها لم تعلن عن جس الرفض الذي يخشاه الشباب ، ويتوجهون من جرائه الى المقاهي : لقد اختاروا ان يرفضوا التعاصر ، وان يعلنوا عن التقاليد ..

وفي تاريخنا الحديث مجلة فكرية هامة هي (الكاتب المصري) ، ادركت بفريرتها الواعية ان القاتل الحقيقي ليس الا هذا الحس القديم المتشفي في شبابنا المتأدب ، وحاولت ان تقوض ذلك باتباع منهج قضى عليها في النهاية .

اخبارات (الكاتب) ان تعرف التعاصر الى العربي ، ولما كانت رغبته شديدة في ذلك ، بالإضافة الى وعيها بالمستوى المتخلف الذي عليه العربي ، فقد تحولت من مجرد تعريف التعاصر ، الى تقديم شدة التعاصر ، وفقدت بذلك الصلة بينها وبين القارئ الجديد .. فقد كان مستوى القروء بين الشباب هو مستوى المازني وطه

الحق في ذلك ، فان نسبة الجهل القرائي ، والتي يعاني منها الاقليم كافية لدحر اية محاولة لتوصيل الفكر الى الفلاحين والى بقية الجمهور غير المثقف ..

فئة موظفي الدولة تنقسم الى قسمين : الكبار والشباب . كبار السن لا يقرأون سوى الجريدة اليومية ، والمجلة المصورة كآخر ساعة والمصور وروز اليوسف وصباح الخير ، لانهم وصلوا الى السن التي فقدوا فيها الامل ، وهم يبحثون عما يؤكد فيهم ذلك الثبات القديم لمعارفهم ووعيهم ، ولا يطيقون ان يحيوا مرة اخرى بدايات المجلة الفكرية ، وتحطيمها لثقافتهم وعجزهم ، وتخلفهم (1) ...

وجد المحررون ان عليهم عبء مواجهة الشباب وحده ، وضمان سوقه ، وكانوا من الذكاء ، لدرجة انهم لاحظوا مطالبه وادركوا رغبته اولا ، فالشباب يعني شدة الحياة ، والاقتصار على شهادتها وعسلها ، وهذه الرغبة العارة بالانكفاء على طلب المتعة في شباب الاقليم ، لا يفسره سوى تعاسة الأسرة وفقرها ، اي ان سلوك الشباب الراهن هو من ردود الافعال ، وتعويف للماضي شديد القسوة عليه وعلى أسرته ، والتحول الى طلب البساطة ، والمتعة السهلة ، تحول طبيعي للفاية ، اساسه تأمين الحاضر والاستفادة من صفر السن ..

واذن فقد اتجه المحررون الى الثقافة الاتساعية ، ولم يتجهوا الى التخصص والتعميق ، لان ذلك يتطلب من الشباب جهودا عقلية هم في غنى عنها . وكان هذا الوعي المفترض في الشباب ، او امكانية وعيه ، تقاوم بشدة من جهات (ثقافية) رسمت سياستها ايد غير حريصة على النهضة ، أصدرت (المختار) و (الهلال) ، وتفكر في اصدار طبعة غير مترجمة للمجلتين الاميركيتين المتساحتين : لايف وتايم .

يوم العمل في الوظائف الحكومية رتيب ومتكرر وآلي ، والنظام القديم المستعمل في هذه الاديرة الازلية نظام روتيني يعطل في الموظف عقله وشعوره بالمسؤولية ، فكل الأوراق وكل علاقاته بالجمهور مبنية على احوالة الأوراق الى الجهات المركزية ، وعدم التصرف بها ، حتى لو كانت امكانية ذلك مفروضة ، وعلى ذلك فالموظف يقضي نهارا مملا للفاية ، متعجلا انقضاءه ، وحاسبا حساب الوقت الذي ينطق فيه عقربا الساعة على الثانية ظهرا . والمجلة تعرف ذلك وتفهمه ، وهي لهذا السبب تحذر ان توجه اليه كلمة المسؤولية او الفكر او العقل ، هذه الادوات الميتة او المعطلة فيه ، وهي تحاول بدل ذلك ان تسليه وتهمدده ، بان تمنحه نقيضا جديدا للله ، هناك الجمود والروتينية ، وهنا الحيوي واللون ، والجنسي ، والجديد ...

ولما كانت مجالات الاختصاص غير موجودة ، اي المجلة العلمية ، والمجلة القانونية ، والمجلة السياسية ، والمجلة الادبية الى آخرة ، فان القارئ المهتم بالادب يقع ايضا ، كالقارئ الذي يتخذ القراءة مادة للتسلية ، في شراك التبسيط والتسهيل ، والمادة السهلة تتمتع بمنافع نفسية جمّة ، اذ ان مستوى المجلة الكوكبيلية التي تضم الاجتماع والجنس والسياسة والنكات ، لا يرتفع ابدا عن مستوى القارئ العادي الا بمقدار بوصة واحدة ، هو فرق معرفة اللفة الأوروبية بين المحرر والقارئ ، فالمحرر يختار من المجلات الأوروبية المتخصصة ، ما يغيده في اغناء مجلته الجامعة . والشباب لا يستطيع ان يقاوم البساطة لان خلفيته تؤهله لقبولها بل وللصدف عنها . والخلفية تعني المدرسة التي حشرت المعلومات الاكاديمية في رأسه ،

(1) لم تظهر سوى مجلات قليلة امكن لها ان تدمر هذا الحس بالشيخوخة المبكرة لدى الشباب ، وعلى رأس هذه المجلات كانت (الكاتب المصري) ، وقد كانت التربية النفسية التي قامت بها هذه المجلة اعظم واكبر من ان تقدر بالنسبة للجيل الشاب ..

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الجزائر أمر مؤكد ، ولكن ما هو غير مؤكد هو مستقبل الديمقراطية في فرنسا . ان الحريات تخفق تدريجيا ، والحياة السياسية تختفي ، وتعمم التعذيب ، ومهاجمة رجال الشرطة المستمرة ضد المدنيين ، كل هذا يسجل تطورا يمكن وصفه دون مبالغة بالفاشستية .. »

بل ان (فرانس بينار) وهي فتاة بسيطة للغاية ، قالت بنفسها امام المحكمة « .. انني بتعاوني مع الشعب الجزائري ومساعدتي له ، لم اعمل شيئا سوى انني طبقت مبادئ الحرية التي لقيتها على مقاعد الدراسة ، انني لاعترف هنا في حرم المحكمة بكل ما فعلت ، واتحمل مسؤوليته كاملة ، بل ان وجودي هنا جزء من هذا الكفاح » ..

انه لشرف وحشي وبهيج ، يحمي الاخلاق الفرية من التحول الى الخيانة والى الصمت - قيم المجتمعات المؤمنة بالماضي - ولعله شرف ابلغ من البطولات الاغريقية القديمة ، لان اولئك كانوا يقاومون طغيانا غير متاصل في النفوس ، او هو طغيان تجريدي ، اما البطولة الحديثة ، فهي مقاومة « فردية » ، لآلية شديدة البطش ، في امكانها سحق النبل وتحطيم القيم ، والشرف ، والتوق العظيم الى الحرية ..

ومن اجل ذلك كان الفاصل بين الشرف والصمت عندنا ، كامنا في حس الماضي ، وعادة التقاليد ، ولعله صمت من نوع جديد ، هذا الذي يشدنا الى القديم ويكبلنا به ..

ان الظاهرة البسيطة التي ندعوها : موت المجلات الفكرية في الاقليم الجنوبي ، مرتبطة الى اطنان العلاقات التشابكية التي تربط هذا الجيل بالسابق له ، وتربط علاقة الشباب بالسلطان ، وبالتعليم وبالبيئة ، وبالجو النفسي وبالتاهيل وبالديموقراطية ، وتلم كل ذلك في حقبة واحدة ، ولعل ظاهرة الكفر بالوسط الادبي والفرار منه ان تكون من ردود الافعال بازاء هذه الفوضى الفكرية التي يعيشها جيلنا .. وشيء متعب ومستحيل ان نطالب الدولة بقهر كل تلك الاسباب التي تمطر الشباب ، فذلك مرهون بفرافها من تصنيع البلاد ، وتأمين سلامتها الخارجية ، والقضاء على مؤامرات البلاد الاستعمارية بالاذلال تجارتنا وصناعتنا ..

ولكن املنا باصدار مجلة فكرية عصرية ، يستتبع قولنا ان المجلة التي تؤمن بالتعاصر خير من لا شيء ، وستتمكن قطعاً من تربية خمسة افراد او عشرين ، وهو اعظم ممن العيث قطعاً .. ان الشرفيين والترجمين والكتاب الذين اصعدوا (الكاتب المصري) ما زالوا بيننا ، وما زال الرائد الاول لهذه الحركة الفكرية الكبيرة بيننا ايضا ، وهو الدكتور طه حسين ، فلماذا لا نعيد من خبرتهم ، كمجموعة مثقفة وواعية ، ولماذا لا نكلفهم باصدار (الكاتب المصري) مرة اخرى ، باموال وزارة الثقافة هذه المرة ؟ ولعلنا لا نتحج بان العنوان غير لائق ، اذ يمكن ان نغير الالفة الى (الكاتب العربي) .. وسوف تفيد المجلة من الدرس السابق ، فتعطينا المعاصرة ، بقدر ما تحاول ان تركز فكرنا الخاص ، وان تنهض بشبابنا وتقبله عثراته ..

ولا ينبغي ذلك ، ان تقوم الوزارة بعمل قوي ضد القاهي ، وضد تجريم الشباب التافه ، في حقه وحق وطنه ، وحق هذه الشؤرة العظيمة التي يحيها جيلنا العربي بسمعه وبصره ..

لماذا لا تجرب وزارة الثقافة هذه الطاقات التي اصدت (الكاتب المصري) والتي احتجزتها الكاتب والدواين والهجوم الحياتية الاخرى ؟ انها دعوة اعلم انها غير مستحيلة ، علمي ان بالوزارة رجال بهم ، قدر ما يهمننا ، ان يرتفع مستوى الادب والفكر في اقليمنا الجنوبي (١) .

محبي الدين محمد

القاهرة

حسين والحكيم ومحمود تيمور ، بل ان تأثير الرافي والمنفلوطي كان وما يزال هائلا على شباب القرن العشرين ، وتقدمت (الكاتب المصري) لتفرض على الشباب ذي الحصول القرائي البسيط ، دراسات على غاية من الفطنة والعمق ، ومقالات هامة عن الفكر الفرنسي تحتاج عشرات المراجع ، والنصوص ، وقدمت لنا دارسين واساتذة متخصصين في التدريس للذهن الفرنسي الذي المتأدب ، والذي يملك خلفية ثقافية هائلة ، واذن فقد ظهرت مسافة الخلف الشديدة بين ذوق الشباب المصري ، وبين الفكر الاوروبي ذي التاريخ الطويل . واستمرت (الكاتب) تبعد شهرا بعد اخر عن مستوى الشباب العادي ، وانتهت مسؤولية الرابطة التي تجمع بين الكاتب والقارئ ، واغلقت الدار ابوابها . وبعد عشر سنوات طويلة ، تعرض هذا الرأي لتوكيد جديد ، فقد ظهرت اعداد لم تفض من مجلة (الكاتب المصري) فوق سور الازبكية (المكتبة الشعبية للقارئ العادي) ، ونفذت النسخ جميعا بعد شهر او اكثر ، وكان ذلك يعني ان ذهن الشباب متخلف فعلا عن الذهن الاوروبي مسافة اطول من عشرة اعوام ، وان المجلة كانت سابقة بكثير على الذهن العربي ، وما ان قصرت المدة قليلا بنشوء جيل من الشباب يقرأ المجلات الادبية الاوروبية والعربية الاخرى الصادرة من لبنان وغيرها ، حتى تغيرت النظرة الى (الكاتب المصري) وجمعت نسخها من السوق ، ولا يجب ان يقرب عن البال ، ان الذهن الفرنسي السذي كانت تترجم له (الكاتب) لم يجمد خلال هذه العشرة الاعوام ، بل تقدم كثيرا وكثيرا جدا ..

لقد جرت علينا الرهبة من الماضي ، رهبة اخرى مصاحبة ، هي الخوف من السلطان ، والذي يرتبط في اذهاننا بالملك : كنا نخشى الملك والوزراء ، بالرغم من انهم كانوا يفسدون في الارض ، وكانوا ، وكانت بطانتهم تتنازع تحت بصري وبصره ، آلاف الافدنة والعمارات ، وكانت دخولهم ترتفع عشرات الالوف من الجنيهات ، وكنا نسمع ، ونرى ، ولا نتكلم ، وكنا نؤرر بيننا ، ونللق بين انفسنا اكنوبة جبانة ، هي ان انعدام حرية الفكر سوف يمنع صوتنا عن الوصول الى الشعب ، لان الحكومة تملك الجرائد ، وتملك كل شيء ، وكان ذلك هو جرمننا الحقيقي ، اذ لم نحاول مرة واحدة ان نتقدم الصفوف ونعلن عن قضيتنا ، او كانت القضية شكلية في وعينا الى درجة ان سلوكنا لم ينفعل بها ..

لقد كانت التقاليد ايضا تجرنا الى رفض المطالبة بالديموقراطية ، لشدة ما كنا نخشى الثورة ، ونخشى الحياة ، ونخشى السلطة .. ولان الناس هنا يؤمنون بالماضي وبالسلطان كل هذا الايمان ، تجدهم يجزعون على مصير بعض كتاب فرنسا ، ازاء موقفهم الشريف ومعارضتهم لسياسة حكومتهم الباطشة تجاه الجزائر ..

ولعل كتاب فرنسا لا يتساءلون : هل تسمح لنا السلطة بنشر ذلك ام لا ؟ او هل في فرنسا حرية فكر ام لا ؟ انهم لا يتساءلون ، بل يكتبون القضية بمنتهى الشرف ، ومنتهى الرجولة ، ثم لاتت بعسد ذلك النتائج من سجن ونفي وتشريد ، فالشرف والحرية قبل كل مورياك . سارتر . جانتسون . الفني ايف مونتان ، وبقية الابطال المثنيين ، والذين يقفون ضد البطش والدكتاتورية في فرنسا ، يبعضون وجه الفكر والثقافة في كل مكان ، والفروض ان تتجاذب ابداء العالم حتى المشاركة ، وان يقل هذا الاهتمام النسوي بابداننا وطعامنا وكسوتنا .. اذا كنا اخترنا في الحقيقة ان نناضل للاشرف وان نحمي الحرية والعدالة الحققة ..

اي شرف ابلغ واعظم من الكلمات التي بعث بها سارتر الى محكمة تدينه لانه وقع على أوراق يدعو فيها الى تحرير الجزائر ومنع الجندين الفرنسيين من الحرب : « انني لاكرر القول بان استقلال

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الجمهورية العربية المتحدة

الاقليم الجنوبي
بحثاً عن مجلة أدبية

لرأسل الاداب محيي الدين محمد

★

واحد من اهم الاسباب المعوقة لوجود مجلة فكرية كبيرة في الاقليم الجنوبي ، هو داء عضال وقديم اسمه اللاتعاصر ، او عبادة الماضي ... فالسبب الاساسي لاحتجاب « الرسالة » و « الثقافة » ، والموت الفعلي لمجلات « الادب » « والشهر » « والمجلة » ، وبقيّة النشرات التي تعطل بعد اصدار عددين ، هو هذا الحس العقيم المرضي باطراح الماصرة ، واختيار القديم واللاحاح عليه . واختيار القديم لا يعني نشر الادب الجاهلي وتراث العباسيين والانديسين ، بقدر ما يعني التفكير على النمط التقليدي ، وطرح القضايا بالشكل المسموح به من التقاليد ومن جهلة الناس ومن السلطة . ولعل الحرر يضع في اعتباره اولاً ، كيفية ان يرضي الحس العاطفي في الآخرين ، قبل ان يفكر في كيفية تطويرهم وتوعيتهم .. ولعل ذلك ان يكون نقصاً في تربية الحرر ذاته ، اي ان العملية التي يقوم بها ، ليست واعية ، انما هي بتأثير تخلفه الفكري والحضاري ، وتخلف جيله بأكمله ، هذا اذا أبعدنا قضية الكسب المادي ..

اذا اخترنا عشر مقالات من عشرة اعداد مختلفة للمجلة الفكرية الاولى في الاقليم ، وهي (المجلة) ، امكن لنا ان ندرک ما هو هذا اللاتعاصر الذي يتحكم في مقدرات الكتاب والقراء ، والفروض ان (المجلة) (سجل للثقافة الرفيعة) كما يعلن الشعار : ١ - فضل مصر على صناعة السجاد في اسبانيا - ٢ - نحو دراسة العلاقات المصرية السوسرية - ٣ - الفلين - ٤ - سندباد الى تاهيتي الجديدة - ٥ - سجاجيد قاهرية واخرى متصلة بها من الناحية الفنية - ٦ - مطاردة قاتل - ٧ - المنسوجات الحربية الاثرية للدكتور شميدت - ٨ - الفنان الديني فوق المآذن والمقاريء ووسط المواسد - ٩ - من اخطاء الخبرة الجنائية امام القضاء - ١٠ - نشاط اساطيل الدول في شرق البحر المتوسط ...

وهكذا نجد ان التخطيط الواعي لماهية الفكر والادب واهدافه ووضع الاعتبار لمطالب الجيل مع مراعاة لخلفيته الفكرية ، ودراسة ظروف القارئ والفكر في الشرق العربي ، ودراسة الاتجاهات الحديثة في الادب ومناقشتها ، وتضيء التاريخ العربي ، وفتح المجال امام الدارسين والاساتذة لتقديم وجهات نظرهم الاختصاصية ، ومقارعة النظريات النقدية الغربية بالحجة ، وكل ما هو ميزة للتعاصر ، غير موجودة بالرة ، انما الامر متروک للكشكولية ، وللتنوع ، واختيار الموضوعات الاسرة والخفيفة والمسلية الى اقصى حد . ومسألة التسلية تستتبع ان ننسأل عن قارى المجلة الفكرية في الاقليم الجنوبي ، اذ انه ليس الفلاح قطعا ، والذي تكفيه هموم الري ومطالب الارض والحياة المعقدة ، ويكفيه الجهل الذي اضطر ان يزاوله طيلة هذه القرون .. وهو ليس طالب الجامعة والدارس الثانوية اطلاقاً ، اذ ان هذا يعتبر القراءة الخارجية دماراً لمقلياته الحافظة ، طالما هناك عشرات الكتب المقررة ، عليه ان يحفظها عن ظهر قلب . اذن .. هناك فئة ثابتة .. فئة تغلبت نوعياً على جهل الفلاح ، وتغلبت درجياً على مشاغل الطالب ، او اجتازتها ، وهي فئة موظفي الدولة الصفار والمتوسطين ، والمجسلة الفكرية تعرف ان توزيعها قاصر على هذه الفئة الموجودة في العاصمة بالذات ، وهي لا تضع في اعتبارها آلاف القراء خارج العاصمة ، ولها

لبنان

اسبوع الكتاب

★

أحيا لبنان هذا الشهر ، بين ٢١ و ٢٦ تشرين الثاني الجاري ، اسبوع الكتاب العربي في سلسلة من الاحتفالات والمظاهر كان « الكتاب » فيها موضوع الاهتمام والعناية والتكريم . وقد شاركت في احياء هذا الاسبوع دار الكتب الوطنية باقامة معرض للمخطوطات القديمة ، وقدمت دار الاذاعة اللبنانية برامج يومية طوال الاسبوع انتظمت احاديث وندوات ، واستمع الناس وشاهدوا على شاشة التلفزيون ندوات اخرى حول الكتاب . واقام النادي الثقافي العربي معرضه السنوي السادس بمناسبة هذا الاسبوع ، فاشتركت معظم دور النشر والكتبات بعرض كتبها فيه ، واقام اتحاد الناشرين واتحاد المطابع حفلتين كبيرتين بهذه المناسبة .

وكانت « جمعية اصدقاء الكتاب » المحرك الاول لجميع هذه الالوان من النشاط وسوف يصبح هذا الاهتمام بالكتاب تقليداً سنوياً يدل على مدى ما يعلقه هذا البلد من قيمة على الكتاب الذي هو مصدر اشعاعه الاول .

ولعل خير ما كرم به الكتاب تلك الجوائز التي اعلنتها جمعية اصدقاء الكتاب في اليوم الاول من المعرض ، فقد اذاع رئيسها الدكتور قسطنطين زريق نتيجة تقارير اللجان المشكلة لمنح خمس جوائز مالية تقديراً لعدد من المؤلفين في لبنان .

وكانت الجائزة الكبرى جائزة رئيس الجمهورية المقدمة من وزارة التربية الوطنية ، وقدرها خمسة الاف ليرة لبنانية . « تمنح لاديب تميز بالانتاج الوافر الجيد باللغة العربية » وكانت هذه الجائزة من نصيب الاديب الكبير الاستاذ مارون عبود .

اما جائزة التوجيه الوطني التي تقدمها وزارة الارشاد والانباء ، وقيمتها ثلاثة الاف ليرة لبنانية ، فقد رأت اللجنة المختصة ان تحجبها ، وكان المفروض ان تمنح لافضل مؤلف في موضوع التوجيه الوطني نشر عام ١٩٦٠ او لم ينشر . ويبدو ان الكتب المقدمة لم تكن في المستوى المطلوب .

واما جائزة الدراسة الادبية ، وقيمتها الف ليرة لبنانية تبرع بها الشاعر الاستاذ جورج صيدح ، فقد قسمت بين الاساتذتين احمد ابو حاقه لكتابه « ابو فراس الحمداني » والاستاذ الفرد خوري لكتابه « الكلمة العربية في المهجر » .

وقد منحت جائزة البحث الاقتصادي ، وقيمتها الف ليرة تقدم بها الاستاذ توفيق عساف ، لكتاب « تطورات نظم القطع في لبنان وسوريا » بقلم الاستاذ الياس سابا ، وهو موضوع باللغة الانكليزية .

اما جائزة العلوم التي يقدمها الاستاذ شكري شماس ، وقيمتها الف ليرة لبنانية ، فلم يتقدم احد لها .

و« الادب » تحيي جمعية اصدقاء الكتاب لهذا الجهد الذي بذلوه من اجل منح الكتاب ما يستحقه من تقدير بصفته عنواناً رئيسياً من عناوين التطور الحضاري .

النشاط الثقافي في الوطن العربي

ومنعته عن التفكير الذاتي ، والخلفية تعني تقاليد الأسرة والشوارع والمدنية بكاملها ، وتعني الزمالة والصدقة ، والمشاركة فيما يشارك فيه الشباب الآخرون ، ولعل ذلك ان يكون أضخم الأسباب واشدها تأثيرا ...

الشباب القارئ لا يعرف المكتبات العامة الا لامور مدرسية ، وهو لا يطبق ان يشترك في القراءة الثقيلة لان ما يفكر فيه حقيقة هو كيفية الارتفاع بمستوى دخله ، والتعتم بما فقدته في الماضي مع أسرته الفقيرة .. والتفكير في مستوى المعيشة يجر الى الارتباط اكثر واكثر مع زملاء العمل الذين يحملون ذات الهموم والالام . واذن ، فانهم يلتقون ايضا في المساء ، لا ليناقشوا الامر ويدرسوه ، بل ليقتلوه نسيانا ، فالقهى هو المدرسة الحقيقية لتخريج نمط من الشباب ، يتحكم فيه نظام (الشلة) ، حيث تسيطر على الجماعة التي تحس بالظلم ، وتحس بهذا الامان الميت الذي يقتل نشوة الحياة وتجدها وبساطتها ، تسيطر على الجماعة اخلاق الفروسية القديمة ، فيتباهون في أيهم أقدر على تحمل الخمر الرديئة ، وتحمل تدخين كميات هائلة من الحشيش . هؤلاء الفرسان المساكين لا يجدون سوى انتصارات شخصية ووهمة الى اقصى حد ، يتباهون بها ، ويسحقون في داخلهم الرجولة والنصرة والاخلاق . بل احسبني أعلم ان سؤالا واحدا يتكرر على نسق واحد في جميع المقاهي التي تشكل الحياة الثانية للشباب في الاقليم برتمه ، يسأله ويكرره شباب حائرون ومدهوشون وساخظون : ماذا نفعل هذا المساء ؟ .. هذه الحيرة المذهلة ، والتي كانت من المرجح ان تعطي جوابا ناصعا في مجتمع متفتح ، تنم هنا عن رعب من الواقع ، ورغبة عنيفة بالانزواء منه : ماذا نفعل هذا المساء ؟ بل ماذا نفعل في كل مساء ؟

ان الانتصارات الباهتة التي تفوي شبابا مجنونا بحب المباحة ، في الطاولة والورد ، وفي الشطرنج - عند الشباب المتعلم قليلا - تحجز الى مدى بعيد ، ذلك الحس الثوري الموجود في شباب العالم الآخرين . انه هنا انتصار ، ليس على زميل في لعبة تافهة ، بل على عالم كامل بكل قيمه واخلاقه . انتصار على عالم غني بالامكانيات لا يسمح بالطاء الا بمقدار ، ولعلنا نؤكد ذلك ، من ان المهزوم في لعبة من هذه الالعاب ، لا يستطيع ان ينام الليل حتى يأخذ بشأره ، وعندئذ يرتفع ذلك السلام العظيم مرة اخرى ، فيجل على الطبيعة والكائنات ...

ان القهى هو ايضا شبكة تقليدية من شباك الماضي ، فمنذ الفرائنة ، كان الشعب المصري يؤدي عملا واحدا ميكانيكيا طيلة اليوم ، وينتهي منه ، ثم ينتظر ان يقوم الاله بالباقي (النظام المركزي الحديث) .

واذن ، فقد كانت المجالات الفكرية حبيصة تماما ، في انها لم تعلن عن جس الرفض الذي يخشاه الشباب ، ويتوجهون من جرائه الى المقاهي : لقد اختاروا ان يرفضوا التعاصر ، وان يعلنوا عن التقاليد ..

وفي تاريخنا الحديث مجلة فكرية هامة هي (الكاتب المصري) ، ادركت بفريرتها الواعية ان القاتل الحقيقي ليس الا هذا الحس القديم المتشفي في شبابنا المتأدب ، وحاولت ان تقوض ذلك باتباع منهج قضى عليها في النهاية .

اخبارات (الكاتب) ان تعرف التعاصر الى العربي ، ولما كانت رغبته شديدة في ذلك ، بالإضافة الى وعيها بالمستوى المتخلف الذي عليه العربي ، فقد تحولت من مجرد تعريف التعاصر ، الى تقديم شدة التعاصر ، وفقدت بذلك الصلة بينها وبين القارئ الجديد .. فقد كان مستوى القروء بين الشباب هو مستوى المازني وطه

الحق في ذلك ، فان نسبة الجهل القرائي ، والتي يعاني منها الاقليم كافية لدحر اية محاولة لتوصيل الفكر الى الفلاحين والى بقية الجمهور غير المثقف ..

فئة موظفي الدولة تنقسم الى قسمين : الكبار والشباب . كبار السن لا يقرأون سوى الجريدة اليومية ، والمجلة المصورة كآخر ساعة والمصور وروز اليوسف وصباح الخير ، لانهم وصلوا الى السن التي فقدوا فيها الامل ، وهم يبحثون عما يؤكد فيهم ذلك الثبات القديم لمعارفهم ووعيهم ، ولا يطيقون ان يحيوا مرة اخرى بدايات المجلة الفكرية ، وتحطيمها لثقافتهم وعجزهم ، وتخلفهم (1) ... وجد المحررون ان عليهم عبء مواجهة الشباب وحده ، وضمان سوقه ، وكانوا من الذكاء ، لدرجة انهم لاحظوا مطالبه وادركوا رغبته اولا ، فالشباب يعني شدة الحياة ، والاقتصار على شهادتها وعسلها ، وهذه الرغبة العارة بالانكفاء على طلب المتعة في شباب الاقليم ، لا يفسره سوى تعاسة الأسرة وفقرها ، اي ان سلوك الشباب الراهن هو من ردود الافعال ، وتعويف للماضى شديد القسوة عليه وعلى أسرته ، والتحول الى طلب البساطة ، والمتعة السهلة ، تحول طبيعي للفاية ، اساسه تأمين الحاضر والاستفادة من صغر السن ..

واذن فقد اتجه المحررون الى الثقافة الاتساعية ، ولم يتجهوا الى التخصص والتعميق ، لان ذلك يتطلب من الشباب جهودا عقلية هم في غنى عنها . وكان هذا الوعي المفترض في الشباب ، او امكانية وعيه ، تقاوم بشدة من جهات (ثقافية) رسمت سياستها ايد غير حريصة على النهضة ، أصدرت (المختار) و (الهلال) ، وتفكر في اصدار طبعة غير مترجمة للمجلتين الاميركيتين المتساحتين : لايف وتايم .

يوم العمل في الوظائف الحكومية رتيب ومتكرر وآلي ، والنظام القديم المستعمل في هذه الاديرة الازلية نظام روتيني يعطل في الموظف عقله وشعوره بالمسؤولية ، فكل الأوراق وكل علاقاته بالجمهور مبنية على احالة الأوراق الى الجهات المركزية ، وعدم التصرف بها ، حتى لو كانت امكانية ذلك مفروضة ، وعلى ذلك فالموظف يقضي نهارا مملا للفاية ، متعجلا انقضاءه ، وحاسبا حساب الوقت الذي ينطق فيه عقربا الساعة على الثانية ظهرا . والمجلة تعرف ذلك وتفهمه ، وهي لهذا السبب تحذر ان توجه اليه كلمة المسؤولية او الفكر او العقل ، هذه الادوات الميتة او المعطلة فيه ، وهي تحاول بدل ذلك ان تسليه وتهمدده ، بان تمنحه نقيضا جديدا للله ، هناك الجمود والروتينية ، وهنا الحيوي واللون ، والجنسي ، والجديد ...

ولما كانت مجالات الاختصاص غير موجودة ، اي المجلة العلمية ، والمجلة القانونية ، والمجلة السياسية ، والمجلة الادبية الى آخرة ، فان القارئ المهتم بالادب يقع ايضا ، كالقارئ الذي يتخذ القراءة مادة للتسلية ، في شراك التبسيط والتسهيل ، والمادة السهلة تتمتع بمنافع نفسية جمّة ، اذ ان مستوى المجلة الكوكبيلية التي تضم الاجتماع والجنس والسياسة والنكات ، لا يرتفع ابدا عن مستوى القارئ العادي الا بمقدار بوصة واحدة ، هو فرق معرفة اللفة الأوروبية بين المحرر والقارئ ، فالمحرر يختار من المجلات الأوروبية المتخصصة ، ما يغيده في اغناء مجلته الجامعة . والشباب لا يستطيع ان يقاوم البساطة لان خلفيته تؤهله لقبولها بل وللسدافع عنها . والخلفية تعني المدرسة التي حشرت المعلومات الاكاديمية في رأسه ،

(1) لم تظهر سوى مجلات قليلة امكن لها ان تدمر هذا الحس بالشيخوخة المبكرة لدى الشباب ، وعلى رأس هذه المجالات كانت (الكاتب المصري) ، وقد كانت التربية النفسية التي قامت بها هذه المجلة اعظم واكبر من ان تقدر بالنسبة للجيل الشاب ..

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الجزائر أمر مؤكد ، ولكن ما هو غير مؤكد هو مستقبل الديمقراطية في فرنسا . ان الحريات تخفق تدريجيا ، والحياة السياسية تختفي ، وتعمم التعذيب ، ومهاجمة رجال الشرطة المستمرة ضد المدنيين ، كل هذا يسجل تطورا يمكن وصفه دون مبالغة بالفاشستية .. »

بل ان (فرانس بينار) وهي فتاة بسيطة للغاية ، قالت بنفسها امام المحكمة « .. انني بتعاوني مع الشعب الجزائري ومساعدتي له ، لم اعمل شيئا سوى انني طبقت مبادئ الحرية التي لقيتها على مقاعد الدراسة ، انني لاعترف هنا في حرم المحكمة بكل ما فعلت ، واتحمل مسؤوليته كاملة ، بل ان وجودي هنا جزء من هذا الكفاح » ..

انه لشرف وحشي وبهيج ، يحمي الاخلاق الفرية من التحول الى الخيانة والى الصمت - قيم المجتمعات المؤمنة بالماضي - ولعله شرف ابلغ من البطولات الاغريقية القديمة ، لان اولئك كانوا يقاومون طغيانا غير متاصل في النفوس ، او هو طغيان تجريدي ، اما البطولة الحديثة ، فهي مقاومة « فردية » ، لآلية شديدة البطش ، في امكانها سحق النبل وتحطيم القيم ، والشرف ، والتوق العظيم الى الحرية ..

ومن اجل ذلك كان الفاصل بين الشرف والصمت عندنا ، كامنا في حس الماضي ، وعادة التقاليد ، ولعله صمت من نوع جديد ، هذا الذي يشدنا الى القديم ويكبلنا به ..

ان الظاهرة البسيطة التي ندعوها : موت المجلات الفكرية في الاقليم الجنوبي ، مرتبطة الى اطنان العلاقات التشابكية التي تربط هذا الجيل بالسابق له ، وتربط علاقة الشباب بالسلطان ، وبالتعليم وبالبيئة ، وبالجو النفسي وبالتاهيل وبالديموقراطية ، وتلم كل ذلك في حقبة واحدة ، ولعل ظاهرة الكفر بالوسط الادبي والفرار منه ان تكون من ردود الافعال بازاء هذه الفوضى الفكرية التي يعيشها جيلنا .. وشيء متعب ومستحيل ان نطالب الدولة بقهر كل تلك الاسباب التي تمطر الشباب ، فذلك مرهون بفرافها من تصنيع البلاد ، وتأمين سلامتها الخارجية ، والقضاء على مؤامرات البلاد الاستعمارية بالاذلال تجارتنا وصناعتنا ..

ولكن املنا باصدار مجلة فكرية عصرية ، يستتبع قولنا ان المجلة التي تؤمن بالتعاصر خير من لا شيء ، وستتمكن قطعاً من تربية خمسة افراد او عشرين ، وهو اعظم ممن العيث قطعاً .. ان الشرفيين والترجمين والكتاب الذين اصعدوا (الكاتب المصري) ما زالوا بيننا ، وما زال الرائد الاول لهذه الحركة الفكرية الكبيرة بيننا ايضا ، وهو الدكتور طه حسين ، فلماذا لا نعيد من خبرتهم ، كمجموعة مثقفة وواعية ، ولماذا لا نكلفهم باصدار (الكاتب المصري) مرة اخرى ، باموال وزارة الثقافة هذه المرة ؟ ولعلنا لا نتحج بان العنوان غير لائق ، اذ يمكن ان نغير الالفة الى (الكاتب العربي) .. وسوف تفيد المجلة من الدرس السابق ، فتعطينا المعاصرة ، بقدر ما تحاول ان تركز فكرنا الخاص ، وان تنهض بشبابنا وتقبله عثراته ..

ولا ينبغي ذلك ، ان تقوم الوزارة بعمل قوي ضد القاهي ، وضد تجريم الشباب التافه ، في حقه وحق وطنه ، وحق هذه الشؤرة العظيمة التي يحيها جيلنا العربي بسمعه وبصره ..

لماذا لا تجرب وزارة الثقافة هذه الطاقات التي اصدت (الكاتب المصري) والتي احتجزتها الكاتب والدواين والهجوم الحياتية الاخرى ؟ انها دعوة اعلم انها غير مستحيلة ، علمي ان بالوزارة رجال بهم ، قدر ما يهمننا ، ان يرتفع مستوى الادب والفكر في اقليمنا الجنوبي (١) .

محبي الدين محمد

القاهرة

حسين والحكيم ومحمود تيمور ، بل ان تأثير الرافي والمنفلوطي كان وما يزال هائلا على شباب القرن العشرين ، وتقدمت (الكاتب المصري) لتفرض على الشباب ذي الحصول القرائي البسيط ، دراسات على غاية من الفطنة والعمق ، ومقالات هامة عن الفكر الفرنسي تحتاج عشرات المراجع ، والنصوص ، وقدمت لنا دارسين واساتذة متخصصين في التدريس للذهن الفرنسي الذي المتأدب ، والذي يملك خلفية ثقافية هائلة ، واذن فقد ظهرت مسافة الخلف الشديدة بين ذوق الشباب المصري ، وبين الفكر الاوروبي ذي التاريخ الطويل . واستمرت (الكاتب) تبعد شهرا بعد اخر عن مستوى الشباب العادي ، وانتهت مسؤولية الرابطة التي تجمع بين الكاتب والقارئ ، واغلقت الدار ابوابها . وبعد عشر سنوات طويلة ، تعرض هذا الرأي لتوكيد جديد ، فقد ظهرت اعداد لم تفض من مجلة (الكاتب المصري) فوق سور الازبكية (المكتبة الشعبية للقارئ العادي) ، ونفذت النسخ جميعا بعد شهر او اكثر ، وكان ذلك يعني ان ذهن الشباب متخلف فعلا عن الذهن الاوروبي مسافة اطول من عشرة اعوام ، وان المجلة كانت سابقة بكثير على الذهن العربي ، وما ان قصرت المدة قليلا بنشوء جيل من الشباب يقرأ المجلات الادبية الاوروبية والعربية الاخرى الصادرة من لبنان وغيرها ، حتى تغيرت النظرة الى (الكاتب المصري) وجمعت نسخها من السوق ، ولا يجب ان يقرب عن البال ، ان الذهن الفرنسي السذي كانت تترجم له (الكاتب) لم يجمد خلال هذه العشرة الاعوام ، بل تقدم كثيرا وكثيرا جدا ..

لقد جرت علينا الرهبة من الماضي ، رهبة اخرى مصاحبة ، هي الخوف من السلطان ، والذي يرتبط في اذهاننا بالملك : كنا نخشى الملك والوزراء ، بالرغم من انهم كانوا يفسدون في الارض ، وكانوا ، وكانت بطانتهم تتنازع تحت بصري وبصره ، آلاف الافدنة والعمارات ، وكانت دخولهم ترتفع عشرات الالوف من الجنيهات ، وكنا نسمع ، ونرى ، ولا نتكلم ، وكنا نؤرر بيننا ، ونللق بين انفسنا اكتوبة جبانة ، هي ان انعدام حرية الفكر سوف يمنع صوتنا عن الوصول الى الشعب ، لان الحكومة تملك الجرائد ، وتملك كل شيء ، وكان ذلك هو جرمننا الحقيقي ، اذ لم نحاول مرة واحدة ان نتقدم الصفوف ونعلن عن قضيتنا ، او كانت القضية شكلية في وعينا الى درجة ان سلوكنا لم ينفعل بها ..

لقد كانت التقاليد ايضا تجرنا الى رفض المطالبة بالديموقراطية ، لشدة ما كنا نخشى الثورة ، ونخشى الحياة ، ونخشى السلطة .. ولان الناس هنا يؤمنون بالماضي وبالسلطان كل هذا الايمان ، تجدهم يجزعون على مصير بعض كتاب فرنسا ، ازاء موقفهم الشريف ومعارضتهم لسياسة حكومتهم الباطشة تجاه الجزائر ..

ولعل كتاب فرنسا لا يتساءلون : هل تسمح لنا السلطة بنشر ذلك ام لا ؟ او هل في فرنسا حرية فكر ام لا ؟ انهم لا يتساءلون ، بل يكتبون القضية بمنتهى الشرف ، ومنتهى الرجولة ، ثم لاتت بعد ذلك النتائج من سجن ونفي وتشريد ، فالشرف والحرية قبل كل مورياك . سارتر . جانتسون . الفني ايف مونتان ، وبقية الابطال المثنيين ، والذين يقفون ضد البطش والدكتاتورية في فرنسا ، يبضون وجه الفكر والثقافة في كل مكان ، والفروض ان تتجاذب ابداء العالم حتى المشاركة ، وان يقل هذا الاهتمام النسوي بابداننا وطعامنا وكسوتنا .. اذا كنا اخترنا في الحقيقة ان نناضل للاشرف وان نحمي الحرية والعدالة الحققة ..

اي شرف ابلغ واعظم من الكلمات التي بعث بها سارتر الى محكمة تدينه لانه وقع على أوراق يدعو فيها الى تحرير الجزائر ومنع الجندين الفرنسيين من الحرب : « انني لاكرر القول بان استقلال

فهرس الآداب العام للسنه الثامنة ١٩٦٠

راجع بريد الآداب تحت مادة « بريد » . والقصائد تحت مادة « شعر » . والقصص تحت مادة « قصة » .
والنتاج الجديد تحت مادة « كتاب » . والمناقشات تحت مادة « مناقشة » . والنشاط الثقافي تحت مادة « نشاط » .

١ - فهرست الموضوعات

المقال	العدد	الصفحة	المقال	العدد	الصفحة	المقال	العدد	الصفحة
١			الثورة تحت المجهر	١	٦٢	الشعر الانثوي وديوان « العودة	٢	١٣
الابطال المهزومون في « العودة	٦	٣٤	ثورة ... على الفكر العربي المعاصر	١	٢٦	من النبع العالم		
من النبع العالم			ثورة القومية العربية	١	٣	الشعر الثوري في الادب المعاصر	١	١٥
ابو زيد الهلالي والغول المدمس	٢	٥٨	ج			« شعر »		
احمد شوقي والشعب	٥	٥٦	الجزائر والحرية	١١	١	آذار وانصار السلام	٣	٣
احمد حسن الزيات	١٢	١٨	الجنس والحضارة	١٠	٤٦	احلام الشهداء	١	١٠١
احمد عبد المعطي حجازي في	١٠	٣٤	« الجواد الابيض » وزمن المرارة	١١	٢٤	اربع رسائل الى حبيبة نائية	٩	٢٢
« مدينة بلا قلب »			جبل الصمت وقضية الشرف	٩	٦٣	اطفال اغادير	٨	٣٣
الاخلاق في التعاليم البوذية	١٠	٥٨	جبل القدر « ومطاع صفدي	١٠	١٨	اغنية الى الجنوب	٦	١٧
الادب بين الواقع والوجدان	٣	٥٥	ح			اغنية الى ولدي هشام	٦	٥٠
ادب الثورة وثورة الادب	١	١٠	الحرف العربي والحرف اللاتيني	١٢	٤٤	اغنية عربية	١	٣٣
ادبنا الثوري	١	١	حصار القمر	١٢	٤٩	اغنية العودة	٧	١٥
الادب والحياة	١٠	١	حوحو ونضال الكلمة	١٢	٥٥	اغنية للشعري	١١	١٥
ادبنا الثوري والموقف الحضاري	١	١٢	خ			اغنية من بور سعيد	١	٧٠
الاديب والموت	٩	١	الخبز والكتابة	٢	٣٠	اغنية الميناء	٣	٢١
اشراقات من الشعر المعاصر : مدائح	٤	٣٤	د			الافعى الفادرة	٣	٥٠
لسان جون بيرس			دراسة ونقد « الخندق العميق »	٣	١٠	الى جميلة بوياسا	٨	٦
اغنية لها	١٢	٦	لسهيل ادريس	١١	٢	الى جميلة القضية	١	٦٤
الله في « الخندق العميق »	٤	١٥	دروب الحرية	٧	٧	الى قديسة	١	٩
الانسان وازمة الجزائر	١٢	١	دموع ناتاشا	٨	٤٢	الى لاجئة	٩	٩
الانسان والخوف	١٠	٢٩	ر			الى مصطفى	١٠	٤٠
ب			راي آخر في رواية مطاع صفدي :	١١	٣٧	اليك يا مسافرة	٢	٣٣
بحث في البناء الشعري : هيكل	٦	٧	« جيل القدر » الرواية السيمفونية	٣	٣٨	امطار سوداء	٧	٤٤
القصيدة			رايان في ديوان ملك عبد العزيز :	٧	٢٦	انتصار بور سعيد	٢	٥
« بريد »			« اغاني الصبا »	١١	٢٨	بابل	٦	٣٣
الى الاستاذ حبيب الزحلاوي	٨	٧٩	ت			باريس والكلمات المضيئة	١٢	٥
حصرم الوالد يقرى الولد	١١	٧٠	التاريخ بين القومية والانسانية	٤	١	بعث جديد	١	٦١
حول قصيدة « صلاة »	٥	٧٢	تحرير جيل من الوهم	٥	١٥	بغداد والربيع	٥	١٣
حول قصيدة الظل	١١	٧٠	س			ثلاث اغنيات شيوعية	٣	١
حول مسابقات الادب	٤	٧٩	سميد تقي الدين والقصة القصيرة	٥	٥	الجرح الخالد	١	٤٩
ث			سلاح الادب	٢	١	الجلد الذي انصهر	٢	٢٨
الثرثرة بين القومية والانسانية	٤	١	سلفادور دالي	٩	٥٦	الجوع	١٠	٣٣
تحليل جيل من الوهم	٥	١٥	ش			حامد	٢	١٢
تموز الجديد	٢	١٧	الشرق العالم	١٢	٢٧	الحب والمطر	٤	٥٦
ثورة الادبية الاولى	١	٧				الحقد والفولاذ	١	٤١

العدد	الصفحة	المقال	العدد	الصفحة	المقال	العدد	الصفحة	المقال
٥	١٩	السندباد في رحلته الثامنة	٢	٩	وقد حدثتني ذات ليلة	١٢	٢٦	الشمس والنمل
٣	٢٦	شاهد	١٢	٢٣	لادر في الصدف	٥	٢٥	شاهد
١٢	٢٦	الصلاة الأخيرة	٥	٢٦	يا حزن رحمة بنا	١٢	٢٦	شيء يولد
١١	١٧	صرعى الحزن	٧	٤٥	ص	١٠	١٧	الصقيع وكنبة السعال
٦	٢٣	الصمت والشاعر	١	٣١	« صبحية مباركة » على ضوء الالتزام	٥	٥٢	صيحة الرواد
١	١٨	الطبول	١٠	١٢	صرخة نائرة .. وداعا ايها الادب	٧	١٨	طريق المدينة
٧	٦	الطفل والحزن	١١	٥٣	صلاح عبد الصبور	١٢	٣٣	الظل
٩	٣٣	عروس اوراس	٢	٥٣	صلاح عبد الصبور والشعر العاطفي	٧	٣٣	عند البصارة
٨	١٧	عند البصارة	٦	٤٩	الصورة بين الشعر القديم والشعر المعاصر	٧	١٠	عندما تنام القاهرة
١٢	١٠	عندما تنام القاهرة	٦	٤٩	ط	١٠	٣٩	عنكبوت
٢	٤٩	عودة الى الرفاق المتعبين	١	٧٨	ع	١٠	٦٦	عودة الى المبد
٧	٢٦	عودة شالوميت الثانية	٧	٥٦	العاشقة النائرة	٧	٤٥	عودة شالوميت الثانية
٨	٢٧	العيد والصغيرة	٢	٦	المعقبة	٨	٢٤	العيد والصغيرة
٦	٤١	فجرية	٢	٦	العطش والتعطش في الاغاني العراقية	٦	٢٨	فجرية
٣	٢٠	الفرح	٩	٤٤	ف	٣	٢٠	غرياء
٩	٣٣	فرسان طواحين الهواء	٤	٢٨	فصل الخطاب .. في الفرغونية	١٢	١٧	الفرح
١	٩٦	في اعماق الليل	٦	٢٩	الفلسفة وموقفها من البشرية	٩	٣٣	فرسان طواحين الهواء
١٠	١١	قصيدة الى الفجر	٨	٢٨	في الادب الجزائري مولود معمري	١	٩٦	في اعماق الليل
١١	٥٦	قطرة حنين	٩	٤٤	ق	١٠	١١	القصيدة الأخيرة
٣	٤٦	الكلمة اقوى من الموت	٢	٥	قرات العدد الماضي في الاداب	١	٥٦	قصيدة الى الفجر
١	٧٢	الكلمة والثورة	٣	٨	ك	١١	٥٨	قطرة حنين
١١	٤٨	كلمات من جليد	٤	١٠	لا تنتظر يا قمري القبيح	٣	٤٦	الكلمة اقوى من الموت
١٢	٤٢	المطف البرتقالي	٥	١٢	كامو والبحث عن السعادة	٣	٣٢	الكلمة والثورة
٣	٣٧	اللقاء الاول	٦	١٣	كامو والنمزي	٣	٣٧	كلمات من جليد
٥	١٤	لك النصر يا بغداد	٧	٩	كامو ونظرية التمرد	٣	٣٧	لا تنتظر يا قمري القبيح
٤	٤٥	لهات الارض	٨	٧	« كتاب »	٣	٣٧	المطف البرتقالي
٤	٤٠	مدينة تاكل الجياح	٩	٥	آخر الطريق	٣	٣٧	مكادي
٣	١٦	مدينة الغرب	١٠	٩	سبعون ... حكاية عمر	٣	٣٧	من اغاني الحواكير
١٢	٤٢	المطف البرتقالي	١١	١٨	شعراء مجدودون	٣	٣٧	المهزومون
٨	١٧	مكادي	٣	٨	سهيل الجواد الابيض	٣	٣٧	الموت
٦	٤٦	من اغاني الحواكير	٣	٨	قصائد من الماضي	٣	٣٧	الموت الجديد
٨	٣١	المهزومون	٣	٨	متى يعود المطر	٣	٣٧	ميت قبل المعركة
٩	١٥	الموت	٣	٨	من مذكرات قومي متامر	٣	٣٧	نبوة
١	٩٧	الموت الجديد	٣	٨	المفهوم الحديث لرجل الدولة	٣	٣٧	نبوة في عام ١٩٥٦
١٠	٢٨	ميت قبل المعركة	٣	٨	المنافسة الدولية	٣	٣٧	هدية صغيرة
٤	٤٩	نبوة	٣	٨	ناجي الشاعر	٣	٣٧	الهرة السوداء
٦	١٠	نبوة في عام ١٩٥٦	٣	٨	نحن والتاريخ	٣	٣٧	همسات للالم
٤	٣٣	هدية صغيرة	٣	٨	الهاوية	٣	٣٧	هيروشيما على صدر افريقيا
٣	٤	الهرة السوداء	٣	٨	الوجودية والاسلام	٣	٣٧	وجوه
٩	٣	همسات للالم	٣	٨		٣	٣٧	الوجه الواحد
٨	٢٠	هيروشيما على صدر افريقيا	٣	٨		٣	٣٧	
١١	١١	وجوه	٣	٨		٣	٣٧	
١١	٤٢	الوجه الواحد	٣	٨		٣	٣٧	

المقال	العدد	لصفحة	المقال	العدد	الصفحة	المقال	العدد	الصفحة
وقصص اخرى	٩	٣٥	حول رمز الاب	١٢	٦٥	نيكرا سوف فيلسوف الازمة	٥	٢٢
م			حول قصة « الشمس الرابعة »	١٢	٦٧	الفرنسية		
ماساة الاديب العربي	٩	٥٣	حول « القومية العربية والحياة »	٧	٦٤	« نشاط »		
الماساة في مقصورة ابن دريد	٢	١٩	حول « القومية العربية والتشككون »	٨	٦٢	ادباؤنا والاخلاق	٨	٧٣
المثقفون والبناء الفكري	١٢	١٢	حول القومية والارهاب	٩	٧٠	ازمة الادب في لبنان	٢	٧٣
المثقفون والمجتمع العربي	١	٥٠	حول مصارعة الثيران في السياسة	٢	٦٣	اسبوع الكتاب	١٢	٧٣
محاولة نقدية : « الديك الاحمر »	٨	٤٧	الدولية			الى عبد الباسط الصوفي	٩	٧١
محمد العيد كبير شعراء الجزائر	٥	٤٩	حول مقال « الابطال المهزومون »	٧	٦٣	باليه لينغراد	٢	٧٥
محمود تيمور	٩	١٠	حول نيكرا سوف سادتر	٧	٦١	بيان الادباء الاحرار	٨	٧٥
المداحون روح الكنانة	٥	٥٩	رد على نقد	٧	٦٧	بيان من الادباء الاحرار	٣	٦٨
مشكلة التراث والتقدم	٧	٨	ظاهرة خطيرة في ادبنا الحديث	٩	٦٨	جمعية اصدقاء الكتاب	١٠	٧٢
معنى الادب عند سلامة موسى	١	٤٢	الظواهر الشعرية الحديثة	٧	٦٨	الدكتور حنفي والقصة العربية	١٠	٧٧
مفهوم العمل الادبي	٤	٤٦	على هامش النقد	١٠	٦٢	رواية نجيب محفوظ الاخيرة		٧٤
مقدمة اقاصيص « فتاة في المدينة »	٩	١٨	عندما تدافع الفرعونية عن محمد	٢	٦٢	العادلون والسر في دمشق	١٠	٧٣
تلميذ لتشيوكوف			عودة الى ماساة الاديب العربي	١١	٦٢	فرقة رضا للفنون الشعبية	٥	٦٩
ملاحم الادب الثوري في العراق	١	٢٣	فرعون من جديد	٣	٦١	فلسفة الجوانية او البرجسونية	٤	٧٠
من جحيم فرديتي .. الى نعيم	١	٩٣	فرعون ومحمد	٤	٦٥	الشائنة الارتجالية في السينما		
الوطنية في شعر ابراهيم طوقان			قصة « عيون الاطفال » والنقد	٨	٦٣	المصرية		
منديل وداع من مسافر	٨	١٨	القومية والشعور	٩	٦٦	القاهرة ام بيروت	٨	٦٩
من روائع الشعر الاسباني المعاصر :	٥	٢٧	القومية والعقيدة	٩	٦٦	قضية شرف	٧	٧٣
مختارات من جوستافوبكر			ليست فرعونية وانما علمية	٤	٦٦	قضية الشعراء الشبان	٨	٦٩
مواقف ازاء التضحية	١	٨٢	مزيد من النقد وقليل من الحقد	٧	٦٥	مسح الريف فلكلوريا	٥	٧١
ميخائيل نعيمة والكون والاسلام	٦	٢٤	ملتزمون ام متعصبون ؟	٢	٦١	مشاكل الادب السوداني	٥	٨٠
« مناقشة »			ملاحظات	١٢	٦٨	مشاكل الجنس الاخر	٥	٦٩
افلاس	١٠	٦٥	مواقف متناقضة	٥	٦٣	مهرجان ادبي	٩	٧٢
الى اخي وحيد النقاش	١٢	٦٦	الوحدة العربية والنظريات العلمية	٧	٦٠	النقد الادبي في الجزائر	٩	٧٤
الى الدكتور احسان عباس	٨	٦٤	... وكلمة اخرى	١٠	٦٣	هموم الشباب	٣	٦٤
الى الدكتور عزت النص	٣	٦٣	ن			وفاة ادهم واثلي	٢	٧٤
بغداد والموت	٢	٦٤						
بين شكري وبدور	٥	٦٥						
تحية لا دفاع	١٢	٦٧						
« جيل القدر » وقواعد النقد	١١	٦٠						
حقائق تاريخية	٥	٦٢						
حول « الادب بين الواقع	٤	٦٧	الناقد	٣	٢٨	الهاربون من الحرية	٢	٣٦
والوجدان »			« النبع الحالم » وحزن الهزيمة	٦	٣٨	هل الاشتراكية بديل	٤	١١
حول ازمة القصة العربية	١١	٦٦	نجيب محفوظ	٦	١٨	ي		
حول القصة العربية ايضا	١١	٦٨	نحو ادب قومي جديد	٥	٣٤	يحيى حقي	٧	١١
			النهاية في « بداية ونهاية »	١١	٤٣			



٢ - فهرست الكتاب

الكتاب	العدد	الصفحة	الكتاب	العدد	الصفحة	الكتاب	العدد	الصفحة
١								
الاداب	٢	١		٤	٢٨		٣	٢٦
ابو سنة - محمد	٦	٤٥		٥	٣٤		٦	٢٢
ابو سليم - محمد ابراهيم	٩	١٥		٦	٤٤		٩	٢
ابو عرقوب - احمد حسن	١٢	٤١		٧	٦٠		٩	٣٢
ابو النجا - محمد	٨	٤١	البصير - عبد الرزاق	٨	٦٣		١٢	٢٣
احمد - عاطف	٨	٣٤	بكاب - محمد فضل	٩	٧٠	الخوري - رفيق	٢	١٨
ادريس - الدكتور سهيل	٤	٦٦	الببك - عبد الرحمن	٧	٦٤	د	١٢	٥
	١٢	٢٧	ت	١١	٦٦			
	١	١	تامر - زكريا	٥	٥٣	دستوفسكي	٦	٥٥
	٢	١٠	تنير - سمير	٤	٣٤	الدخان - صالح عبده	٨	٦٢
	٤	٨		١١	١٨	دلبرين - محمد	١٢	٦٨
	٥	٥		٤	٥٥	ديب - وديع	٢	٤٩
	٦	١				ر		
	١٠	١				الراس - شريف	٢	٥٨
	١١	١					٥	٥٩
الادبي - الفه	٢	٣٤	ج			الراوي - عدنان	١	٢٥
اسعد - علي محمد	٩	٦٦	جادو - عبد العزيز	١٠	٤٦		٢	٥
اسماعيل - صدقي	٢	١٩	الجنسي - حسن جواد	٥	٦٣	رضا - جليلة	٣	٣٩
محيي الدين - اسماعيل	١	٢٣	الجندي - علي	٣	٤		٧	
	٢	١٧	الجوسي - سلمى الخضراء	١	١٢	ز		
	٣	٥١		٣	١٨	زحلاوي - حبيب	١١	٧٠
	٤	١٧	ح			زعتير - اكرم	٤	٥٠
	٦	١٤	حاوي - ايليا	٢	٥٣	زكي - فتحي	٢	٢٤
	٨	٢٢	حاوي - خليل	٥	١٩	زيمور - علي	٧	٣٤
	١١	٤		١٢	١٠		١٠	٥٨
الكسان - جان	٥	٣٨	حبيب - فريد	٥	٣٠	س		
	١٠	٢٤	حجازي - احمد ع.	٦	١٢	س.ا.	٩	١
	١٢	٢٤	الحسامي - نذير	٣	٥٠	سارتر - جان بول	١١	٢
الامين - فضل	١	٦٧	حسن - سعيد محمد	٧	٦٥	سالم - جورج	١٢	٣٤
ايوب - كامل	١	٧٢		١٠	٦٣	السباعي - فاضل	١	٧٨
	٤	٤٩	الحسن - ظافر	٤	٤٥		٣	٤٨
	٨	١٥	الحسناوي - محمد محمود	١٢	٣٨		٦	٤١
ب			الحفري - صابر	٣	٥٧		٩	٥٣
بابصيل - محمد سعيد	٥	١٤	حكواتي - ماجد	٣	٤٦		١١	٦٣
بارت - لورنس	٣	٥١	الحلواني - محمد خير	٥	٥٦		٦	٢٨
البخاري - محمد	١	٩٦	حنفي بن عيسى	١١	٥٧	سبول - تيسير	٨	٢٧
بدر - عبد المحسن طه	٥	١٠	حوراني - يوسف	٣	٥٥		٨	٦٤
	١٠	١٨	خ			سرخان - محمد نمر	١٢	٤٦
بنور - علي	١	١٢	الخوري - خليل	١	٦٤	سرور - نجيب	٨	٧
	٢	٥٠					١٠	١٧
	٢	٦٢						
	٣	٦٣						

العدد	الصفحة	الكاتب	العدد	الصفحة	الكاتب	العدد	الصفحة	الكاتب
٩	٨	عبد الصبور - صلاح	٤٧	٨	صبحي - شفيق	٥٦	٩	سعد - فاروق
٤٣	١١	عبد الظاهر - محمود حشمت	٣١	١	صبحي - محيي الدين	٤٩	٥	سعد الله - أبو القاسم
١٥	١	عبد العزيز - ملك	٣٠	٢		٥٦	١٢	
٩	٣		٣٤	٦		٣٢	٣	سعدى - عثمان
١٧	٩		٧	٩		٢٨	٨	
٧٠	١١		٤٠	٤	صديق - أحمد محمد	٤٤	٩	
١٧	١٢		٥٢	٥	صرداوي - موسى	٧٦	٤	سعيد - ناشد
٦٢	١	عبد الله - الحساني حسن	٦٣	٧		٦٦	١٠	سند - كيلاني حسن
٤٢	٣		٥٢	١١		٣٧	٩	سواح - فراس
٢٨	١٠		٦٧	٤	صعب - حسين علي	٥٧	١	سويد - أحمد
٤٢	١١		٧٠	٣	صعب - هاني	٢٥	٤	
٣٣	١١	العتيلي - حكمت	٣٤	٤		٦	١٢	
٢٠	١	العجيلي - الدكتور عبد السلام	٨	١٠		١٠	٦	السياب - بدر شاكر
٤٤	١٢	عندره - اسماعيل	٦٠	٩	صفدي - عصام			
٥١	٤	ع. د.	٣٤	١	صفدي - مطاع			
١٥	١١	العريض - ابراهيم	١٣	٢				ش
٦٦	١	غزام - سميرة	٦١	٢				
١٥	٤		٦٠	١١		٤٢	١٢	الشرايبي - كمال فوزي
١٣	٧		٣٧	١٢		٥	١٠	شراة - عبد اللطيف
٢٨	٧	عطايا - رثيف	٦٥	٥	صموئيل - سعد	٨٢	١	الشريف - طارق
٣٣	٤	علوش - ناجي	٤١	١	الصوفي - عبد الباسط	٤٦	٤	الشريف - الطيب
٣٣	٧		١٦	٣		٤٩	٦	
٣٤	١٠		٦	٧		٣١	٨	
٢٣	١١		١٧	٨		٣٨	٣	الشريف - عابدة
٦١	١	عمران - محمد				٤١	٤	الشريفي - خالد
٤٤	٧					٤٧	٣	شعبان - بهيج
١٨	١	العيسى - سليمان			ط	١٢	١٢	شعراوي حلمي
٦	٨		٢٨	٢	طالب - نجيب	٢٨	٣	الشقيقي - محمد عبد الله
٩	٩		٦٠	١٢	طرايشي - جودج	٤٢	١	شكري - غالي
			٦٥	١٠	الطنطاوي - عبد الله	٦١	٣	
		غ	٩	٢	طوقان - فتوى	٢٢	٥	
			١١	١٠		٦١	٧	
٥٦	٧	قطاس - نبيه				٤٢	٨	
						٦٣	٩	
						٦٨	٩	
						٤٩	١٢	
						٣٢	٢	شوشه - فاروق
					ع	١١	٥	
		ف	١٣	٧	عباس - الدكتور احسان	١٨	٦	
٨١	١	فارس - محيي الدين	٣٥	٩		١١	٧	
٤٣	٧		٣٧	٣	عبد الباقي - مختار	١٠	٩	
٧٠	١	فتح الباب - حسن	٣	١	عبد الدائم - الدكتور عبد الله	١٢	١٠	
٢٠	٣		٥	٣		١٧	١١	
٥٠	٦		٤	٩		١٨	١٢	
٢٢	٣	فياض - سليمان	١	١٢		٦٨	١١	الشمي - امام
٤٩	٧		٢٠	٨	عبد الرحمن - جيلي			ص
١١	٨		٢٢	٩				
٢٣	٩		٥٨	١١		٢١	٣	الصادق - عبد الرشيد

فهرست

العدد ١٢ - كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٠ - السنة الثانية

- ٤١ « المناقشة الدولية في اعالي النيل » محمد ابراهيم ابو سليم
٤٢ المعطف البرتقالي كمال فوزي الشرايبي
٤٣ غدا تكون الشمس محرقة (قصة) اسكندر لوفيا
٤٤ الحرف العربي والحرف اللاتيني اسماعيل عنده
٤٦ يوثيل وكيس الشب (قصة) نمر محمد سرحان
٤٩ حصاد العمر غالي شكري
٥٥ رضا حوحو ونضال الكلمة ابو القاسم سعد الله
٥٩ الصيف (قصة) بقلم البير كامو
(ترجمة جورج طرابيشي)

مناقشات

- ٦٥ حول رمز الاب علي محافظة
٦٦ الى اخي وحيد النقاش عطاء النقاش
٦٧ حول قصة « الشمس الرابعة » جان الكسان
٦٧ تحية لا دفاع عبد العزيز هلال
٦٨ ملاحظتان محمد دلبرين

النشاط الثقافي في الوطن العربي

- ٧١ لبنان اسبوع الكتاب
٧١ الجمهورية العربية المتحدة بحثا عن مجلة
٧٤ الفهرس العام للسنة الثامنة من الاداب ١٩٦٠

- ١ الانسان وازمة الجزائر الدكتور عبدالله عبدالدائم
٥ باريس والكلمات المضيئة (قصيدة) رفيق الخوري
٦ اغنية لها احمد سويد
٨ القومية العربية ابراهيم عبدالقادر المازني
١١ عند البصرة (قصيدة) خليل حاوي
١٢ المثقفون والبناء الفكري (بقلم كارل مانهايم)
(ترجمة حلمي شعراوي)
١٧ الفرح (قصيدة) ملك عبد العزيز
١٨ مع الادياء : احمد حسن الزيات فاروق شوشه
٢٢ لا در في الصدف (قصيدة) خليل الخوري
٢٤ سيزيف بلا قمة (قصة) جان الكسان
٢٦ الصلاة الاخيرة (قصيدة) حسن النجمي
٢٧ الشرق العالم عاطف احمد
٣٣ الطفل والحزن (قصيدة) محمد عفيفي مطر
٣٤ في صباح ماطر (قصة) جورج سالم

التنتاج الجديد

- ٣٧ « سهيل الجواد الابيض » مطاع صفدي
٣٨ « قصتان من الماضي » محمد محمود الحسناوي

قريبا جدا

انا وسارتر والحياة...

اروع ماكتبته المفكرة الوجودية الكبيرة

سيمون دو بوفوار

اجمل قصة عاطفية تربط بين اثنين من

اعظم ادياء العالم المعاصرين

ترجمة عايذة مطرجي ادريس

منشورات دار الاداب

صدر حديثا :

الطبعة الثانية من ديوان

قصائد عربية

للشاعر سليمان العيسى

دار الاداب - بيروت

دار الطليعة للطباعة والنشر

ص.ب. ١٨١٣
تلفون : ٥٧١٧٨

بيروت
البنية المركزية

تقدم تحياتها للقراء الكرام بمناسبة اسبوع الكتاب ، وتعددهم
بمتابعة رسالتها في نشر الانتاج التقدمي فكريا وادبا .
ويسر هان تعلن قائمة منشوراتها للربع الاخير في سنة ١٩٦٠ :

غ.ل.٠	صدر هذا الشهر :
١٢٥	الخائن (قصص)
٣٥٠	كنت طبيبة في اليمن
٢٥٠	الثوري العربي المعاصر
٦٠٠	الدبلوماسي
	شارل ثاير

تحت الطبع :

صلاح الدين البيطار	السياسة العربية بين المبدأ والتطبيق
كلوفيس مقصود	مستقبل اليسار العربي
عبد الوهاب شميطي	ازمة الديمقراطية
برتراند راسل	السلطة والفرد
هارولد لاسكي	الناي والعود (شعر)
خليل حاوي	الشيوعية
جميل جبر	الفاق (رواية)

مؤسسة فرانكلين الماهية للطباعة والنشر

القاهرة - بيروت - بغداد - أنقرة

امهات الكتب الامريكية منقولة الى العربية باقلام اشهر المترجمين من البلاد العربية:

- تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ : تأليف ارنست ا. رامزور ، ترجمة الدكتور صالح احمد العلي . يطلب من الناشر : دار مكتبة الحياة .
- العقل المنطق : تأليف هاري وبونارو اوفرستريت ، ترجمة عبد الحميد ياسين . يطلب من الناشر : دار الثقافة .
- بترول الصحراء : تأليف دافيد ه. فيني ترجمة اسماعيل الناظر . يطلب من الناشر : المكتبة الاهلية .
- علم الاقتصاد الحديث : تأليف برنز واخرين ، ترجمة برهان دجاني وعصام عاشور . يطلب من الناشر : دار صادر ودار بيروت .
- مراحل النمو الاقتصادي : تأليف و.و. روستو ، ترجمة برهان دجاني . يطلب من الناشر : المكتبة الاهلية .
- حياة رجل اعمال في امريكا : تأليف وليم دين هاووز ، ترجمة ابراهيم داغر وعيسى هنيدي . يطلب من الناشر : المؤسسة الاهلية .
- النقد الادبي ، الجزء الثاني : تأليف ستانلي هايمن ، ترجمة الدكتور احسان عباس والدكتور محمد يوسف نجم . يطلب من الناشر : دار الثقافة .
- الفردية : تأليف جون ديوي ، ترجمة خيري حماد . يطلب من الناشر : دار مكتبة الحياة .

- سلسلة اعلام الادب الامريكي :

- (١) وليم فولكنر : تأليف وليم اوكنر ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا . يطلب من الناشر : المكتبة الاهلية
- (٢) روبرت فروست : تأليف لورنس تومبسون ترجمة جبرا ابراهيم جبرا . يطلب من الناشر : المكتبة الاهلية .
- (٣) ارنست همنغواي : تأليف فيليب يونغ ، ترجمة الدكتور محمود السمرة . يطلب من الناشر : المكتبة الاهلية .
- (٤) هنري جيمس : تأليف ليون ايدل ، ترجمة الدكتور محمود السمرة . يطلب من الناشر : المكتبة الاهلية
- (٥) توماس وولف : تأليف هوج هولمان ، ترجمة انيس زكي حسن . يطلب من الناشر : المكتبة الاهلية .